القدس

بين مخطّطات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية



الباحث
نوّاف الزّرو

دار الخواجا





القدس

بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية

2

٥٣٢٢ع٩ر٣٢٠
نوا نواف جودت الزرو
القدس العربية بين مخططات التهويد الصهيونية
ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية/نواف جودت الزرو -
عمان: دار الخواجا، ١٩٩١.
(١٥٨) ص
ر.أ(١٩٩١/٧/٣٦٣)
١- فلسطين - أحوال سياسية أ - العنوان
(تمّت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنيّة)

الطبعة الأولى
١٩٩١



دار الخواجا للنشر والتوزيع
عمان - ماركا الشمالية - دوار المطار
تلفون ٨٨٦٦٦٦ - ص.ب ٣٣٠٣٣٤

اهداءات ١٩٩٨
المعهد الدبلوماسي الأردني
الأردن

تقديم

تسلط هذه الدراسة الجادة الاضواء على محاور جوهرية رئيسية تمس صلب الصراع المحتدم بين العرب وبني صهيون على فلسطين والسيادة عليها ، وتركز بشكل خاص على فضح مخططات واجراءات السيطرة والتهويد الاسرائيلية للقدس الشريف بكل اماكنها المقدسة وتاريخها الحافل المجيد ، ورموزها العربية الاسلامية والمسيحية على حد سواء .

والصراع كما تؤكد عناصر هذه الدراسة القيمة ، صراع حضاري وجودي ، لامجرد معركة للسيطرة على مساحة من الارض واستعمارها واستيطانها ، وعلى الرغم من تركيز الدراسة على محوري الانتهاكات الاسرائيلية لكل القيم والاعراف والقوانين الدولية ، بغية اجتثاث الوجود العربي الفلسطيني من جذوره من جهه ، ومسيرة النضال الفلسطيني الطويلة التي توجتها الانتفاضة المجيدة في التاسع من كانون اول/ديسمبر ١٩٨٧ من جهة اخرى ، الا ان الباحث لايغفل البعد التاريخي والحضاري لهذا الصراع .

وتستند الدراسة في اطارها العام الى توثيق مكثف للباطل الاسرائيلي من ناحية ، ولارادة الحق والصمود والتصدي الفلسطيني لمخططات التفريغ والتهويد المستشرسة الرامية الى اقتلاع الفلسطينيين ، لابل الحضارة العربية الاسلاميه من الارض المقدسة ، وتحويلها الى جيتو صهيوني من ناحية اخرى ، وهكذا تأتي هذه الدراسة لتشكل صرخة المنبه الى مايدور فوق ارض المدينة المقدسة ، وما يتوجب على الامة العربية الاسلامية القيام به تجاه تلك المدينة .

علاوة على ذلك فقد جاءت هذه الدراسة جادة رصينة متعمقة تحتوي على مادة زخمة غزيرة توثق وتشرح وتؤرخ الاحداث وفق تسلسلها الزمني ، وتتعمق في بحث معاني وابعاد السياسات الاسرائيلية من جهة ، وحالة العجز العربي من الجهة الاخرى ، لذا فهي تشكل اضافة قيمة الى المكتبة العربية لابد للقارئ العادي او الباحث الجاد من الاطلاع عليها والتطرق اليها .

د . كامل ابوجابر

عمان / الاردن

آب / ١٩٩١

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

مقدمه

اثارت المذبحة الصهيونيه البشعة التي نفذها جنود بني صهيون ، ضد اطفال ونساء ورجال وشيوخ الفلسطينيين في رحاب المسجد الاقصى المبارك ، في الثامن من تشرين اول/اكتوبر/١٩٩٠ ، ردود فعل شعبية ورسمية ، فلسطينية وعربيه ساخطة غاضبه ، وفتحت تلك المذبحة ملف القدس العربية المحتلة على اوسع نطاق ، مما استوجب وحتم ضرورة القاء الضوء مجدداً على النوايا والمخططات والاهداف الصهيونية المبيتة والجاهزة والمتجددة دائماً ضد المدينة المقدسة واهلها ، ذلك عبر استعراض وتحليل جذور ومحاور السياسة الصهيونية ، ومخططات واجراءات التفريغ والتهويد ، اضافة الى فضح تفاصيل الانتهاكات الاسرائيلية والاحتلالية ضد المواطنين المقدسيين ، وضد المقدسات الاسلامية والمسيحية ، فضلاً عن ضرورة استعراض تفاصيل المذبحة وتصعيد فعل الانتفاضة الرافضة لتلك المخططات والانتهاكات .

لقد حرصت هذه الدراسة التي كرست كاملة لمعالجة وضع المدينة المقدسة في ظل الاحتلال ، على تقديم تحليل سياسي فكري مركز في محورين اساسيين شاملين هما :

المحور الأول : الموقف الرسمي الاسرائيلي تجاه القدس ، ومسلسل المخططات والمشاريع التفريغية التهويدية ، المرفقة بجملة ، متواصلة من الانتهاكات والاعتداءات المستمرة ضد اهل ومقدسات القدس ، والتي تجلت بتلك المذبحة البشعة التي اقترفت ضد مصلي الحرم القدسي .

المحور الثاني : يتناول هذا المحور مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني ضد تلك المخططات والمشاريع والانتهاكات ، وتسهيلاً لتغطية هذا المحور تغطية شاملة ، فقد استصوبنا تقسيمه الى مرحلتين :

أ – مرحلة ماقبل اندلاع الانتفاضة .

ب – مرحلة مابعد اندلاع الانتفاضة .

اما معالجة هذين المحورين فقد جاءت في ستة فصول كما يلي :

يتحدث الفصل الاول عن محاور الاستراتيجيةالصهيونية بشكل عام ، وتجاه القدس العربية بشكل خاص ، وكذلك وضع القدس في السياسة الرسمية الاسرائيلية ، والرفض

الاسرائيلي للقرارات الدولية الخاصة بالمدينة ، بما في ذلك الرفض الاسرائيلي لقرارات مجلس الامن المتعلقة بالمذبحة البشعة في الحرم القدسي .

اما الفصل الثاني من الدراسة ، فيتناول بالتفصيل مخططات التفريغ والتهويد الإسرائيلية في المدينة المقدسة ، ويشمل هذا الفصل استعراضاً وتحليلاً لتلك المخططات على مختلف الصعد القانونية والقضائية والسكانية والعمرانية والاقتصادية والتعليمية ، اضافة إلى تفاصيل ومعطيات حول طوق الاستيطان اليهودي ومشروع القدس الكبرى ، واستعراضاً لمخططات التهويد المستقبلية ، اضافة إلى جزء كامل واسع حول حركة الاستيطان والتهويد الإسرائيلية في البلدة القديمة من القدس ، من حيث الحركات والمنظمات الاستيطانية اليهودية ، وأساليب الاستيلاء على البيوت والممتلكات العربية ، ومخططات توسيع الاستيطان اليهودي في القدس القديمة ، فضلاً عن بعض التفاصيل الموثقة حول مصادر التمويل والدعم للمستوطنين اليهود .

ويتناول الفصل الثالث من الكتاب موضوع الانتهاكات الإسرائيلية ضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في المدينة المقدسة .

وتم تخصيص الفصل الرابع لمعالجة جذور وآفاق مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني في القدس العربية ، وذلك في اطار المرحلتين المشار إليهما أعلاه ، ويشتمل هذا الفصل على تفاصيل تتحدث عن أشكال الرفض والمقاومة الفلسطينية لمخططات وانتهاكات سلطات الاحتلال في القدس ، وعلى وجه الخصوص في ظل الانتفاضة الفلسطينية المجيدة ، حيث يستعرض الفصل مسيرة الانتفاضة عبر المظاهرات الجماهيرية والاضرابات واحراق السيارات والبيوت اليهودية والعمليات المسلحة والزجاجات الحارقة ، وحرب الخناجر ، ضافة إلى معطيات تتعلق بالصراع الديموغرافي المحتدم في المدينة .

أما الفصل الخامس فقد كرس بكامله لبحث تفاصيل يوم الشهداء في رحاب المسجد الأقصى في الثامن من تشرين أول الماضي ، وردود الفعل المختلفة على المذبحة ، ومنها ردود الفعل الإسرائيلية وتقرير لجنة زامير ، والموقف الدولي من المذبحة ، والرفض الإسرائيلي لقرار مجلس الأمن ٦٧٣ ، ومبادرة السكرتير العام للأمم المتحدة ، علاوة على تثبيت حقيقة التصدي الفلسطيني لهذه المذبحة البشعة ، وتصعيد فعل وفعاليات الانتفاضة

في أعقابها ، بالاضافة إلى شهادات وتعليقات شهود عيان ، وتقرير الهيئة الإسلامية العليا ، وأخيراً تلاحم الفلسطينيين في المناطق المحتلة ١٩٤٨ مع انتفاضة القدس .

وأخيراً يتحدث الفصل السادس من الكتاب عن القدس العربية المحتلة من حيث واقعها الراهن في ظل المخططات والممارسات الإسرائيلية والتفاعلات المتسارعة فيها ، وآفاق صراع الوجود بين أبناء الشعب الفلسطيني من جهة، واجراءات التفريغ والتهويد من جهة إخرى .

أما الجوانب التي روعيت في الدراسة من حيث المنهج والأسلوب فتتلخص فيما يلي:

أولاً : حرص شديد على معالجة المحاور المشار إليها بصورة مكثفة مركزة ، لتقديم مادة مرجعية موثقة مركزة تستهدف الوصول إلى القارىء العادي الجاد ، وإلى المثقف والباحث المتخصص على حد سواء .

ثانياً : حرص شديد على أن تأتي المعالجة تحليلية سياسية فكرية بدون استطرادات طويلة غير ضرورية من جهة ، وبدون جفاف أكاديمي من جهة ثانية .

ثالثاً : حرص شديد على اعتماد المصادر والمراجع العربية الموثوقة ، مع حرص مقابل على أن تكون غالبية مصادر الدراسة من الأدبيات الإسرائيلية ، خاصة ما يتعلق منها بالسياسة والمواقف الإسرائيلية .

رابعاً : حرص شديد على تجنب المبالغة في الاقتباسات المتشابهة أو المتقاربة ، رغم أنه كان في حوزتنا كمية كبيرة من الاقتباسات العبرية الداعمة لمضمون الدراسة .

خامساً : حرص شديد على تجنب اعادة تضمين هذه الدراسة كتابات أخرى حول موضوع القدس نشرت هنا أو هناك ، وخاصة ما جاء في مجموعة من الكتب المتخصصة .

سادساً : حرص شديد على تجنب الدخول في الجوانب والتفاصيل التاريخية لمكانة القدس ، نظراً للكتب الكثيرة التي نشرت حولها ، ونظراً لأن الدراسة استهدفت فقط معالجة المحورين المذكورين أعلاه بصورة مركزة .

واذ يسجل المؤلف شكراً عاماً لعدد من الأصدقاء الذين قرأوا فصول الدراسة وقدموا ملاحظاتهم القيمة ، لا يفوته أن يسجل شكراً خاصاً وحاراً للسيدة عائشة الرازم التي ساهمت في تسجيل عدد من الملاحظات القيمة الهامة من جهة ، وأظهرت استعداداً

وحماساً كبيرين كي ترى هذه الدراسة النور وتصبح في متناول المواطن العزيز بأسرع وقت ممكن ، علاوة على توجيه شكر خاص للأستاذ روحي الخطيب أمين القدس الذي حرص حرصاً شديداً على قراءة الدراسة قراءة متأنية دقيقة ، وعلمية وحرص على تسجيل جملة من الملاحظات والحقائق القيمة ، وكذلك توجيه شكر خاص للدكتور كامل أبو جابر لمساهمته القيمة في تقديم هذا الكتاب .

المؤلف

الفصل الأول

محاور الاستراتيجية الاسرائيلية تجاه الاراضي المحتلة والقدس العربية

الفصل الأول

أولا : محاور الاستراتيجية الاسرائيلية

تؤكد الشواهد والمعطيات الغزيرة المتوافرة المتلاحقة . الواردة من الأرض المحتلة يوميا ، عبر مختلف وسائل الاعلام الاسرائيلية والعربية والدولية . حقيقة جوهرية تمس عمق الصراع العربي الفلسطيني – الاسرائيلي . تتمثل في الصراع المحتدم المتصاعد في الأراضي المحتلة عامة، وفي المدينة المقدسة خاصة . بين سياسة ومخططات ونوايا السلطات الاسرائيلية القائمة والمبيتة والجاهزة دائماً لاخراجها الى حيز التنفيذ ، والمتعلقة بالقمع والتنكيل والتدمير والمصادرة والتهويد ضد الفلسطينيين وسيادتهم ومقدساتهم وحضارتهم وممتلكاتهم من جهة وبين التصدي الفلسطيني ومسيرة النضال الطويلة التي يخوضها الشعب العربي الفلسطيني ضد تلك السياسة والمخططات والنوايا من جهة أخرى ، انه صراع البقاء والصمود وتعميق الجذور وتمتينها في الأرض الفلسطينية ، الذي اعلنه أبناء الشعب الفلسطيني في أنحاء الوطن المحتل . ضد تلك الاجراءات والممارسات الاسرائيلية الاحتلالية المتزايدة المطردة المستمرة المستشرسة ، الرامية الى اقتلاع الفلسطينيين وتجريدهم مما تبقى لديهم من حقوق وممتلكات ورموز وطنية .

وفي اطار تلك السياسة والمخططات الاسرائيلية ، واصلت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة عبر العقدين الماضيين . ذلك النهج الذي اعتمدته الحركة الصهيونية في المصادرة والتهويد ، منذ بداياتها الأولى ، حيث عملت ودأبت تلك الحكومات منذ احتلال الاراضي العربية في الضفة الغربية عامة والقدس منها خاصة وقطاع غزة عام ١٩٦٧ ، على بناء اعمدة « الدولة الاسرائيلية » ووجودها على انقاض الشعب الفلسطيني ، استنادا الى أو عبر المحاور الاستراتيجية التالية[١] :

الأول : الاستيلاء على الأراضي العربية في الضفة والقطاع عامة والقدس منها خاصه بشتى اساليب الخداع والاحتيال والارهاب ، التي شملت في بادىء الأمر اوامر مصادرة الارض والاملاك لاسباب أمنية أو منافع عامة تزوير صفقات « بيع وشراء » الأراضي الفلسطينية. بمساعدة سماسرة الأراضي الى جانب الاسناد والتغطية المفتوحة لعمليات الاستيلاء ،

كذلك نهج الارهاب والتنكيل والمطاردة والمذابح الجماعية ضد الفلسطينيين بغية ارهابهم ودب الذعر في نفوسهم واجبارهم على ترك أراضيهم واملاكهم نهباً للحركات الاستيطانية الارهابية والغزاة اليهود الجدد .

واستندت السلطات الاسرائيلية في سياسة استيلائها على الأراضي العربية ، كما هو معروف ، الى جملة كبيرة من الذرائع والمبررات التضليلية ، وفي مقدمتها ان الأراضي التي يتم الاعلان عن مصادرتها ، اما ان تكون «أراضي دولة» ، أو «تعود للملكية اليهودية» القديمة ، أو أنها تصادر لأغراض عسكرية (مثل التدريبات العسكرية أو إقامة ثكنات ومعسكرات عليها ... الخ) ، أو أنها تصادر كاجراء عقابي ضد الفلسطينيين ، او لقربها من معسكرات الجيش ، أو المستعمرات اليهودية ، وغير ذلك من الذرائع والمبررات ، التي يصعب حصرها أو تفصيلها في هذه الدراسة التي نعتزم تكريسها لمعالجة موضوع الصراع في المدينة المقدسة .

ثانيا : غزو واستيطان الأراضي العربية المصادرة واستيعاب أكبر عدد من الغزاة اليهود الجدد فيها ، ففضلاً عن الأعداد الكبيرة من المستعمرات اليهودية التي زرعت في أنحاء الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وفضلاً عن تلك الأعداد الكبيرة من المستعمرين اليهود فيها ، فان السلطات الاسرائيلية تخطط لاقامة المزيد من المستعمرات ، وتوطين اعداد كبيرة أخرى من الغزاة اليهود الجدد القادمين من الاتحاد السوفياتي ، وخاصة في منطقة القدس العربية المحتلة ، وسنعالج هذه المسألة تحديدا بالتفصيل في فصل خاص يتحدث عن حركة المصادرة والاستيطان اليهودي في القدس .

وكما هو معروف ، فقد استخدمت وما تزال السلطات الاسرائيلية وحركات الاستيطان اليهودية ، شتى وسائل الترغيب والاغراء والاقناع ، في دفع اليهود الجدد للاستيطان في المستعمرات اليهودية القائمة أو المزمع اقامتها في الأراضي المحتلة .

ثالثا : الامن العسكري والسكاني – فقد عملت وتعمل السلطات الاسرائيلية على زرع معسكرات الجيش والنقاط والحواجز العسكرية في مختلف المدن والقرى والمخيمات ، وفي الأماكن الاستراتيجية المشرفة والمسيطرة على محاور ومفترقات الطرق ، والتجمعات السكانية الفلسطينية .

كما اقدمت السلطات الاسرائيلية على إقامة المستعمرات التي هي في الوقت ذاته بمثابة قلاع أو حصون أو ترسانات عسكرية ، حول التجمعات السكانية الفلسطينية ، بغية عزلها عن بعضها البعض ، وابطال قوتها مجتمعة والسيطرة عليها أو مجابهتها منفردة .

تلك هي محاور الاستراتيجية الاسرائيلية في الاستيلاء على الأراضي العربية المحتلة ، وتهويدها عبر اقامة وزرع المستعمرات اليهودية فيها ، اضافة الى محاصرة وعزل المواطنين الفلسطينيين العرب في مدنهم وقراهم ومخيماتهم ، عزلاً عسكريا وسكانياً من أجل تحقيق بعد الأمن ، الذي يعتبر الأثقل وطأة وضغطاً على أهلنا في الأراضي المحتلة . إذ يترتب عليه كما هو واضح ملموس ، سلسلة طويلة متزايدة من اجراءات التنكيل والسلب لمختلف الحقوق الانسانية والحياتية واليومية للفلسطينيين ، علاوة على سلب حقوقهم السياسية الوطنية الأساسية المشروعة .

ثانياً : الرفض الفلسطيني :

اما مسيرة التصدي والنضال الفلسطيني ضد الاستراتيجية الاسرائيلية ومحاورها المذكورة فهي طويلة متصلة متواصلة ، تعود بجذورها الى البدايات الأولى لافكار وخطوات المشروع الصهيوني لاقامة « الوطن القومي لليهود » .

فقد واصل الفلسطينيون في الأراضي المحتلة ١٩٦٧ ، هذه المسيرة النضالية التاريخية ، وعملوا على تطويرها وتصعيدها ، وتوضيح وتثبيت مطالبها وأهدافها ، وشهد نضالهم على مدى العقدين الماضيين ، مجموعة هبات وانتفاضات شعبية ضد المخططات واجراءات التنكيل والتفريغ والمصادرة ، الى ان جاءت الانتفاضة الشعبية الكبرى في الأراضي المحتلة التي تفجرت في التاسع من كانون الأول ١٩٨٧ ، لتتوج المسيرة النضالية الفلسطينية المستمرة ضد مشروع الاحتلال سواء من حيث العمق والاسلوب والشمولية السكانية والجغرافية ، أو من حيث المطالب والأهداف الوطنية المشروعة .

لقد جاء انفجار الانتفاضة الفلسطينية المتوهجة المتواصلة منذ التاسع من كانون اول/ ١٩٨٧ ، ليتوج هذا التصاعد النضالي ضد الاحتلال ، وليسجل تحولاً جديداً تاريخياً في

مسيرة النضال الوطني الفلسطيني على نحو شكل نضالي فيه الكثير من الصحة والمناعة والنجاعة ، ضماناً لاستمرارية التصدي ، وذلك من خلال انخراط الجماهير الواسعة في العملية النضالية ، ومما لا شك فيه ان انفجار هذه الانتفاضة ارتبط بمجموعة من الوقائع الموضوعية وأبرزها :

١ - التحول النوعي في تراكمات الغضب الكامن في سنوات الاحتلال التي سبقت انفجار الانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، نتيجة البطش والقمع السياسي والحقوقي والاقتصادي والاجتماعي الذي لحق بالشعب الفلسطيني خلال ذلك ، وقد تمخضت هذه جميعاً عن تأجيج لمختلف أنواع التناقضات القومية والدينية المفضية بالضرورة الى لحظة انفجار كان لا بد أن تأتي(٢) .

٢ - حالة الغليان المستمرة في نفوس الفلسطينيين ازاء تواصل حملات الارهاب الاحتلالية التي اشتدت وتيرتها قبل اندلاع الانتفاضة بشهرين ، والتي اسفرت عن سقوط عدد كبير من الشهداء ، ومئات الجرحى والآف المعتقلين والسجناء والمبعدين .

٣ - العمليات العسكرية المتزايدة ضد أهداف احتلالية وخاصة على أرض قطاع غزة تلك العمليات التي تنوعت وتراوحت بين استخدام الأسلحة النارية ، والقاء القنابل اليدوية والحارقة واستخدام الخناجر .. الخ

٤ - حالة الاحباط واليأس التي أصابت الجماهير الفلسطينية في الوطن المحتل جراء الشلل والعجز العسكري والسياسي العربي المتواصل في التصدي للاحتلال ، وانغلاق كافة السبل والخيارات أمام الفلسطينيين ، الا خيار الانتفاضة والانفجار الكبير .. الخيار الوحيد القائم وسيبقى أمام أبناء الشعب الفلسطيني (٣).

٥ - الموقف الدولي وخاصة الامريكي منه ، المتعامي عن المأساه الفلسطينية ، ومساندتهم لسلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلي سياسيا وماليا واقتصاديا وعسكريا في ترسيخ احتلالها وضغوطها واضطتهادها المتواصل للشعب الفلسطيني .

في القدس العربية المحتلة :

كما في الأراضي العربية المحتلة ، كذلك في المدينة المقدسة ، تعرض وما يزال ، المواطنون الفلسطينيون ، الى المخططات والاجراءات الاحتلالية التنكيلية التفريغية التهويدية الشرسة ، وعلى شكل حملات وهجمات متواصلة متلاحقة مكثفة ، تستهدف ترحيل اهلها وتهويدها ، وتحقيق الشعار الدائم للسلطات الاسرائيلية حول «القدس عاصمة اسرائيل الموحدة الى الأبد» .

شهدت المدينة المقدسة عبر سنوات العقدين الماضيين ، صراعاً مستمراً واسعاً وشاملاً سياسياً اجتماعياً ثقافياً دينيا ، ارتدى في حالات معينة شكلاً غير عنيف ، غير انه ظهر في معظم الحالات بصور ، وأشكال عنيفة صدامية ، تمخضت عن سقوط شهداء وجرحى ، وعن معتقلين ومبعدين .

غير ان أشد مراحل هذا الصراع ،، صراع البقاء والاجلاء حقاً التي شهدتها المدينة المقدسة هي في ظل الانتفاضة الفلسطينية المجيدة ، ولعل هذه المرحلة التي اعقبت مذبحة الاثنين في الحرم القدسي الشريف في الثامن من تشرين أول / أكتوبر / ١٩٩٠ ، هي الأكثر وضوحاً وشدة وشراسة وشمولية وعمقاً .. وهي الانعطافة الجديدة في مسيرة الانتفاضة المتصاعدة في القدس والأراضي المحتلة .

فبعد ان كانت السلطات الاسرائيلية الاحتلالية ، تنتهج سياسة «العصا والجزرة» بمرونة ، وتستخدم «القفازات الحريرية» في حالات معينة ، ألقت تلك السلطات بتلك القفازات جانباً ، في هذه المرحلة الجديدة ، وكشرت عن أنيابها ووجهها الارهابي الحقيقي ، وعن مخططاتها ونوأياها الحقيقية ، التي لم تكن خافية أصلاً ، وانما ازدادت وضوحاً وحسماً في هذه المرحلة ، وعادت تلك السلطات لسياسة القبضة الحديدية الارهابية الدموية ، التي تجاوزت كل اجراءات وحدود الحصار والارهاب السابقة المجربة في الأراضي المحتلة .

وفي ظل الانتفاضة الفلسطينية المستمرة من جهة أخرى ، تمكنت الجماهير الفلسطينية في نضالها الدؤوب . من اسقاط المزاعم والاحلام الاسرائيلية الرسمية وشبه الرسمية ، حول ما يسمى بـ «وحدة القدس» و«التعايش بين الشعبين» ، و«استتباب الهدوء» وغير ذلك .

فمنذ ان وطأت أقدام الاحتلال الأراضي المقدسة في حزيران ١٩٦٧ ، اعلنت الحكومة الاسرائيلية عن نواياها الحقيقية المبيته تجاه مدينة القدس . عندما اعلنت عن ضمها الى القدس العربية بعد احتلالها بأيام قليلة .

ومنذ ذلك الوقت أيضا والسياسة الرسمية الاسرائيلية والاعلامية والدبلوماسية والبرلمانية والحزبية ، ركزت كلها وما تزال على تلك المزاعم المذكورة أعلاه ، في محاولة مكشوفة لتضليل الرأي العام المحلي والعالمي عن حقيقة الأوضاع وما يجري في أزقة وشوارع المدينة المقدسة وحولها .

فصراع البقاء والصمود وتعميق الجذور الذي أعلنه الفلسطينيون في منطقة القدس برمتها ، ضد مخططات واجراءات ونوايا التهويد والاجلاء الاحتلالية ، كان محتدماً على الدوام ، فتارة كان يطفو على السطح في مظاهر ومشاهد مقاومة متنوعة ، وطوراً كان يكمن ويتحرك تحت الأرض ، غير انه لم يتوقف أبداً ، فكيف لصراع البقاء والاجلاء هذا أن يتوقف أو يهدأ ؟

هكذا كان الوضع ، وهكذا استمر في المدينة المقدسة ، كجزء لا يتجزأ في الوقت ذاته من الصراع الشامل في أرض فلسطين المحتلة كلها ، الى أن جاءت - كما ذكر- هذه الانتفاضة لتحدث نقلة نوعية شاملة أيضا ليس في أنحاء الأراضي المحتلة فحسب ، وانما في قلب المدينة المقدسة كذلك .

لقد سعت السلطات الاسرائيلية يائسة ، الى عزل منطقة القدس عن الانتفاضة في الأراضي المحتلة ، فجندت لذلك كل طاقاتها وامكاناتها وأدواتها وقراراتها السياسية والاعلامية والاقتصادية والعسكرية ، ومارست كل وسائل القمع والتنكيل ضد فلسطينيي القدس ، غير انها كلها تحطمت على صخرة وديمومة الانتفاضة ووعي وإرادة وتلاحم جماهيرها .

لقد حولت الانتفاضة القدس الى بلفاست وفيتنام أخرى ، مشتعلة تحت أقدام الاحتلال ، واذكت صراع البقاء والاجلاء وأوصلته الى ذروة جديدة في أعقاب مذبحة الاثنين في الحرم القدسي الشريف ، ذروة باتت تثير قلقاً حقيقياً لدى الدوائر الاسرائيلية المختلفة .

ثالثا : القدس في السياسة الرسمية الاسرائيلية

تأسيسا على الخلفية الاساسية السابقة ، ومن أجل مزيد من المتابعة الدقيقة لتطورات صراع البقاء والاجلاء في منطقة القدس ، فانه لمن الجدير القاء الضوء أولاً على الموقف الرسمي الاسرائيلي إزاء المدينة المقدسة ، أي حول مكانة القدس في السياسة الرسمية الاسرائيلية ، والقاء الضوء ثانيا على مخططات وممارسات الارهاب والتهويد ضد القدس وأهلها والأماكن المقدسة فيها ، والقاء الضوء ثالثا على مسيرة التصدي الفلسطيني .

في هذا السياق ومن أجل وضع النقاط على الحروف ، ومسح الغشاوة عن العيون فيما يتعلق بالموقف الاسرائيلي الرسمي الماضي والراهن والمستقبلي تجاه المدينة المقدسة ، فانه لا بد من متابعة مكانة القدس في المواقف والتصريحات والوثائق الرسمية الاسرائيلية ، والتي تؤكد جميعها بما لا يدع مجالاً للشك أو الوهم على ان القدس مدينة موحدة عاصمة اسرائيل الأبدية «وليست خاضعة لأي نقاش أو مساومة» .

ففي اعقاب الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة في حزيران/ ١٩٦٧ ، أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن ضم القدس رسمياً ، وعن توحيد شطريها الغربي والشرقي لتشكل مدينة القدس الموحدة عاصمة اسرائيل الأبدية[٤] .

ومنذ ذلك التاريخ أكدت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة على الشعار السابق ، في مختلف وثائقها وبرامجها السياسية ، كما أكدت عليه برامج مختلف الأحزاب الاسرائيلية ، هذا علاوة على التصريحات التي تشدد على ذلك الشعار .

وقد ازدادت شدة الوضوح والاصرار الاسرائيلي الصلف ، على ذلك الموقف الرسمي ، منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة في التاسع من كانون أول / ديسمبر/ ١٩٨٧ ، حيث أكثر زعماء مختلف الأحزاب الاسرائيلية الحاكمة منها على وجه الخصوص ، من تصريحاتهم السياسية الايدولوجية ، المتعلقة بوضع ومصير ومستقبل القدس ، وذلك بعد ان فرضت الانتفاضة ضرورة التحرك السياسي نحو مفاوضات تؤدي إلى تسوية للقضية الفلسطينية ، وغدت اللاءات الاسرائيلية المتعنتة والرافضة أكثر حسماً بالنسبة للحقوق الوطنية الفلسطينية في القدس ، ومثلما هي السياسة الرسمية الاسرائيلية رافضة في مسألة

حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . ومستقبل الضفة والقطاع ، كذلك هي رافضة في مسألة القدس ومستقبلها ، بل هي أكثر وضوحاً وحسماً وقطعاً .

فقد أكدت الحكومة الاسرائيلية الائتلافية السابقة في البند السادس من وثيقة الخطوط الاساسية للوثيقة على «أن القدس الكاملة عاصمة اسرائيل الأبدية ، مدينة موحدة تحت سيادة اسرائيلية غير قابلة للتقسيم (٥).

وأكد اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلي في تصريح بارز أدلى به امام «مؤتمر التضامن اليهودي مع اسرائيل الذي عقد في القدس : «أن القدس ستبقى موحدة ، وتحت السيادة الاسرائيلية في أي تسوية يتم التوصل اليها(٦) .

وعزز شمعون بيرس القائم بأعمال رئيس الوزراء في حينه ، وزعيم حزب التجمع ، موقف شامير المذكور في سياق عرضه للخطوط الحمراء لمشروعه الخاص بالتسوية السياسية ، أمام المؤتمر ذاته : «ان مدينة القدس ستبقى موحدة ، والمستوطنات القائمة لن تحل ، وسيتم ضمان حرية الحركة والعبادة في الأماكن المقدسة»(٧) .

ثم عاد شامير وكرر موقفه السابق في كلمة القاها يوم ١٩٨٩/٤/٥ ، امام يهود نيويورك إذ قال : «لا يمكن تقسيم القدس ، فستبقى موحدة تحت السيادة الاسرائيلية»(٨).

وفي اعقاب جولات جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي المكوكية الرامية الى تمرير تسوية تصفوية للقضية الفلسطينية اعلن شامير بوضوح وبصورة كابحة لكل المساعي التسووية : « هناك اجماع وطني في اسرائيل حول القدس ، فنحن لن نتنازل ليس فقط عن القدس وانما ايضاً عن أي جزء من ارض اسرائيل . وليس هناك ارض اسرائيل ، وانما اسرائيل المقدسة كلها - صحيفة يديعوت احرونوت ١٩٩١/٥/١٣ » .

وفي مسألة الجدل الذي دار حول اشراك أو عدم اشراك سكان القدس في الانتخابات التي اقترحها شامير للسكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ، أوضح شامير أمام لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست قائلاً : «لن أوافق على اشراك سكان القدس الشرقية في انتخابات المناطق»(٩) .

وفي مؤتمر وحدة الليكود الذي عقد في القدس في نهاية أيار / ١٩٨٩ ، عاد شامير ليدلي بتصريح في منتهى الوضوح والجزم امام المؤتمر ، اذ قال :

«لن يكون هناك أي تنازل في موضوع وحدة القدس أبداً . كما لا يوجد أدنى شك فيما يتعلق بمكانة القدس في اطار مبادرة السلام»[10].

وفي مطلع آذار/ ١٩٩٠ ، أكد شامير امام رؤساء منظمة البوندز اليهودية خلاله لقائه معهم في القدس : «القدس ليست موضوع مساومات أبداً ولا بأي شكل من الأشكال»[11]

اضافة الى تصريحات اسحق شامير تلك ، أكد موشيه أرنز وزير الخارجية في الحكومة الائتلافية السابقة ، ووزير الحرب في الحكومة الحالية ، على المضمون نفسه ، في مناسبات وأوقات مختلفة ، فقد أوضح على سبيل المثال موقف السياسة الاسرائيلية من مسألة «وضع القدس في الانتخابات المقترحة» ، إذ قال : «دون الدخول في التفاصيل ، ان المبادرة الاسرائيلية تتحدث عن انتخابات في يهودا والسامرة وغزة ، وحسب علمي فان سكان القدس ليسوا مشمولين فيها»[12] ، ثم عاد ليؤكد على الموقف ذاته أمام لجنة الخارجية والأمن قائلاً : « ان خطة الانتخابات الحكومية لا تشمل عرب القدس الشرقية»[13] .

وعلاوة على جملة التصريحات الواردة اعلاه على لسان شامير وبيريس وأرنز ، أكد عدد آخر من أقطاب الحكومة السابقة ، والأحزاب المختلفة على الموقف ذاته ازاء القدس ، ولعل أهمها هو ذلك التصريح الذي ادلى به اسحق رابين وزير قمع الانتفاضة السابق في لقاء له مع صحيفة «له ليبربلجيك» إذ قال : «القدس تشكل حالة خاصة بالنسبة للانتقادات حول هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي للمناطق ، وبالنسبة للانتخابات في المناطق والمفاوضات التي ستجري لن تتطرق الى القدس»[14] .

وفي أوسع وأكبر تظاهرة رسمية على مستوى الكنيست الاسرائيلي . «صوت اعضاء الكنيست من أحزاب التجمع ، الليكود ، المفدال ، اغودات يسرائيل ، شاس ، والحركة من أجل تقدم الفكرة الصهيونية ، هتحيا ، تسومت ، وموليدت ، على صيغة تقول ان القدس الموحدة هي عاصمة اسرائيل ، وممثلوها لن يشاركوا في أي مفاوضات حول وحدة القدس وسيادة اسرائيل عليها»[15] .

رابعاً : الرفض الاسرائيلي لقرار مجلس الأمن ٦٧٢ :

واصلت الحكومات الاسرائيلية وواصل مختلف اقطاب السياسة الاسرائيلية ، التأكيد على ذلك الموقف الرسمي الاسرائيلي الخاص بالقدس ، في كل زمان ومكان ، غير ان أوضح موقف للسياسة الاسرائيلية وأكثرها حسماً وإصراراً في موضوع القدس ، تمثل في الرفض الرسمي الاسرائيلي الصلف لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٢ القاضي بارسال لجنة « تقصي الحقائق في المذبحة التي اقترفتها قوات الاحتلال ضد الفلسطينيين رجالاً ونساءاً وشيوخاً وأطفالاً في باحة المسجد الأقصى(١٦) .

فكما كان منظوراً ومنتظراً رفضت الحكومة الاسرائيلية بعناد شديد وفظاظة بالغة وبتحد سافر واستهتار معتاد ، ذلك القرار ، كما كانت الحكومات الاسرائيلية السابقة المتعاقبة ، قد رفضت على مدى المراحل الزمنية السابقة كل القرارات الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة أو مجلسها «الموقر» ، أو منظماتها المتفرقة ، أو تلك الآتية من دول أخرى حليفة للكيان الاسرائيلي أو غير حليفة .

ولعل هذا التحدي الاسرائيلي لهذا القرار الدولي ، إنما يثير جملة من الأسئلة والتساؤلات ، ويؤكد في الوقت ذاته على جملة من الحقائق والبديهيات التي غدت بمثابة عبر ودروس سطرها الصراع الدامي المرير الطويل في أذهان ونفوس الفلسطينيين :-

١ - لعل في مقدمة تلك الحقائق والبديهيات ان السياسة الرسمية الاسرائيلية صريحة معلنة ، موغلة في اللاءات الرافضة السافرة في عدائها لكل القرارات والمبادرات التي تمس من قريب أو بعيد حتى أبسط الحقوق الانسانية للشعب العربي الفلسطيني ، فكيف يكون الموقف عندما يتعلق الأمر بقرارات ومبادرات تمس الحقوق السياسية الوطنية لهذا الشعب .. ! ؟

٢ - اما الذريعة التي تبنتها الحكومة الاسرائيلية في تبرير رفضها للقرار الدولي ، فهي وكما جاءت على لسان رئيس تلك الحكومة اسحق شامير «ان القرار يعتبر محاولة للتدخل في الشؤون الداخلية الاسرائيلية(١٧) .

ان هذه الذريعة الرسمية الاسرائيلية تنطوي على بعد جوهري في غاية الخطورة ، ما فتئت الحكومات الاسرائيلية تؤكد عليه في كل مناسبة وحادث وحادثة ، وهو ان القدس العربية ومناطق الضفة الغربية وقطاع غزة «أراضي محررة» وجزءً لا يتجزأ من أرض اسرائيل الكبرى » .

٣ - ان تلك المذبحة البشعة التي نفذت عن سبق تدبير ونية مبيتة ضد الفلسطينيين في الحرم القدسي الشريف . وان ما حدث ويحدث ، وما قد يحدث في القدس العربية ، من مذابح واجراءات تدمير وتنكيل ممنهجة ضد الفلسطينيين ، هو مسألة داخلية من اختصاص «اسرائيل» وحدها . ولا يحق لا للامم المتحدة ، ولا لأي مؤسسة دولية أخرى ، التدخل فيها ، وتقصي الحقائق وتقديم التوصيات حولها .

٤ - هذا هو الموقف الاسرائيلي الرسمي الرافض دائماً للمطالب والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . حتى لو جاءت أو صدرت قرارات ومقترحات أو توصيات بشأنها من أقرب واخلص حلفاء «اسرائيل» .

٥ - تلك هي الذريعة الاسرائيلية المسموعة دائماً والملموسة عملياً وميدانياً . من حيث اصرار الحكومات الاسرائيلية على مواصلة سياسة التفريغ والتهويد والضم الزاحف للأراضي المحتلة .

٦ - لقد دأبت الحكومات الاسرائيلية ودرجت على الاستهتار الوقح والصلف ليس بكامل المطالب والحقوق المشروعة للفلسطينيين والعرب فحسب ، وانما بكامل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين ، وما هذا القرار الأخير الصادر عن حكومة شامير الا تتويج لتلك السياسة الاسرائيلية التي حظيت ، وما تزال ، بكل الدفع والاسناد والتغطية اللازمة سياسياً ودبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الأطلسيين .

٧ - تلك هي السياسة الاسرائيلية ولاءات الرفض والاستهتار ، الموغلة في التطرف الفاشي والنزعة العنصرية التفوقية ، غير ان الأهمية الخاصة المتميزة في التشديد على هذا الرفض دون ما سبقه ، هو أن يأتي في ظل مرحلة شهدت اعتى وأشرس حملة صليبية امريكية / اطلسية/ اسرائيلية مشتركة ضد العراق العربي والأمة العربية ، هذه الحملة

التي جندت لها وجيرت فيها الولايات المتحدة لصالحها «الشرعية الدولية» ممثلة بمجلس الأمن وقراراته المتلاحقة ، وكذلك «الشرعية العربية» المزعومة .

٨ - رغم الرفض الاسرائيلي «للشرعية الدولية» ، والذي اتبعته الحكومة الاسرائيلية برفض آخر لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٣ ، الا أنه من اللافت للنظر ، ذلك الصمت الخبيث - رغم بعض التصريحات التمويهية - الذي قابلت به الولايات المتحدة ، وقابل به مجلس الأمن هذا الموقف الاسرائيلي المستهتر السادر في تطرفه .

٩ - وأخيراً ، واستناداً الى كل هذه المعطيات والحقائق ، وفي ضوء هذه اللاءات الاسرائيلية العنيدة ، وذلك الرفض الاسرائيلي المستمر للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . والمستند اساساً الى تلك العقلية الاسرائيلية التي لا تفهم ولا تتعامل الا بمنطق العنجهية والتفوق والقوة الدموية مع الفلسطينيين والعرب ، هل يمكن ان تشكل هذه السياسة الاسرائيلية درساً قاسياً آخر للفلسطينيين والعرب . في كيفية ادارة الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي والتصدي المجدي الفعال لمخططاته ونواياه الجاهزة المبيتة دائماً والرامية الى تحقيق المشروع الصهيوني الكبير عبر سياسة الارهاب الدموي واجراءات التفريغ والتهويد والضم المتواصلة ...!!؟

هوامش الفصل الأول

١ - للمزيد من التفاصيل حول أساليب السلب والاستيلاء على الأراضي العربية أنظر : دراسة عبدالرحمن أبو عرفة : الاستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية ، دار الجليل ١٩٨١/ عمان ، كتاب الصراع الديموغرافي في فلسطين المحتلة ، اعداد عدد من الباحثين من الأرض المحتلة ، صادر عن المكتب الفني التابع للجنة الأردنية - الفلسطينية المشتركة ، ١٩٨٦/ عمان ، كتاب اميل توما - جذور القضية الفلسطينية يافا .

٢ - كما جاء في دراسة فضل مصطفى النقيب «الاقتصاد السياسي للانتفاضة» الحلقة الأولى / صحيفة القبس الكويتية العدد ٥٧٠٢ تاريخ ١٩٨٨/٣/٢٨، وكما ورد في دراسة ميرون بنفنستي . الضفة الغربية وقطاع غزة : بيانات وحقائق اساسية ، ودراسة ماجد الكيالي «المقدمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للانتفاضة الشعبية في فلسطين المحتلة» مجلة الوحدة - الرباط ، المجلس القومي للثقافة العربية ، العدد (٤٩) ، تشرين أول / ١٩٨٨ .

٣ - لمزيد من المعلومات التفصيلية في هذه المسألة انظر كتاب «الانتفاضة : مقدمات ... وقائع ... تفاعلات ... آفاق» من تأليف د. أسعد عبدالرحمن ونواف الزرو ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت/ لبنان ، ١٩٨٩ .

٤ - انظر المهندس رائف نجم ، «القدس الشريف» خلال فترة الاحتلال ٦٧-١٩٨٧ منشورات المركز الثقافي الاسلامي/ وزارة الأوقاف والشوون الاسلامية عمان/ الأردن ، ص ٤٠ ، روحي الخطيب ، المؤامرات الاسرائيلية على القدس ، عمان/ الأردن ، ص ١٥/ منى دروزه «الاستيطان الصهيوني في القدس وضواحيها» ، وقائع الندوة الاسلامية لشؤون القدس ، مطبوعات مكتبة المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس . عمان ١٩٨٦ ، ص ٧١ .

٥ - صحيفة هآرتس الاسرائيلية - عدد ١٩٨٩/١/٢١ .

٦ - صحيفة هآرتس الاسرائيلية ، عدد ١٩٨٩/٣/٢١ .

٧ - المصدر السابق نفسه .

٨ - صحيفة معاريف ، عدد ١٩٨٩/٤/٦ .

٩ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/٤/١٨ .

١٠ - صحيفة يديعوت أحرنوت ، عدد ١٩٨٩/٦/١ .

١١ - صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٣/٥ .

١٢ - صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٨٩/٦/١٣ .

١٣ - صحيفة عل همشمار ، عدد ١٨/٧/١٩٨٩ .
١٤ - صحيفة دافار ، عدد ١١/٣/١٩٩٠ .
١٥ - صحيفة معاريف ، عدد ٢٩/٣/١٩٩٠ .
١٦ - صحيفة الأهالي ، عدد ٢٤/١٠/١٩٩٠ .
١٧ - صحيفة يديعوت أحرونوت ١٤/١٠/١٩٩٠ .

الفصل الثاني

مخططات التفريغ والتهويد الإسرائيلية في القدس العربيه

الفصل الثاني

مخططات التفريغ والتهويد الاسرائيلية في القدس العربية

في اطار سياستها الشاملة الرامية الى تفريغ وتهويد وضم الأراضي العربية المحتلة ، كثفت السلطات الاسرائيلية مشاريعها ومخططاتها وممارساتها على صعيد المدينة المقدسة بشكل خاص ، بغية تحقيق هدفها المذكور ، فسخرت في ذلك صلاحياتها وهيمنتها وقراراتها ، وأجهزتها وأدواتها الرسمية وغير الرسمية ، فتعرضت المدينة المقدسة وماحولها من مدن وقرى ومخيمات لاجئين وتعرض أهلها الفلسطينيون ، الى سلسلة طويلة مستمرة من الهجمات والاجراءات والممارسات الرسمية وغير الرسمية ، ومن أجل حصر عملية الاستعراض والتحليل لهذا الجانب الهام ، فاننا نقدم على معالجته تحت عنوانين اساسيين هما :

أولاً : المخططات والاجراءات الرسمية الاسرائيلية :

بادىء ذي بدء لا بد من التنويه باننا بتناولنا للمخططات والاجراءات الرسمية الاسرائيلية ضد المدينة المقدسة ، وفصلها عن تلك الممارسات التي قارفها ويقارفها المستوطنون اليهود ، لا نقصد اظهار تمييز أو تعارض بين الجانبين ، فكافة الممارسات الرسمية وغير الرسمية منسقة في معظمها ، منسجمة في مضمونها وأهدافها .

لقد أقدمت السلطات الاسرائيلية منذ احتلالها للجزء الشرقي من القدس عام ١٩٦٧ ، على اتخاذ مجموعة من القرارات ، ووضع وتنفيذ سلسلة من المخططات ، وتجهيز المزيد من تلك المخططات الهادفة الى ضمان السيطرة الاسرائيلية على القدس عسكريا وجغرافياً وسكانياً بغية تهويدها بالكامل .

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف (ضمان السيطرة الشاملة) كان لا بد من أن تحقق تلك السلطات السيطرة الاستراتيجية والسيطرة الديموغرافية ، وذلك عبر التوجهات التالية [١] :

١ - السيطرة الجغرافية على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي المحيطة بالمدينة ، عن طريق مصادرة الأراضي والاستيطان واقامة شبكة طرق .

٢ - عزل التجمع السكاني العربي في القدس ، عن التجمعات السكانية العربية في الضفة الغربية .

٣ - تطويق القدس باحزمة استيطانية قوية على شكل تجمعات سكنية تحقق اقامة عازل سكاني يهودي بين القدس وخارجها من جهة ، ومن جهة أخرى تسيطر استراتيجياً على التجمعات العربية داخل القدس .

٤ - تصميم الضواحي الاستيطانية بأساليب بناء فاصلة تخدم الغرضين : المدني في حالة السلام ، والعسكري في حالة الحرب .

وتعزيزاً لهذا التوجه النظري ، أقدمت السلطات الاسرائيلية على اتخاذ مجموعة كبيرة من القرارات والاجراءات في مختلف مجالات الحياة العربية في المدينة المقدسة ، نلخصها بالتالي :

أ - على الصعيد القانوني :

١ - اقرت الحكومة الاسرائيلية في ١٩٦٧/٦/٢٧ تحديد سريان القانون الاسرائيلي (القضاء والادارة لسنة ١٩٤٨) لتوسيع حدود دولة اسرائيل(٢) .

٢ - في ١٩٦٧/٦/٢٨ ، اقر الكنيست الاسرائيلي قانون «المحافظة على الأماكن المقدسة لسنة ١٩٦٧» (٤) .

٣ - في ١٩٦٧/٦/٢٩ ، أقدمت الحكومة الاسرائيلية على حل مجلس بلدية (امانة) القدس ، ونقل جميع املاكها ووضعها تحت تصرف بلدية القدس الغربية(٣) .

٤ - في ١٩٨٠/٧/٣٠ ، عاد الكنيست الاسرائيلي ، وأقر قانوناً استثنائياً عاجلاً عرف باسم «قانون اساسي : القدس عاصمة اسرائيل(٥) ، وأعلن بالتالي عن ضمها سياسياً وتأكيدها عاصمة ابدية لاسرائيل» .

شكلت القوانين والقرارات السابقة الاطار القانوني ، والغطاء الذي تحركت تحته مختلف المشاريع والمخططات ، وكانت بلدية تيدي كوليك في القدس الغربية الاطار المدني الذي أوكلت اليه مهمة التنفيذ ، يساندها في ذلك بعض القوانين التي اصدرتها الكنيست لهذه الغاية ومجموعة من القرارات الصادرة عن وزارات الداخلية .

وضمن هذا الاطار ايضاً اتخذت سلسلة القرارات القاضية «بحل امانة القدس ، وابعاد السيد روحي الخطيب امين القدس في وقت لاحق .. كما تم الغاء القضاء والادارة العربية في القدس بعد الاحتلال مباشرة»[6].

ب - على الصعيد السكاني :

أما على الصعيد السكاني - الديموغرافي - فقد تبين أن كابوس الاخطار الكامنة في التوازن الديموغرافي رافق السلطات الاسرائيلية في منطقة القدس أيضا منذ البداية ، وذلك رغم الأغلبية اليهودية في المنطقة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار تهويد الجزء الغربي من القدس .

وتحت ضغط هذا الهاجس ، وضمن مخططات التفريغ والتهويد للقدس ، سعت السلطات الاسرائيلية كذلك الى تغيير الميزان الديموغرافي في القدس الشرقية ، فاتخذت خلال الشهر الأول من الاحتلال على سبيل المثال اجراءات ادارية فورية وهي[7] :

١ - هدم «حي المغاربة» وإجلاء سكانه .

٢ - إجلاء قسم كبير من سكان «حي الشرف» .

٣ - عزل أحياء عربية كاملة عن القدس نتيجة رسم حدود البلدية الجديدة ، مما أدى الى مصادرة نحو ٢٠ بالمئة من مساحة البلدة القديمة . وطرد أكثر من ٦٠٠٠ عربي خارج الأسوار ، ومصادرة نحو ٦٤٠ عقاراً وهدم نحو ١٣٥ عقاراً آخر .

اضافة الى ذلك اقدمت السلطات الاسرائيلية على إبعاد وترحيل أعداد كبيرة من سكان منطقة القدس ، وذلك تحت اسباب وذرائع عديدة ، بحيث نجحت تلك السلطات في «تحويل النسبة السكانية في القدس الى ٣ : ١ لصالح اليهود[8] ، بما في ذلك القدس الغربية .

وتحت عنوان الصراع الديموغرافي في القدس ايضاً ، وضعت المخططات والمشاريع التفريغية التهويدية المتلاحقة ضد القدس ، والتي كان اقربها وابرزها مشروع شارون لتسمين المستوطنات اليهودية القائمة في القدس . اقامة المزيد من المستوطنات ، بحيث يجري اقامة طوق استيطاني كامل حول المدينة ، يرفع عدد المستوطنين اليهود فيها الى نحو مليون يهودي - صحيفة معاريف تاريخ ٨/٥/١٩٩١ .

جـ - مصادرة الأراضي :

بعد أن قامت السلطات الاسرائيلية بتهويد كافة الأراضي والممتلكات العربية في القدس الغربية بعد احتلالها عام ١٩٤٨ ، كذلك أصدرت تلك السلطات عدة قرارات على مدى العقدين الماضيين ، تمكنت عبرها من مصادرة مساحات واسعة من الأراضي في منطقة القدس الشرقية ، واقامة مستعمرات يهودية فوق معظمها ، ومن تلك الأراضي المصادرة[٩] :

١ - في ١٤/٤/١٩٦٨ مصادرة ١١٦ دونماً لتوسيع «الحي اليهودي» في البلدة القديمة من القدس ، وتضم المنطقة ١٠٣٨ منزلاً سكنياً ، و ٤٣٨ متجراً ، وعدداً من المساجد الوقفية والخيرية ، وكان يقطن في المنطقة نحو ١٥ الف مواطن عربي .

٢ - بتاريخ ٨/٢/١٩٦٨ ، اصدرت السلطات الاسرائيلية أوامر بمصادرة ٣٣٤٥ دونماً في الهضبة الفرنسية ، و ٤٨٥ دونماً في ضاحية النبي صموئيل .

٣ - مصادرة ٢٠٨٤ دونماً من أراضي منطقة جبل المكبر .

٤ - مصادرة ٦٧٥ دونماً في بيت حنينا الجديدة في شهر آذار / ١٩٦٨ .

٥ - مصادرة ٣٣٦٠ دونما في كانون ثاني/١٩٦٨ ، وذلك في جبل المشارف (سكوبس).

٦ - وفي آب ١٩٧٥ ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على تنفيذ أكبر عملية لمصادرة الأراضي في القدس ، إذ أعلنت عن مصادرة ١٣٦٨٠ر١٣ دونماً بموجب قانون الأراضي (استملاك للمصلحة العامة) لعام ١٩٤٣ ، وقد وزعت هذه الأراضي لصالح المستوطنات اليهودية.

٧ - الاستيلاء على مساحة ٤٤٠٠ دونم تقريباً بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٠ في المنطقة الواقعة شمالي القدس الشرقية بين النبي يعقوب والتلة الفرنسية . على طريق القدس - رام الله - وهي تابعة لقرى حزما وعناتا وشعفاط .

هذا وقد أشارت المعطيات الواردة في احصاءات مختلفة الى استيلاء السلطات الاسرائيلية على «نحو ٥٦ ألف دونم من أصل ٦٣ الف دونم هي مساحة القدس الشرقية حسب الحدود البلدية التي رسمت عام ١٩٦٧[١٠].

راعت السلطات الاسرائيلية في عمليات المصادرة المتلاحقة للأراضي العربية في القدس ، تجنب المس قدر الامكان باملاك الوقف الاسلامي والأماكن المقدسة ، وذلك خشية اثارة

ردود فعل عالمية ، غير ان تلك السلطات لم تحافظ على هذا التكتيك طويلاً ، اذ قامت بانتهاك حرمة الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية على حد سواء مراراً ، وكان أبرز تلك الانتهاكات وأخطرها هو مذبحة الاثنين التي نفذت في باحة الأقصى المبارك .

اضافة لذلك « انتهجت السلطات في عمليات الاستيلاء على الأراضي والممتلكات العربية ، خطأ اعلامياً يهدف الى التخفيف من أهمية الحدث كمنع الاذاعة من بث الخبر والطلب من محرري الصحف عدم إبرازه في الصفحات الأولى ، وتكليف موظف عادي بالرد على استفسارات الصحفيين ، وكانت الخطة الاعلامية تستند في كل مره الى أن تتم المصادرة تحت شعار المصلحة العامة ، وان أصحاب هذه الأراضي سيحصلون على تعويضات كاملة ، وانه ستقام على الأراضي المصادرة مساكن للسكان العرب أيضا »[١١] .

د - على الصعيد العمراني :

استمراراً للسياسة ذاتها ، الهادفة الى تفريغ المدينة المقدسة وتهويدها ، عملت السلطات المدنية الاسرائيلية منذ عام ١٩٦٧ ، على عرقلة وتعطيل وشل قطاع البناء العربي في منطقة القدس ، بغية محاصرة السكان العرب في أماكن سكنهم أولاً ، والضغط عليهم بحكم التزايد السكاني والازدحام المتزايد لاجبارهم على الرحيل عن القدس ، ثانياً ، تمهيدا للاستيلاء على الأراضي واقامة المستعمرات اليهودية عليها ثالثاً .

وضمن هذا التوجه وضعت السلطات البلدية الاسرائيلية « إجراءات وشروطاً معقدة لمنح رخص البناء للمواطنين العرب ، وبالرغم من رفض الغالبية العظمى من طلبات البناء ، فان ما تم الموافقة عليه لم يتم الا بعد أشهر وربما سنوات .. بهدف الابطاء بقدر الامكان في التوسع العمراني العربي » [١٢]، هذا اضافة للرسوم الباهظة التعجيزية التي فرضتها تلك السلطات على العرب المتقدمين بطلبات الحصول على رخص بناء ، مما اضطرهم الى الانسحاب والتراجع وعدم استكمال المعاملات ، أو تجنب تقديمها من الأساس ، وتشير الأرقام الى «أن ٧٢٠ طلب بناء قدمت سنوياً لبلدية القدس من قبل المواطنين العرب ، أي بمعدل ١٥ طلب اسبوعيا[١٣]، الا ان نسبة الطلبات التي وافقت عليها البلدية كانت ضئيلة جداً .

ونتيجة لعملية العرقلة هذه ، التي تواصلها تلك السلطات حتى يومنا هذا ، فقد اضطر عدد من المواطنين العرب في مراحل متفاوتة ، الى بناء مساكن لافراد عائلاتهم ، خارج حدود امانة القدس ، بغية حل الضائقة السكنية التي يعانون منها ، غير ان تلك السلطات واصلت المطاردة على هذا الصعيد أيضا ، ولجأت الى اصدار قرارات بهدم البيوت العربية غير المرخصة، إذ «بلغ عدد البيوت التي تم هدمها في منطقة القدس تحت الحجة المذكورة حتى عام ١٩٨١ ، ما مجموعه ٥٤٨ بيتاً» ، علماً بأن الأرقام الحقيقية قد تكون أكبر من ذلك بكثير نظراً لسياسة التعتيم التي تفرضها السلطات الاسرائيلية على مثل هذه الاجراءات .

وفي ظل الانتفاضة المجيدة على سبيل المثال اقدمت السلطات الاسرائيلية على «هدم ٧١ منزلاً» عربياً في منطقة القدس منذ بداية الانتفاضة وحتى نهاية عام ١٩٩٠ ، كما اغلقت ١٢ منزلاً اخر - عن تقرير لدائرة شؤون الوطن المحتل التابعة لمنظمة التحرير في عمان .

هـ - على صعيد التعليم والقضاء :

لعل الاجراءات التهويدية على صعيد التعليم والقضاء النظامي والاسلامي في القدس ، كانت من أسرع وأبرز تلك الاجراءات التهويدية . فمنذ الأيام الأولى للاحتلال الاسرائيلي للقدس . شملت اجراءات ومخططات التهويد للمؤسسات التعليمية العربية ، ومناهجها ، اذ اخضعت السلطات الاسرائيلية تلك المؤسسات ومناهجها للإشراف الإداري الاسرائيلي ، وفي هذا النطاق «مارست ارهاب رجال التعليم ، وسجن مدير التربية والتعليم ومساعده لعدم تعاونهم معها ، وقامت بابعاد الكثير من المعلمين ، ووضع القيود المشددة على المؤسسات واستيعابها »(١٥) .

لقد أصدرت تلك السلطات الأوامر القاضية بفتح المدارس بالقوة ، بعد أن رفض المعلمون العرب التعاون معها ، واجبرت اعداداً منهم على الالتحاق بها ، ونتيجة لتصدي الفلسطينيين واحجامهم عن التعاون مع تلك السلطات أصدرت هذه قانونا جديداً اسمته «قانون الإشراف على المدارس سنة ١٩٦٩ » ، حيث نص القانون على الإشراف الاسرائيلي الكامل على جميع المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية والطائفية ، وخاصة بعد أن تحولت اعداد كبيرة من

الطلاب الى المدارس الأهلية والطائفية وفي الاطار نفسه ، فرضت السلطات الاسرائيلية ، برامجها التعليمية على المدارس العربية ، والتي تهدف الى القضاء على الروح الوطنية والقيم الروحية والحضارية العربية ، عبر دس طريقة التفكير والفهم الاسرائيلية أزاء كل هذه الأمور.

وفي مجال القضاء العربي النظامي والاسلامي أيضا [١٦]؛ أقدمت السلطات الاحتلالية الاسرائيلية منذ الأيام الأولى للاحتلال على الغاء القوانين الاردنية واغلاق أبواب جميع المحاكم النظامية ونفذت مجموعة اجراءات تهويدية ، والحاقية لهذه المؤسسات بادارتها واشرافها ، ومن ضمنها نقل مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس الى رام الله ، ودمج محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الاسرائيلية المماثلة والقائمة بالطرف المحتل سابقا من المدينة ، وفصل القضاء النظامي والموظفين العرب بالقدس عن شؤون الضفة الغربية والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلي.

وقد كان الرفض العربي في المدينة المقدسة لتلك الاجراءات الاسرائيلية رفضاً واسعاً ، وخاصة على مستوى رجال القانون والقضاء وقضاة الشرع الاسلامي ، مما حدا بتلك السلطات الى ابعاد الشيخ عبدالحميد السائح من القدس الى عمان ، في محاولة مكشوفة منها للضغط على رجال القضاء والشرع الاسلامي للخضوع الى ادارتها .

ورغم ذلك استمر الرفض العربي للتعاون مع السلطات المحتلة ، وانضم الى محامي وقضاة القدس في ذلك ، محامو وقضاة الأراضي المحتلة ، ولا تزال ظاهرة الرفض هذه مستمرة جزئيا في المدينة المقدسة ، وخاصة على مستوى قضاة الشرع الاسلامي ، وذلك على الرغم من التحكم الاحتلالي شبه الكامل بالمؤسسات القضائية ، ورفض اجهزة الاحتلال تنفيذ احكام وقرارات المحاكم الاسلامية ، مثل عدم اعترافها بشهادات الزواج والطلاق والارث والوصاية والوقف وغيرها مما له علاقة مستمرة يومية بالأحوال الشخصية . - انظر بهذا الخصوص - روحي الخطيب ؛ «المؤامرات الاسرائيلية على القدس مابين ١٩٦٥-١٩٧٥- .

ومن الجدير بالاشارة ان صراع الاشراف والسيطرة ما يزال محتدماً بين سلطات الاحتلال والمجلس الاسلامي الأعلى وأجهزة القضاء العربية ، وقد ازداد هذا الصراع حدّة في ظل الانتفاضة الفلسطينية المباركة ، غير ان ذروته باتت ساطعة في أعقاب مذبحة الاثنين في باحة الأقصى المبارك في الثامن تشرين أول/ أكتوبر ١٩٩٠ ، حيث اتخذت سلطات الاحتلال

قرارات تقضي باتخاذ تدابير تجرد المجلس الاسلامي والأوقاف من سيطرتها على الأمور في القدس والأماكن المقدسة .

و - على صعيد الاقتصاد :

كما في المجالات سابقة الذكر ، كذلك في مجال الاقتصاد ، اتخذت السلطات الاسرائيلية جملة واسعة مستمرة من الاجراءات والقرارات التي من شأنها تحقيق هدف التهويد لكل شيء في المدينة المقدسة ، فحاصرت الغرفة التجارية ونشاطاتها والمؤسسات التجارية والاقتصادية المختلفة . وفرضت عليها القيود المشددة ، كما فرضت القيود على حرية الحركة التجارية وسيطرت على أسواق القدس ، وفرضت بشكل سافر القوانين والأوامر الاسرائيلية على الاقتصاد ، كما فرضت النظام الضريبي الاسرائيلي كاملاً على أهل القدس ، وذلك بغية الحاق التهويد الاقتصادي بالتهويد السياسي والاداري للقدس ، وقد وصلت الأمور في مرحلة من المراحل الى درجة سعي تلك السلطات الى محاولة تهويد حتى الرغيف المقدسي*.

هـ - طوق الاستيطان اليهودي :

الى جانب جملة الاجراءات الحصارية التهويدية السابقة ، شرعت السلطات الرسمية الاسرائيلية باتخاذ الخطوات العملية لاقامة الطوق الاستيطاني البشري اليهودي في مدينة القدس وماحولها ، وذلك في أعقاب احتلالها مباشرة ، إذ «اتخذت الحكومة الاسرائيلية في أول جلسة عقدتها بعد الحرب في ١١ حزيران / ١٩٦٧ ، قراراً بالبدء باستيطان القدس»[١٧].

ومنذ ذلك القرار تلاحقت القرارات والمخططات والاجراءات التهويدية ، لدرجة انه يمكن وصف حركة الاستيطان والتهويد للقدس العربية بأنها كانت في حالة اندفاع جنونية في معظم المراحل ، وكان واضحاً من الخطوات الأولى في هذا الاطار ، التي بدأت في عام ١٩٦٧ ،

* الطرح هنا بعناوين عريضة اذ ليس هنا مجال بحث هذه الاجراءات بالتفصيل ، حيث يقتصر التحليل في هذه الدراسة على البعد السياسي/ الايدولوجي .

ان السلطات الاسرائيلية وضعت في مقدمة اهدافها في المرحلة الأولى اقامة الاتصال الجغرافي الديموغرافي ما بين القدس الغربية ، والجيب الاسرائيلي في جبل الزيتون الذي ضم انذاك مباني الجامعة العبرية ، ومستشفى هداسا ، وكذلك إيجاد طوق من المستعمرات اليهودية يفصل ما بين القدس العربية والتجمعات السكانية العربية الواقعة بشكل خاص شمالي المدينة على طريق القدس – رام الله ، وشرقيها على طريق القدس – أريحا . – راجع بهذا الخصوص كتاب القدس : تشكيل جديد للمدينة ، لعبد الرحمن ابو عرفه – .

وكانت السلطات الاسرائيلية قد بدأت في مرحلة مبكرة وقبل انتقالها الى خارج اسوار البلدة القديمة ، بترحيل السكان العرب وهدم منازلهم كما ذكر سابقاً ، في حي المغاربة ، والحي اليهودي داخل البلدة القديمة ، مما ترتب عليه «اخلاء نحو ٩٠٠ عائلة عربية من الحي ، والاستيلاء على « مساحة تعادل أربعة اضعاف مساحة الحي اليهودي الذي كان قائماً قبل عام ١٩٤٨ »[١٨].

ولابد من الاشارة المشددة في هذا الاطار الى مخطط شارون لتهويد القدس الذي كشفت صحيفة معاريف النقاب عنه في ٨/٥/١٩٩١ ، والذي يقضي بتسمين المستوطنات اليهودية واقامة المزيد من المستوطنات ، لاستيعاب مليون يهودي في اطار طوق استيطاني محكم على مدينة القدس .

و – مشروع القدس الكبرى

لقد جاءت مختلف المخططات والاجراءات الاسرائيلية الرامية الى تهويد القدس ، ضمن اطار ما اطلق عليه اسم «مشروع القدس الكبرى» ، الذي يضم مدن القدس ، رام الله ، البيرة ، بيت ساحور ، بيت جالا ، بيت لحم ، اضافة الى ٦٠ قرية عربية ، فيما يلي تفاصيل هذا المشروع الخطير كما أوردته صحيفة معاريف الاسرائيلية : « تحددت الفترة الزمنية لتنفيذ المشروع ما بين عام ١٩٨٢ وعام ٢٠٠٢ ، وتمتد حدوده الجغرافية من قرية سنجل في لواء رام الله شمالاً ، الى قرية بيت فجار جنوب الخليل ، والخان الاحمر شرقا ، ويبلغ طول المشروع حوالي (٤٥) كم من الشمال الى الجنوب ، و (١٥) كم من الشرق الى الغرب ،

وتبلغ المساحة الكاملة له نحو ٤٤٦,٢٧٩ دونماً موزعة كما يلي :

١ – مساحة المناطق المخصصة للاسكان العربي والمسماة «المناطق الحمراء» حوالي ٥٩ الف دونم ، أي ١٣٪ من مساحة المشروع .

٢ – مساحة المناطق المخصصة للاسكان اليهودي المسماه «المناطق الصفراء» حوالي ٧٦٫٦٠٨ دونمات ، أي ١٧٪ من مساحة المشروع .

٣ – مساحة المناطق المخصصة للحدائق العامة والمسماه «المناطق الخضراء» ، حوالي ٢٨٫٨٢٠ دونم ، أي ٦٫٥٪ .

٤ – مساحة الطرق والتي تشمل منطقة المطار حوالي ١٨٫٣٤٠ دونم ، أي ٤٪.

٥ – مساحة الأراضي الزراعية ٢٦٣٫٥٧٠ دونم ، أي ٥٩٫٥٪ »[١٩] .

لقد نفذت السلطات الاسرائيلية خطوات واسعة على طريق تحقيق هذا المشروع ، رغم عدم الاعلان رسمياً عن ضم المدن والقرى المذكورة اعلاه الى القدس ، غير انه تم الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي العربية واقامة المستعمرات اليهودية أو معسكرات الجيش الاسرائيلي فوقها .

وتجنباً للخوض في تفاصيل المشروع ، التي وردت في دراسات واصدارات عديدة تعالج موضوع القدس ، فاننا نكتفي بالاشارة الى أبرز أهدافه وهي [٢٠] :

١ – ضم جزء كبير من أراضي الضفة الغربية الى «اسرائيل» فالقدس في السياسة الرسمية الاسرائيلية «عاصمة اسرائيل الأبدية» ، والحاق اي مساحة من أراضي الضفة لها يعني اخضاعها للقانون الاسرائيلي أيضا ، وتتراوح مساحة الأراضي التي سيتم اخضاعها من الضفة ، بموجب هذا المشروع ما بين ٤٠٠ – ٥٠٠ كم^{٢} .

٢ – عزل القدس عن الضفة الغربية التي ستصبح قسمين منفصلين : قسم شمالي مركزه نابلس وقسم جنوبي مركزه الخليل .

٣ – تجزئة الضفة الغربية جغرافيا ، وتفتيت التجمعات السكانية العربية ، بواسطة شبكات الطرق الرئيسية بالقدس ، والتي تخدم المستعمرات اليهودية ، والحركة والتحركات العسكرية الأمنية ، وبالتالي تحويل المدن العربية الى مجرد أحياء صغيرة في اطار هذا المشروع .

٤ - منع المواطنين العرب من البناء على مساحات واسعة من الأراضي ، حيث تم تحديد مساحة ٢٩٢٫٣٩٠ دونماً للحدائق العامة والمناطق الزراعية .

أما الأطواق الاستيطانية البشرية اليهودية التي اقيمت في اطار المشروع ذاته ، فهي بالعناوين وكما وردت في مصادر عديدة (٢١) :

الطوق الأول : يهدف الى محاصرة التجمع العربي داخل اسوار القدس العربية والعمل على تفتيته وترحيل سكانه ، ويشتمل على «الحي اليهودي» الذي امتدت مساحته لتقضم من احياء «المغاربة» و «الباشوره» و «السلسلة» ، والمركز التجاري الرئيسي الذي يمتد على مساحة ٢٧٠٠ دونم في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية من البلدة القديمة ، والحديقة الوطنية حول سور القدس القديمة من الجهتين الشرقية والجنوبية ، ويطلق عليها ايضا اسم «الحزام الأخضر» حول سور القدس وقد وضع المشروع بعد احتلال القدس مباشرة حيث شرعت السلطات الاسرائيلية باخلاء السكان العرب من الأحياء الواقعة قرب السور .

الطوق الثاني : يعزل هذا الطوق المدينة الغربية عن التجمعات السكانية العربية الواقعة في الجهتين الشمالية ، والجنوبية منها ، ويضم عدداً من المستعمرات اليهودية هي :

أ - رامات اشكول ، اقيمت عام ١٩٦٨ في منطقة الشيخ جراح شمال غرب القدس .

ب - معالوت دفنا - اقيمت عام ١٩٧٣ ، شمال القدس ، وتشكل امتداداً لحي رامات اشكول .

جـ - سانهدريا ، اقيمت عام ١٩٧٣ الى الشمال الشرقي من القدس .

د - النبي يعقوب ، اقيمت عام ١٩٧٣ على الجانب الشمالي الشرقي من طريق القدس - رام الله .

هـ - التلة الفرنسية - بدء في اقامتها عام ١٩٦٩ شرقي جبل المشارف على طريق القدس - رام الله .

و - الجامعة العبرية - بديء في اقامتها عام ١٩٦٩ .

ز - تلبيوت الطالبية الشرقية - اقيمت عام ١٩٧٣ على أراضي جبل المكبر وصور باهر والتل الجنوبي .

ح - راموت - اقيمت عام ١٩٧٣ على أراضي قرية بيت اكسا وبيت حنينا .

ط - جيلا - شرفات - اقيمت عام ١٩٧٣ قرب بين صفافا جنوب غرب القدس .

ي - جبعات همفتار - اقيمت عام ١٩٧٣ شمالي شرقي القدس ، على أراضي تل الذخيرة في منطقة الشيخ جراح .

ك - عطاروت - مستعمرة صناعية اقيمت شمال القدس منذ عام ١٩٧٠ .

الطوق الثالث : اقامت السلطات الاسرائيلية في اطار هذا الطوق عدداً من المستعمرات اليهودية هي :

أ - الكانا - اقيمت على أراضي قرية مسحة عام ١٩٧٧ .

ب - كندابارك - متنزه اقيم عام ١٩٧٦ في منطقة اللطرون ، وعلى أراضي قرى يالو عمواس - بيت نوبا التي دمرت اثناء عدوان ١٩٦٧ .

جـ - كفار عصيون - اقيمت عام ١٩٦٧ على طريق الخليل - بيت لحم وتوسعت لتمتد الى أراضي الخضر .

د - ايلون شفوت - اقيمت عام ١٩٦٩ في منطقة بيت لحم وتوسعت على حساب قريتي أرطاس وبيت اسكاريا .

هـ - روش تسوريم - واقيمت عام ١٩٦٩ على أراضي ارطاس ونحالين وبيت اسكاريا .

و - افرات - اقيمت عام ١٩٧٩ على أراضي الخضر ودقماق ونيس وقيقان .

ح - تكواع - اقيمت عام ١٩٧٥ جنوبي شرقي بيت لحم .

ط - جبعات حدشاه - بديء باقامتها عام ١٩٧٨ على حساب أراضي قرية الجيب وبدو وبيت اجزا .

ي - غفمون - اقيمت عام ١٩٧٧ على حساب أراضي الجيب .

ك - الموغ - اقيمت عام ١٩٦٨ في الشمال الشرقي للبحر الميت .

ل - معالية ادوميم - اقيمت عام ١٩٧٢ في منطقة الخان الأحمر ، على أراض تبلغ مساحتها ٧٠ الف دونم تعود لقرى العيزرية وأبو ديس والعيسوية والعبيدية والسوامرة .

م - بيت حورون - اقيمت في نهاية عام ١٩٧٧ على أراضي قريتي بيت عور الفوقا وبيتونيا

ن - هارغيلو - اقيمت عام ١٩٧٦ في منطقة بيت جالا .

ز – الميزان الديموغرافي السكاني :

عملت السلطات الاسرائيلية منذ البدايات الأولى لاحتلال القدس الشرقية ، على تغيير معالم المدينة في كافة المجالات ، غير ان أهم مجال خطت فيه تلك السلطات خطوات واسعة هو المجال الديموغرافي – السكاني – فقد تمكنت من توطين ما مجموعه (١٢٤) الف مستوطن يهودي في المستعمرات اليهودية التي اقامتها خلال سنوات ٦٧ – ١٩٩٠ ، وذلك وفق التوزيع التالي كما أوردته صحيفة داڤار الاسرائيلية :

أ – في رامات اشكول ومعالوت دفنا وتقع مابين حي الشيخ جراح وقرية شعفاط – شمالي غربي القدس – (١١٦٠٠) مستوطن .

ب – في التلة الفرنسية – وتقع شمالي حي الشيخ جراح وشرقي قرية شعفاط – (٩٦٠٠) مستوطن .

جـ – في النبي يعقوب – وتقع شرقي قرية بيت حنينا وفي منتصف الطريق بين القدس ورام الله – (١٧٠٠٠) مستوطن .

د – راموت ، وتقع مابين قريتي النبي صمويل وبيت اكسا – غربي القدس – ٢٩٠٠٠) مستوطن .

هـ – انهدريا الموسعة – غربي حي الشيخ جراح بالقدس (٤٥٠٠) مستوطن .

و – بسنات زئيف – وتقع مابين قريتي حزما وشعفاط شمال شرقي القدس – (٦٥٠٠) .

ز – تلبيوت الشرقية ، وتقع مابين القدس وقرية صورباهر جنوبي القدس – (١٥٠٠٠) مستوطن .

حـ – جيلو – وتقع قرب مدينة بيت جالا ، جنوبي غربي القدس – (٢٨٠٠٠) مستوطن .

ط – الحي اليهودي في البلدة القديمة بالقدس – (٣٠٠٠) مستوطن .

(وجميع هذه المستعمرات ، باستثناء النبي يعقوب)

اقيمت على اراضي عربية مصادرة مابين ١٩٦٧–١٩٩٠وقد ضم بعضها ايضا الى مستعمرة النبي يعقوب[٢٢] .

أما بالنسبة للمواطنين العرب ، فقد ارتفع عددهم من « حوالي (٦٩) الف مواطن عربي في أعقاب الاحتلال عام ١٩٦٧ مباشرة ، الى حوالي (١٤٠) الف نسمة عام ١٩٩٠ ارتفاع عدد السكان العرب جاء نتيجة توسيع حدود القدس بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨ ، وضمهم اليها قرى الطور والعيساوية وشعفاط وقسما من بيت حنينا وضاحية البريد ومنطقة مطار القدس ، في حين ارتفع مجموع السكان اليهود من حوالي (١٩٠) الف نسمة في القدس الغربية عام ١٩٦٧ الى حوالي (٣٦١) الف يهودي في قطاعي القدس عام ١٩٩٠ »[٢٤] .

ح - مخططات التهويد المستقبلية :

مع تصاعد وتيرة الصراع على السيادة والوجود في المدينة المقدسة بين المواطنين العرب والسلطات الاسرائيلية ، وفي أعقاب تصاعد الانتفاضة الفلسطينية في المنطقة ، وطرح موضوع القدس في أكثر من مبادرة سياسية تسووية ، انتابت تلك السلطات حالة من الهستيريا الاستيطانية التهويدية العدوانية ضد المدينة المقدسة ، فتوالت المخططات والمشاريع الرسمية الاسرائيلية في هذا النطاق (عدا عن تلك ، غير الرسمية التي سنعالجها في جزء خاص بها) ، وتسارعت الى ان وصلت ذروتها في مشروع طرحه ارئيل شارون في الآونة الأخيرة يهدف الى غزو المدينة المقدسة بحوالي مليون يهودي من القادمين الجدد ، نورد فيما يلي المضامين الأساسية لأهم تلك المخططات والمشاريع التي كشف النقاب عنها عام ١٩٩٠ . والتي تشكل امتداداً لكل ما وضع ونفذ منها سابقاً :

فقد ذكرت صحيفة كول هعير الاسبوعية : «أن رئيس بلدية القدس الغربية تيدي كوليك ووزير الاسكان أرئيل شارون اتفقا على بناء ٤٠ الف وحدة سكنية في القدس وضواحيها للمهاجرين الجدد ، ووفق المخطط الموضوع فان هناك اتجاها لزيادة عدد اليهود في القدس الموحدة خلال السنوات القليلة الماضية من ٣٦١ الفا ، الى ٧٥٠ الفا »[٢٥] .

وأعلنت بلدية القدس رسميا عن «وجود خطة شاملة لترميم مخيم شعفاط»[٢٦] ، ثم عادت الصحف الاسرائيلية وسربت معلومات حول خطط ونوايا مبيتة تهدف الى اجتثاث مخيم شعفاط ، وتصفيته بسبب دوره في اذكاء فعاليات الانتفاضة .

واشارت صحيفة هآرتس الى «تقديم البروفسور رعنان فايس والمهندس داڤيد رزنك لمشروع اطلق عليه اسم «بوابات القدس» يقضي ببناء مساكن استيطانية جنوب مدينة القدس تستوعب ١٠٠ الف عائلة من الاتحاد السوفياتي ، تضم حوالي ٤٠٠ الف نسمة»(٢٧)

وفي نطاق دراسة موسعة أوردتها صحيفة هآرتس في نهاية أيلول / ١٩٩٠ ، حول فعاليات الانتفاضة في منطقة القدس ، المخططات والاجراءات الاسرائيلية الرامية الى محاصرتها وخنقها ، كشفت الصحيفة النقاب عن خطة اسرائيلية - مبيتة - ترمي الى توطين أعداد كبيرة من اليهود ، في المناطق الفاصلة بين الأحياء العربية والمستعمرات اليهودية في منطقة القدس ، وقد اتخذت سلسلة قرارات في هذا النطاق تشكل رداً على ما وصفته المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية بسيطرة المواطنين العرب على مناطق معينة في القدس » (٢٨).

واضافت الصحيفة الاسرائيلية قائلة : ان تنفيذ تلك القرارات يضع القدس امام وضع جديد ، بحيث يصبح المستوطنون اليهود فيها بعد ثلاث سنوات أغلبية ، في حين يتحول العرب الى أقلية .. ان وتيرة البناء الحالية في القدس تذكر بعهد البناء المكثف في سنوات السبعين » (٢٩).

ثم عادت الصحف الاسرائيلية المختلفة الصادرة في منتصف تشرين اول / اكتوبر سنة ١٩٩٠ لتتحدث عن خطة جديدة تنطوي على المضمون السابق ذاته ، مقتبسه في ذلك قولاً مشهوراً لبن غوريون قاله امام تيدي كوليك وموشيه ديان وبنحاس سبير في اعقاب احتلال القدس الشرقية مباشرة : "يجب ان نقوم بتوطين عشرات آلاف اليهود في المدينة خلال فترة قصيرة" .

وفي منتصف تشرين اول ١٩٩٠ نفسه "أقرت اللجنة الوزارية الاسرائيلية لشؤون الاستيعاب خطة تقضي ببناء ٤٠ الف وحدة سكنية جديدة ، معظمها في منطقة القدس الشرقية " (٣١) .

وكان اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلي قد صرح في مطلع الشهر ذاته قائلاً "سيتم قريباً بناء حي يهودي جديد بين جبل الطور ومستشفى اوغستا فكتوريا في القدس " (٣٢) ، وقد اعتبر تصريح شامير هذا احد الاسباب التي ادت الى مذبحة الاثنين في الحرم القدسي الشريف في الثامن من تشرين اول سنة ١٩٩٠ .

كما لابد من الاشارة هنا مجدداً الى خطة شارون لبناء الطوق الاستيطاني الواسع حول مدينة القدس . التي اشارت اليها صحيفة معاريف ٨/٥/١٩٩١ ، والتي اشرنا اليها في مواقع سابقة من الدراسة .

تلك هي أهم وابرز المخططات والاجراءات الاسرائيلية الرسمية ازاء المدينة المقدسة وقد عرضناها على شكل عناوين اساسية وخطوط عريضة ، دون الغوص في تفاصيلها نظراً لان هناك العديد من الدراسات والكتب التي اهتمت بمعالجة التفاصيل غير اننا اردنا التاكيد على تلك العناوين في هذه الدراسة ، في ضوء الاهمية البالغة التي يحتلها هذا الجانب في تقييم الاوضاع السائدة في القدس ، وسبر احتمالاتها ومستقبلها .

وفي هذا السياق تأتي كذلك حركة الاستيطان والتهويد في البلدة القديمة من القدس والتي تقودها اضافة الى السلطات الرسمية مجموعة حركات وتنظيمات يهودية سرية وعلنية وهي بالتاكيد جزء لا يتجزأ من السياسة العامة الرامية الى تهويد القدس ، وتحظى تلك الحركات والتنظيمات بالغطاء الكامل من السلطات الرسمية ، وفي معالجة ممارساتها على هذا الصعيد من المفيد ان نفرد لها جزءاً خاصاً بها .

ثانياً : حركة الاستيطان والتهويد في البلدة القديمة من القدس :

البلدة القديمة من القدس العربية المحتلة ، هي قلب فلسطين النابض ، والمعلم الخالد الذي يروي احداث العصور الغابرة وينطق بقدسية وطهارة هذا المكان ، باحتوائه شواهد تاريخية / دينية ، ترتقي مكانتها عالياً في نفوس المسلمين والمسيحيين من العرب وغير العرب ، وفي مقدمتها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسجدي الاقصى المبارك والصخرة المشرفه ، وكنيسة القيامة التي يحج اليها المؤمنون بالمسيحية من كل صوب ، علاوة على مختلف الأماكن والمعالم الاسلامية التي تمثل حقب التاريخ العربي الاسلامي .

تتعرض البلدة القديمة هذه منذ احتلالها على أيدي بني صهيون في أعقاب عدوان الخامس من حزيران/ ١٩٦٧ لموجات متلاحقة من الاعتداءات والانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان العربي المسلم والمسيحي على حد سواء فيها ، كما تتعرض منذ ذلك الوقت الى هجمات

متلاحقة من ممارسات التفريغ والتهويد ، وذلك في اطار المخطط الاسرائيلي الواسع المشار اليه انفاً والرامي الى تحقيق الأحلام الصهيونية في تفريغ كامل القدس من أصحابها العرب وتهويدها بالكامل كذلك لتغدو «عاصمة اسرائيل الموحدة والأبدية» كما يتوهمون .

واصلت السلطات الاسرائيلية الرسمية . كما واصلت مختلف الأجهزة والحركات الاستيطانية خطواتها على طريق تحقيق ذلك المخطط ، في ظل صراع محتدم دائم عنيد ، تمكن فيه الفلسطينيون من احباط موجات من الهجمات والاعتداءات ومحاولات التهويد ، في حين نجحت تلك السلطات والحركات من جهة أخرى في احتلال وتهويد العديد من المواقع تحت سوط الارهاب والقمع .

وقد اشتدت وتصاعدت اجراءات الاحتلال في البلدة القديمة من القدس ، في ظل اشتعال واستمرار الانتفاضة الفلسطينية ، وغدا ذلك المخطط التهويدي الذي تظهر السلطات الاسرائيلية والحركات الاستيطانية عزماً واصراراً يدقان ناقوس الخطر بزوال الوجود العربي الاسلامي عن هذه المدينة الخالدة ، والذي يستصرخ الامة العربية والاسلامية بصوت عالٍ وحزين : «انقذوا القدس القديمة من خطر الاستيطان والتهويد» .

لا جدال في ان الهدف الاستراتيجي الفعلي والابعد لذلك المخطط الاسرائيلي هو تفريغ المدينة المقدسة من المواطنين العرب أو ترحيل أكبر عدد منهم على أن يتم - وهذا ما يجري فعليا كما اشرنا في الجزء السابق - عزل ومحاصرة من يتبقى منهم في اطار تجمعات سكانية قليلة العدد وسط قلاع المستعمرات اليهودية ، ولذلك وفي اطار هذا الهدف الاستراتيجي تعرضت البلدة القديمة من القدس على وجه الخصوص الى سلسلة متلاحقة من القرارات والاجراءات والانتهاكات ، الهادفة الى فرض الحقائق الاستيطانية على البلدة القديمة ، لا بد لنا هنا من ان نلقي الضوء أولاً وقبل الدخول في التفاصيل ، على الحركات والمنظمات الاستيطانية والارهابية اليهودية النشطة في البلدة القديمة من القدس :

أ - الحركات والمنظمات الاستيطانية اليهودية :

أوردت تقارير مختلفة عبرية وعربية وصلت من الأرض المحتلة ، تفاصيل هامة تتحدث

عن الحركات والمنظمات اليهودية السرية والعلنية المكشوفة التي عملت وما تزال في منطقة البلدة القديمة من القدس ، سواء على صعيد خطوات التفريغ والتهويد ، أو على صعيد الارهاب ضد المواطنين العرب ، فيما يلي اهم تلك التفاصيل(٣٢) :

١ - « امناء جبل البيت » - يتزعم هذه الحركة « غرشون سلمون » الذي قاد مجموعته كما هو معروف لوضع حجر الأساس للهيكل الثالث في باحة الحرم القدسي الشريف في الثامن من تشرين أول / ١٩٩٠ ، وهذه المحاولة هي التي قادت بدورها الى مذبحة الاثنين التي اقترفت ضد المصلين العرب .

٢ - « معهد المقدسات » - يترأسه الحاخام أرئيل ، حاخام المدرسة الدينية في ياميت سابقاً ، وموشيه نيمان ، وهو الرجل الثاني في حركة كاخ اليمينية المتطرفة .

٣ - حركة « نظرية جبل البيت » - وهي حركة منافسة للمعهد وتعمل بموجب نظرية دينية متزمتة .

٤ - « عطرات كوهنيم » - مدرسة دينية يهودية ، يتم اعداد رجال الدين فيها ، ويرأسها الحاخام شلومو حاييم هاكوهين ابنير ، وهو الراب السابق لمستوطنة « كيشيت » في هضبة الجولان ، وقد تشكلت هذه المدرسة عام ١٩٧٨ ، وكرست نفسها لتدريس اصول الكهنوتية اليهودية المتعلقة بخدمة « قدس الأقداس » « هيكل سليمان » ويمكن وصفها بانها نخبة من مدارس حركة غوش ايمونين ، وقد تلقت هذه المدرسة دعماً كبيراً من وزارات اسرائيلية مختلفة على شكل مواقع واملاك وأموال وصلت الى ملايين الدولارات ، منها اكثر من خمسة دفعت للارمني مستأجر دير ماريوحنا والذي بدوره تنازل عن الايجار لصالح هذه المدرسة ، كما تلقت وتتلقى مساعدات مالية من مجموعات مسيحية اصولية في الولايات المتحدة ، وتعمل هذه الرابطة في مجال الاستيلاء على البيوت والأراضي العربية في البلدة القديمة .

٥ - « كوليك هكوهنيم لدراسة المقدسات » - يرأسها الراب دسوبسكي ، ويرتدي افرادها القبعات السوداء جداً .

٦ - الحركة من أجل اقامة الهيكل - يرأسها يوئال لرنز - وهو أحد أبرز قادة التنظيم الارهابي اليهودي الذي اعتدى على رؤساء البلديات العرب .

٧ - «دوريات جبل البيت» - حركة متفرعة عن الحركة من أجل اقامة الهيكل ، وتقوم بتنظيم دوريات وجولات في الحرم القدسي الشريف .

٨ - «المجموعة الدينية المتعصبة» - يقوم افراد هذه المجموعة بجولة اسبوعية في الحرم القدسي من أجل اقامة الهيكل .

٩ - «رابطة جبل البيت» - منظمة قليلة النشاط .

١٠ - «الرابطة الى جبل البيت» - تأسست عام ١٩٧١ ، وضمت في صفوفها نشطاء رجال الدين في المدرسة الدينية «مركاز هراب» و «عطرات كوهنيم» ومدرسة «بني عكيف» و «دوريات صهيون» وغيرها .

١١ - «هيئة العمل من أجل جبل البيت» - محاولة منيت بالفشل عام ١٩٨٨ ، وسعت الى توحيد كل المنظمات اليهودية العاملة في موضوع «جبل البيت» .

١٢ - شركة «هيمنوتا» - شركة سرية تفرعت عن الصندوق القومي الاسرائيلي عام ١٩٣٨ ، وتعمل على الاستيلاء على البيوت والأراضي العربية في منطقة القدس .

١٣ - «توراة كوهنيم» - مجموعة انشقت عن «عطرات كوهنيم» في مطلع سنوات الثمانين ، وهي أيضا مدرسة دينية تابعة لحركة غوش ايمونيم ، يقف على رأسها الراب بتروفر وهو الراب السابق للقدس القديمة .

١٤ - «حركة اسرائيل الشابة» - شكل هذه الحركة الراب نحمان كاهان وزوجته ، بعد ان استوطن في البلدة القديمة ، وهي المجموعة الثالثة في ائتلاف «عطرات كوهنيم» .

١٥ - «شوفو بنيم» - افرادها متدينون متعصبون من أتباع الحاخام المشهور نحمان ، وقد اظهروا عنفهم وسلوكهم الفظ أكثر من غيرهم من المجموعات الاستيطانية ، ويتكون اعضاؤها من مئات من الطلاب المجرمين التائبين ، ويمول نشاطاتها الثري اليهودي الامريكي افراهام ديويك ، وهو من أصل سوري وصديق شخصي لأرئيل شارون .

١٦ - «عطراه ليوشنا» - وهي منظمة تعني بالعربية «جمعية احياء الاستيطان في القدس القديمة» ، وجرى تشكيلها عام ١٩٧٩ ، على ايدي اقطاب «توراة كوهنيم» وحركة اسرائيلي الشابه ، وهدفها «استرجاع الاملاك اليهودية في القدس» .

وتعمل هذه المنظمة على شكل ائتلاف لكل المجموعات الاستيطانية في البلدة القديمة من أجل : تحديد مواقع التهويد ، وشراء ، أو الضغط على الفلسطينيين لاجبارهم على ترك منازلهم ، من أجل تكثيف التواجد اليهودي ، وتتلقى المنظمة الدعم من «دائرة أراضي اسرائيل» وغيرها .

١٧ - نشطاء مستقلون اخرون - أبرزهم رجال دين مثل الحاخام غورن ، والياهو ليئور ، وكورن .

ب - الاستيلاء على البيوت والمباني في البلدة القديمة :

منذ المراحل الاولى للاحتلال ، قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة وهدم حي المغاربة اللاحق للسور الغربي للحرم الشريف (البراق - المبكى) ، ومباشرة رصف ساحة شاسعة مكانه ، تقوم على أطرافها المرافق المعدة لتقويم الخدمات للزائرين والمصلين ، والاستيلاء على جميع بيوت السكن العربية المطلة على الساحة من جميع الجهات ، وبلغ مجموع ما تم مصادرته لهذا الغرض ١٦ دونما تضم (٥٩٥) بناية و (١٠٤) محلات تجارية ، وخمسة جوامع وأربع مدارس حسب احصائية أوردها المهندس ابراهيم الدقاق في دراسة له عن التغيرات الاجتماعية الديموغرافية في القدس(٣٤).

المرحلة الثانية كانت التوجه الى إزالة حارة الشرف من الوجود والشروع باقامة مجمع سكني مكانها ، أصبح اسمه «حارة اليهود» وقد امتدت هذه المرحلة بين ١٩٦٩ و ١٩٧٧.

وكانت قوات الاحتلال قد استولت بعد الحرب مباشرة بالقوة على مناطق مجاورة للحرم الشريف ، وفي نطاق ذلك قام الجيش بطرد السكان العرب من أحد المباني ، ثم اقيم فيه المدرسة الدينية اليهودية التي عرفت باسم «توراة حاييم» ، ودكان لبيع الكتب ، ومبانٍ أخرى في القرمي وعقبة الخالدية ، اما المباني الأخرى فقد بدأ الاستيلاء عليها في أواخر السبعينات ، منها مبان في الجهة الجنوبية من طريق باب السلسلة ، أو على اجزاء من مبان مثل الدور العلوي من مكتبة الخالدي ، وجزء من المدرسة الطشتمرية وهي مبنى اثري يدخل في وقف ذري آل الامام ، ثم امتد ذلك الى عقبة الخالدية وعقبة السرايا والسعدية وعقبة

التكية ، وطريق الواد ، وحوش البسطامي ، وعقبة الشيخ ريحان ، وحوش الحلو واماكن اخرى [٢٥].

كما قامت دائرة القيم العام الاسرائيلي التابعة لوزارة «العدل» بتسليم العقارات التي كان يسكنها اليهود قبل عام ١٩٤٨ ، والتي يتركز العديد منها في عقبة الخالدية وعقبة السرايا وطريق الواد ، والتي كانت قد وضعت تحت مسؤولية حارس املاك العدو في الحكومة الأردنية بعد عام ١٩٤٨ ، الى جمعيات الاستيطان اليهودية «عطراه ليوشنا» و «عطرات كوهنيم» ، حيث تم اخلاء هذه المباني . وفي نطاق ذلك تم الاستيلاء على مساكن احدى عشرة عائلة في عقبة الخالدية في حوش واحد ، وفي سنة ١٩٨٢ دخل الى الحوش المذكور عشرات من الشباب اليهود المتطرفين ، وشكلوا المدرسة الدينية التي اطلق عليها اسم «شوفو بنيم» وارتبط هذا الاسم منذ ذلك الحين بأكثر الممارسات عنفاً في نطاق محاولات الاستيلاء على البيوت العربية .

لقد انتهج المستوطنون اليهود اسلوب التهديد والمضايقات ، بقصد الامتداد وتخليص البيوت من أيدي سكانها العرب وترحيلهم عنها ، فقد قامت مجموعة «شوفو بنيم» بمحاولة تهجير العائلات العربية ، وكان اسلوبهم في ذلك العنف والمضايقات ، كما شكلت طرقهم في العبادة ازعاجاً متواصلا لهذه العائلات بالاضافة الى تعمدهم سد المجاري ، مما جعل مياهها تتسرب الى بيوت العائلات العربية التي تسكن تحتها وقيامهم بتكويم الزبالة امام البيوت ، ثم لجوئهم الى القتل كما فعلوا مع الشهيدة فاطمة ابو مياله التي قتلوها في بيتها عام ١٩٨٣ [٢٦].

هذا اضافة الى عاصفة من الاعتداءات التي قاموا بها بعد مقتل احد افراد مجموعتهم والهجوم على العرب في انحاء القدس ، وخاصة في عقبة الخالدية ، كما اقتحموا بيت محمود أبو سنينة واستولوا عليه ، ولجأوا في الاقتحام الى اسلوب احداث ثقب في جدران البيوت العربية والدخول منها .

ومارست مجموعات «عطراه ليوشنا» و «عطرات كوهانيم» نفس النهج ، اذ اقتحمت عقاراً عام ١٩٨٥ ، ثم قامت في السنة نفسها ، وتحت جنح الظلام باقتحام عقار آخر في حوش الشاويش قرب سوق العطارين ، كما قام افراد منهم بملاحقة المواطنة الحاجة رفيقة

السلايمة ، وانزلوها من بيتها واسكنوها غرفة أرضية مظلمة واخرجوا اثاث البيت واستولوا كذلك على منزل المرحوم جودت عبدالجواد الزرو في نفس المبنى ، علماً بأن عائلة الزرو كانت تقيم بصورة دائمة في المنزل ، اذ استغل المستوطنون قيام المرحومة الحاجة بهية الزرو وابنتها نائلة بزيارة الى عمان ، فاستولوا على المنزل ، واخفوا اثاثه بالكامل ، ومنذ ذلك الحين وعائلة الزرو تسعى لاستعادة البيت عن طريق احدى المحاكم الاسرائيلية في القدس(٣٧).

كما لجأت المجموعات اليهودية الى اسلوب الترغيب بمبالغ كبيرة من المال بغرض الاستيلاء على المباني العربية ، والى اسلوب الاحتيال بتوقيع عقود بيع مع مستأجرين ثانويين لهذه المباني أو حتى اشخاص لا يمتون لها بصلة ، وقد استولت تلك المجموعات بذلك على عدد من البيوت في طريق الواد وباب السلسلة .

ومن الطرق التي لجأت اليها السلطة الاسرائيلية في الاستيلاء على البيوت ، ما قامت به دائرة القيم على أموال الغائبين ، وذلك بوضع يدها على البيوت العربية التي يملكها مواطنون خارج الأراضي المحتلة ، وتأجيرها الى المستوطنين كطرف ثالث ، كما حصل في بيت المواطن عدنان خميس قرش في حارة السعدية وغيره .

لقد تكررت محاولات الاستيلاء على المناطق الخالية من السكان والتي تعود ملكيتها الى أطراف متعددة في أكثر من موقع في البلدة القديمة من القدس ، ومن ذلك محاولة المستوطنين السيطرة على اسطح الدكاكين لكل من سوق العطارين وسوق اللحامين وسوق الخواجات ، وذلك بعد سيطرتهم على حاكورة العبدة التي تعود ملكيتها لآل النسيبة وعائلات اخرى ، والمجاورة لهذه الأسطح ، وقام المستوطنون بوضع جسور على هذه الأسطح لتربط الحي اليهودي بحي الخالدية ، وانشاء مبان لهم ، وقد تصدت لهم الهيئة المحلية والاهالي .

ولجأوا الى المحاكم لأن ملكية هذه الأسطح تعود للوقف الاسلامي والوقف الذري لعدد من الأسر الفلسطينية .

وفي اطار القاء الضوء على أساليب المجموعات الاستيطانية اليهودية في الاستيلاء على البيوت العربية تحدث عدد من المواطنين المقدسيين عن بعض الأساليب .

فقد تحدث المواطن «أبو غازي» عن استيلاء المستوطنين من جماعة غوش إمونيم على بيت عائلة ادريس المكونة من ١٢ غرفة سكنية قائلاً : «فوجئنا في العام ١٩٨١ وفي منتصف الليل بقدوم جماعات يهودية متطرفة ، ترافقها وحدات من الجيش الاسرائيلي وشخصيات يهودية رسمية الى البيت ، وقامت بعملية اقتحام للجزء السفلي من البيت الذي يضم ٩ غرف ، وتسكنه أربع عائلات كانت وقتها في زيارة لاقاربها في عمان والخليل ، وذلك تحت ادعاء ملكيتهم القديمة للبيت ، وقد حاولنا بشتى الوسائل والطرق استرداد البيت ، لكننا وللأسف لم ننجح .. ومن هنا بدأت قصتنا مع «جيراننا اليهود» الذين حاولوا بمختلف وسائل الضغط والارهاب والاغراءات المادية اخراجنا من بيتنا في القسم العلوي من المبنى ، غير اننا رفضنا كل هذه الاساليب رفضاً قاطعاً ، وبقينا صامدين»[٣٨] .

وفي نطاق الممارسات ذاتها ، تعرضت العديد من المباني لاقتحامات مشابهة من قبل جماعات المستوطنين في احياء عديدة مثل باب السلسلة وحوش الشاي ، وحوش الحلو ، وعقبة الخالدية ، ومناطق أخرى .

جـ - تفريغ البلدة القديمة من سكانها العرب :

لا شك ان القدس المثلى كما يراها اليهود هي القدس الخالية تماما من العرب ، أو المقتصرة على نسبة ضئيلة منهم ، لذا بذلت السلطات الاسرائيلية وسخرت كل طاقاتها وصلاحياتها في هذا المجال ، اذ قامت وعلى مدى أشهر بعد وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ ، باجبار ودفع أكبر قدر من السكان العرب على مغادرتها ، وظلت الحافلات التابعة لشركة «ايغد» تشاهد مرابطة امام نقاط في القدس العربية مستعدة لنقل السكان مجاناً مع حوائجهم الى احد جسور الأردن .

كما امتنعت تلك السلطات عن ايجاد مساكن بديلة للمهجرين من حي المغاربة وحارة الشرف ، مما دفع بالكثيرين منهم الى الهجرة الى القرى والمدن الأخرى في الضفة الغربية ، وفي مراحل لاحقة ايضا ، اقامت تلك السلطات مشاريع اسكان ، أو ساعدت على اقامة مثل هذه المشاريع من أجل المساعدة في تحقيق هدف تفريغ السكان من داخل البلدة القديمة ،

ومن تلك المشاريع :

١ - مشروع وادي الجوز : يضم (٢٤) وحدة سكنية اقيمت على أراضي خاصة ، صودرت من اصحابها كمبرر لمصادرة مساحات واسعة اخرى لصالح المستوطنات اليهوديَّة .

٢ - مشروع نسيبه : اقيم في منطقة بيت حنينا على مراحل ، ويصل مجموع المساكن التي اقيمت هناك الى (٤٠) وحدة تم بناؤها بموجب مخططات هندسية متفق عليها مع وزارة الاسكان وبمساعدة البلدية .

٣ - اما خارج حدود البلدية فقد أقامت السلطات الاسرائيلية مشروعاً اسكانيا في منطقة العيزرية مكوناً من (٧٥) منزلاً منفرداً ، واعتزمت السلطات تطويره ليضم (١٥٠٠) عائلة ضمن مشروع «ابن بيتك بنفسك» ، ولا يخفى على احد ان هذا المشروع اقيم من أجل المساعدة في تحقيق هدف تفريغ البلدة القديمة من القدس من السكان العرب، في الوقت الذي منعت فيه تلك السلطات عدداً من مشاريع الاسكان العربية الذاتية ، حيث اوقفت البناء في مشروع اسكان المعلمين في منطقة قلنديا قبل اتمامه ، كما تعرقل بلدية القدس منذ سنوات طويلة مشروع اسكان بادرت اليه الأوقاف في منطقة وادي الجوز .

وقد بلغ مجموع ما تم تهجيره من السكان العرب في البلدة القديمة وحدها حوالي عشرين الف انسان ، ومجموع ما حل مكانهم من اليهود ستة الاف وخمسمائة مستوطن »[٣٩].

د - مخططات توسيع الاستيطان اليهودي في القدس القديمة :

واصلت السلطات الاسرائيلية وحركات ومنظمات الاستيطان المختلفة مخططاتها واعتداءاتها على البيوت والممتلكات العربية في القدس القديمة .

فعلاوة على تلك الممارسات التهويدية واسعة النطاق ، المشار آنفا الى بعضها ، تلاحقت عمليات الاستيلاء على البيوت العربية ومحاولات اجبار السكان العرب على الرحيل بكل اساليب الترغيب والترهيب ، وقد تصاعدت تلك العمليات والمحاولات في ظل

الانتفاضة الفلسطينية .

فقد أوردت صحيفة معاريف الاسرائيلية على سبيل المثال تقريراً موسعاً حول المخططات الرامية الى توسيع نطاق اجراءات التهويد وترحيل السكان العرب في القدس القديمة ، فقالت الصحيفة :

«المستوطنون اليهود الذين قاموا بالاستيطان في فندق مار يوحنا في قلب الحي المسيحي داخل الأسوار ، لا يدركون مدى هذه الضجة الدولية التي ثارت حول دخولهم المبنى الذي يعود للبطريركيّة اليونانية الأرثوذكسية ورغم ذلك فقد تحدث الحاخام بني الون وهو من طاقم الاعلام التابع للمستوطنين عن ذلك قائلاً : ان الاستيطان في القدس هو واحدة من ثلاث نقاط يوجد عليها اجماع وطني في اسرائيل»[٤٠] ، ثم اوضح الراب المذكور بعد حركة الاستيطان في القدس القديمة قائلاً : «اننا نتطلع الى ايجاد خط جوي يمتد على مدى الحي ، ابتداء من باب الساهرة وحتى الحي اليهودي ... ان المسافة المتبقية حتى ساحة غيليسيا هو عدة اسطح فقط»[٤١] .

وأكدت صحيفة معاريف في تقريرها ايضاً على هدف مجموعات الاستيطان قائلة : «هناك اليوم حوالي ٣٠ عائلة يهودية تستوطن في الحي الاسلامي بين الأسوار ، وهدفها هو ايجاد خط جغرافي متصل بين الحي اليهودي وباب الساهرة .. ان شعارهم هو : «من سطح الى سطح ، وتصبح البلدة القديمة بأيدينا»[٤٢] .

لقد أوردت صحيفة معاريف تقريرها المذكور في اعقاب قيام (١٥٠) مستوطناً يهودياً من مدرستي «عطراه ليوشنا» و «عطرات كوهانيم» بالاستيلاء على فندق مار يوحنا في قلب الحي المسيحي في القدس ، الأمر الذي تصدى له في حينه المواطنون العرب مسيحيون ومسلمون ، واجبروا السلطات الاسرائيلية على اصدار قرار رسمي باخلاء المستوطنين من الفندق ورغم ذلك لايزال قسم منهم فيه الى حين صدور قرار المحكمة والقضية مازالت في المحاكم والسكان اليهود في الدير اصبحوا مصدر تهديد لاصحاب المتاجر المجاورة ولزوارها .

وفي تقرير آخر أوردته صحيفة يديعوت احرونوت حول الموضوع نفسه كشفت الصحيفة بعض اسرار الاستيلاء على البيوت والأراضي العربية قائلة : «تقف شركة «هيمنوتا» – وهي شركة سرية متفرغة عن الصندوق القومي الاسرائيلي – وراء الاستيلاء

على مبنى فندق مار يوحنا - اطلقت عليه الصحيفة اسم نئوت دافيد - في الحي المسيحي ، وتقوم الشركة بشراء الممتلكات العربية ، وكانت قد تأسست الشركة عام ١٩٣٦ كشركة سرية متفرعة عن الصندوق القومي الاسرائيلي ، وأهدافها هي : الشراء ، الاستئجار ، أو الاستيلاء والسيطرة والادارة ، والتطوير ، والتوزيع ، والتأجير ، والبيع ، والاستبدال ، والبناء ، أو بمعنى آخر تحقيق أهداف الاستيلاء على الأرض في فلسطين»(٤٣) .

كانت عملية الاستيلاء على فندق مار يوحنا ، ابرز واخطر محاولة تهويد وقعت منذ بداية الانتفاضة في القدس القديمة ، رغم انها آلت الى الفشل في نهاية الأمر ، غير ان المحاولات لم تتوقف ، ولن تتوقف كما هو ثابت راسخ في ضوء احتدام الصراع في القدس.

وفي هذا السياق ذاته اشارت صحيفة هآرتس الى : «ان الوزير أرئيل شارون يعد خطة لتوطين ٢٠٠ عائلة يهودية في الحي الاسلامي في البلدة القديمة من القدس ، فقد التقى شارون مؤخراً في بيته في الحي مع مجموعة من اليهود القادمين من الخارج ، ومنهم متبرعون معروفون ، حيث أكد لهم انه سيتم قريباً توطين ٢٥٠ عائلة يهودية في المنطقة » (٤٤).

وفي وقت سابق من ذلك ذكر التلفزيون الاسرائيلي « انه يجري في هذه الأيام تنفيذ خطة هادئة لتوسيع الاستيطان اليهودي في القدس القديمة ، وان وزير الصناعة والتجارة - سابقا - شارون يقوم بدور رئيسي في هذا المجال » (٤٥).

كما نشرت صحيفة « يروشاليم » الاسرائيلية مقالة تحت عنوان يسيطرون على الحي الاسلامي » قالت فيها : «استطاعت حركة عطرات كوهانيم شراء* خمسين بيتا في الحي الاسلامي خلال السنوات الأخيرة ، الا انها لم تستطع توطين تلك البيوت » (٤٦).

هـ - مصادر تمويل ودعم المستوطنين :

ان قدرة المستوطنين على عرض مبالغ خيالية من المال لاغراء المواطنين العرب وتمتع افرادهم بحصانة شبه مطلقة . رغم ما يرتكبونه من فظائع تصل الى حد القتل ، تثبت انهم لا يعملون

* درجت المصادر الاسرائيلية على الادعاء بان الحركات الاستيطانية تشتري البيوت العربية ، في حين ان الصحيح هو انها تستولي عليها بشتى اساليب الضغط والخداع .

بمعزل عن دعم جهات متنفذة من الناحية المالية والسلطوية . كما ان دائرة القيم على املاك الدولة تقوم بتسليمهم كل عقار تنجح في تهجير اصحابه ، اما الشرطة فقد صرح مفتشها السابق الجنرال ابيتسان قائلاً : انه يفضل ان يجلس هؤلاء الشباب في البلدة القديمة من ان يجلسوا في السجن . وتقوم الشرطة بدور وسيط ضاغط على المشتكين العرب وتدعوهم – تحت الضغوط – الى بيع عقاراتهم للمستوطنين ليستريحوا من خطرهم ، كما ان قائد شرطة البلدة القديمة لا يقوم بتنفيذ أوامر الاخلاء أو الاحتراز التي تصدرها المحاكم الاسرائيلية باللجوء الى ادعاءات ومبررات كاذبة كقوله : لا يوجد لدى الشرطة ما يكفي من الطاقة البشرية للقيام بعملية الاخلاء ، هذا ما حدث مع المحامي عوني يغمور عندما صدر امر الاحتراز بقضية المرحوم سعدي السلايمة في حي باب السلسلة ، لكن اغلب اجهزة الدولة لا تخفي ايضا دعمها لها ، ويأتي هذا الدعم على شكل مبالغ ضخمة من المال ، تخصصها لهم الأحزاب الدينية من المبالغ المرصودة لها ضمن الائتلاف الحكومي ، اما المصادر التمويلية الأخرى فهي جمع التبرعات خاصة من الجاليات اليهودية الامريكية والأوروبية التي لم يتم تسهيل جمعها بواسطة رسائل توصية موقعة من الحاخامين الأكبرين في الكيان الاسرائيلي .

وهناك مصدر ثالث كشفت عنه كاتبة امريكية اصدرت موخراً كتاباً درست فيه ايدولوجية وطريقة عمل المجموعات التبشيرية المسيحية من الجناح اليميني المتطرف في الولايات المتحدة (النبوءة والسياسة) (المبشرون على الطريق الى الحرب النووية – تأليف جريس هالسل) ، وما يعنينا من كتابها هو وصفها لذلك اللقاء الغريب بين يميني مسيحي اشتهر باللاسامية كقاعدة فكرية تاريخية ، وبين عناصر اليمين القومي والديني اليهودي المتطرف والمعادي للمسيحية تاريخياً ، وتشير المؤلفة الى ان قاعدة ذلك اللقاء من الناحية الفكرية لدى المسيحيين المتطرفين هو ايمانهم ان الحرب الذرية ستبدأ بسبب الصراع العربي الاسرائيلي ، وان هذه الحرب ودمار العالم على اثرها هي ضرورة لمجيء المسيح المنتظر ثانية، وتكوين مملكة الرب لذلك من الضروري دعم الاسرائيليين لأن هذا معناه الابقاء على عناصر التوتر وتأجيجها في الشرق الأوسط (٤٤).

وحول مصادر التمويل كذلك ، اشارت صحيفة معاريف الى أن اساليب تجنيد الأموال لافراد عطرات كوهانيم محكمة جداً . وتحظى بتأييد أرئيل شارون الذي يقوم بتجنيد الأموال

للحركة ، ويعمل في تجنيد الأموال لها أيضا المحامي سعاديا شبيرا من نيويورك لأن المصدر الاساسي للأموال هو الولايات المتحدة ، ويجري كل سنة اقامة حفل على شرف المتبرعين من أمثال مارك بلسبرغ وماركوس كاتس ، وقد تبرع الأول خلال زيارة قام بها لاسرائيل قبل عدة أشهر بمبلغ مليون دولار كمساهمة لعطرات كوهانيم ، وهناك متبرعون كبار ايضاً للحركة مثل : لودفغ جلسون ، اسفن يودايكا ، ود . ايرفنغ موسكوفتش ، وهذا ذكر اسمه على انه تبرع بمبلغ ٥ر٣ مليون دولار من أجل السيطرة على فندق مار يوحنا » (٤٧).

و - التصدي الفلسطيني :

على الرغم من كل المعطيات والتفاصيل سابقة الذكر ، حول مخططات ومشاريع وممارسات التفريغ والتهويد الاسرائيلي واسعة النطاق ، والمتلاحقة ، والمكثفة ، ورغم كل تلك الطاقات والامكانات واجهزة القتل والتدمير والقرارات الرسمية ، التي سخرت بالكامل لصالح سياسة التفريغ والتهويد تلك ، الا ان المواطنين الفلسطينيين تمكنوا من الصمود والبقاء منزرعين في بيوتهم ، متسلحين بارادة صلبة وتصميم على مواصلة التصدي لتلك السياسة ، وبشكل خاص في بؤر التوتر الساخنة باستمرار في القدس القديمة - عقبة الخالدية ، السرايا ، طريق الواد ، باب السلسلة - وغيرها .

لقد برهن الفلسطينيون المقدسيون على عمق وقوة انتمائهم لوطنهم ودينهم وهويتهم ، عبر المسيرة النضالية الطويلة الماضية ، وتمكنوا من احباط محاولات اقتلاعهم من بيوتهم ، بحيث اتضح ان الذين تركوا بيوتهم من الفلسطينيين تحت شتى اشكال الضغط والاجبار والظروف القاهرة ، او تحت الاغراءات المالية الكبيرة ، عددهم ضئيل جداً .

لقد شكل المواطنون الفلسطينيون سكان عقبة الخالدية والاحياء المجاورة (باب السلسلة ، عقبة السرايا ، القرمي ، طريق الواد) هيئة حي تعاونت مع اللجنة الكبرى « لجنة القدس » وقامت فعلاً الهيئة المحلية بتحصينات أولية شملت بناء الأسوار حول مناطق البؤر الاستيطانية ، وتركيب الأبواب والشبابيك الحديدية ، ومواجهة اساليب العدوان والتحايل على الممتلكات بشكل مباشر أو عن طريق القضاء والاسراع في ترميم المواقع الخطرة ، ومجابهة وسائل

تسريب المباني العربية ، وايجاد مرافق حيوية في احياء البلدة القديمة ، كعيادة عقبة الخالدية، والمركز الثقافي وغيرهما ، وغير ذلك بما تمكنت جمعه من تبرعات .

واضافة الى التصدي الفلسطيني على هذا الصعيد ، فان مسيرة النضال الفلسطيني في المدينة المقدسة طويلة شاملة مستمرة ، متصاعدة من يوم الى اخر كما ثبت في المراحل الأخيرة الماضية من الانتفاضة الفلسطينية ، وتتواصل هذه المسيرة بالتأكيد ، ويتواصل تصعيدها في ضوء استمرار سياسة التفريغ والتهويد ، وفي ضوء استمرار الانتهاكات الاحتلالية الرسمية وغير الرسمية لحقوق الانسان الفلسطيني في المدينة المقدسة ، ولحرمة الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، تلك الانتهاكات والاعتداءات العنصرية الحاقدة الدموية والتي كان اقربها كما نعلم مذبحة الاثنين ضد المصلين العرب في باحة المسجد الاقصى المبارك ، لذلك ارتأينا ان نفرد فصلاً خاصاً لمعالجة تلك الانتهاكات والاعتداءات ، وفصلا آخر لمعالجة موضوع مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني وتصاعد فعاليات الانتفاضة ، وفصلا ثالثاً لمعالجة مذبحة الاثنين في باحة الأقصى المبارك بكل اسبابها وخلفياتها وابعادها ودورها في اذكاء فعاليات الانتفاضة والتصدي الفلسطيني .

استبدال الأسماء العربية بأسماء صهيونية

قامت سلطات الاحتلال كذلك باستبدال اسماء العديد من الشوراع والساحات والمنشآت التاريخية في القدس ، باسماء عبرية/ صهيونية ، وذلك في اطار سياسة التهويد ، فيما يلي قائمة بالأسماء العربية التي استبدلت باسماء عبرية :

الاسم العربي	الاسم العبري	الموقع
١ - كل المشارف	موشي حاييم شابير	التلتالفرنسية
٢ - باب الخليل	عودة صهيون	ساحة باب الخليل
٣ - طريق سليمان	شارع المظليين	باب العامود حتى ساحة اللنبي
٤ - طريق البراق	يهودا هاليفي	داخل السور
٥ - تل الشرفة	جبعات همفتار	القسم الشرقي من هضبة الشيخ جراح
٦ - باب المغاربة	رحوب بيت محسي	داخل السور
٧ - طريق الواد	رحوب هجاي	من باب العامود حتى باب السلسلة
٨ - حارة الشرف	بسغات لمدخ	داخل السور
٩ - سوق الحصر	حباد	داخل السور
١٠ - عقبة درويش	حبر حاييم	داخل السور
١١ - عقبة غنيم	شوفيه هالكوت	داخل السور
١٢ - طريق العزيز	هاحيم	داخل السور
١٣ - طريق المجاهدون	ديرخ شاعر هيروت	داخل السور
١٤ - هضبة الشيخ جراح	حي اشكول	الشيخ جراح
١٥ - المتحف الفلسطيني	متحف روكفلر	خارج السور
١٦ - مطار القدس	مطار عطاروت	قلنديا / مطار القدس
١٧ - ساحة هيئة الأمم	ساحة صهيون	خارج السور

هذا اضافة الى عشرات الأسماء العربية الأخرى التي قامت سلطات الاحتلال باستبدالها باسماء يهودية .

* نجيب الأحمد/ «تهويد القدس» ، دائرة الاعلام والتوجيه المعنوي - منظمة التحرير الفلسطينية ، عمان ، ص ٦٦

هوامش الفصل الثاني

١ – عبدالرحمن أبو عرفة : «القدس : تشكيل جديد للمدينة» ، جمعية الدراسات العربية – القدس ١٩٨٥ ، ص ٥٤ .

٢ – المصدر السابق نفسه ، ص ٥٦ .

٣ – دراسة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، الرأي الأردنية ، عدد ١٩٨٩/٢/٢ .

٤ – سمير جريس ، «القدس : المخططات الصهيونية – الاحتلال – التهويد» مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت / لبنان ١٩٨١ ، ص ٦٣ .

٥ – المصدر السابق نفسه .

٦ – المصدر السابق نفسه .

٧ – الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية لمؤلفه عبد الرحمن ابو عرفه ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ١٩٨١ ، ص ٢٢٢ .

٨ – المصدر السابق نفسه .

٩ – عبدالرحمن أبو عرفة ، المصدر السابق نفسه ، ص ٨٤ / سمير جريس ، المصدر السابق نفسه ، ص ٨٨ .

١٠ – الاستيطان . التطبيق العملي للصهيونية ، المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٤.

١١ – عوزي بنزيمان ، «القدس مدينة بلا أسوار» ، القدس وتل أبيب ، شوكن ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥٨ .

١٢ – جريدة الاتحاد الحيفاوية ، عدد ١٩٧٧/٨/٥ .

١٣ المصدر السابق نفسه .

١٤ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨١/٥/١٨ .

١٥ – رائف يوسف نجم «القدس الشريف» منشورات المركز الثقافي الاسلامي ، ص ٧٠ .

١٦ – روحي الخطيب المؤامرات الاسرائيلية على القدس ما بين ١٩٦٥ – ١٩٧٥ ، ص ٣١

١٧ – صحيفة داڤار ، عدد ١٩٦٧/٦/١٢ .

١٨ – صحيفة الجروزلم بوست ، عدد ١٩٨٠/٣/١٧ .

١٩ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٦٩/٣/٢٦ .

٢٠ – المصدر السابق نفسه .

٢١ – انظر عوزي بنزيمان ، مصدر سبق ذكره / روحي الخطيب ، تهويد القدس (عمان ، لجنة انقاذ القدس ، ١٩٧٠) / الفجر المقدسية ١٩٧٥/١٠/١٧ الاستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية –

مصدر سبق ذكره / وليد الجعفري المستعمرات الاستيطانية الاسرائيلية في الأراضي المحتلة ١٩٦٧-١٩٨٠ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨١ .

٢٢ - صحيفة داڤار - عدد ١٩٩٠/٣/٨ .

٢٣ - المصدر السابق نفسه .

٢٤ - خلاصة نشره الاحصاء الاسرائيلية رقم ١٩ ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ ، صحيفة الفجر المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٧/١٠ .

٢٥ - صحيفة الفجر المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٧/١٠ .

٢٦ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٧/١١ .

٢٧ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٧/١٩ .

٢٨ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٧/٢٨ .

٢٩ - المصدر السابق نفسه .

٣٠ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/١٠/١٦ .

٣١ - صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/١٥ .

٣٢ - صحيفة داڤار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٨ .

٣٣ - صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ١٩٩٠/٤/٢٤ ، صحيفة الفجر المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٥/٩ .

٣٤ - هذه المعلومات مستقاة من تقرير خاص ورد من الأرض المحتلة ، يتحدث عن حركة الاستيطان اليهودي في القدس القديمة .

٣٥ - لمزيد من المعلومات انظر دراسة «مواطنون في القدس العربية يتحدثون عن الاساليب المتبعة في الاستيلاء على البيوت العربية» ، المهماز ، عدد ١٩٨٥/١١/٢٢ .

٣٦ - تقرير خاص ورد من الأرض المحتلة ، مصدر سبق ذكره .

٣٧ - استناداً الى المعرفة الشخصية لهذه المعلومات ، كون المرحوم جودت الزرو هو والد المؤلف ، والمرحومة الحاجة بهية الزرو والدته ، والحاجة رفيقة السلايمة جارته في نفس المبنى .

٣٨ - المهماز - مصدر سبق ذكره .

٣٩ - تقرير خاص - مصدر سبق ذكره ، جريدة الانباء الحكومية الاسرائيلية ، عدد ١٩٨١/١٠/١٦ .

٤٠ - صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٤/٢٠ .

٤١ – المصدر السابق نفسه .

٤٢ – المصدر السابق نفسه .

٤٣ – صحيفة يديعوت احرونوت عدد ١٩٩٠/٢/٢٤ .

٤٤ – صحيفة هارتس ، عدد ١٩٩٠/٥/٢٨ .

٤٥ – التلفزيون الاسرائيلي ١٩٨٩/٧/١٦ .

٤٦ – تقرير خاص ، مصدر سبق ذكره ، صحيفة الفجر المقدسية عدد ١٩٩٠/٥/٩ .

٤٧ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٤/٢٠ .

الفصل الثالث

الانتهاكات الإسرائيلية في القدس العربيه

الفصل الثالث

الانتهاكات الاسرائيلية في القدس العربيه

وفي خط مواز لنهج التهويد الشامل المشار اليه في الفصل السابق ، والمتضمن تلك المعطيات المتعلقة بالاجراءات والممارسات الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية في مجالات مصادرة الاراضي والبيوت والممتلكات العربية ، داخل اسوار البلدة القديمة من القدس وخارجها ، وخاصة تلك التي تتحدث عن سياسة التفريغ والتهويد في البلدة القديمة ، مارست السلطات الاسرائيلية اجراءات واسعة اخرى تهدف الى طمس ومحو الطابع العربي والاسلامي للمدينة المقدسة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

محو الطابع العربي عن الاحياء التي تم ازالتها من البلدة القديمة - حارة الشرف وحي المغاربة ، حيث لم يتم تسجيل هذه الاحياء بما يليق بمدينة اثرية تحتوي ابنية تاريخية قديمة. بل العكس ، طمست معالمها واعيد تصميم طرقاتها وممراتها وابنيتها بشكل مختلف عن الاصل .

فكانت الصورة النهائية تخطيطاً وعمارة هجينتين لا يمتان الى الماضي والمحيط بصله ، ولا يتصلان بالحاضر الا بالخدمات الحديثه التي وفرتها السلطات الاسرائيلية للمستوطنين الجدد .

وبموازاة فرض الحقائق الاستيطانية ايضاً ، قامت المؤسسات الاحتلالية بتنفيذ مشروع حفريات زعمت انها اثرية مكثفة ، تركزت في المناطق المحيطة بالحرم الشريف ، وكان هدفها في هذه المرحلة الاولى كشف كامل عن الحائط الغربي للحرم الشريفد ، الذي يزعم انه الوحيد الذي ظل قائماً من الهيكل اليهودي الثاني ، بعد دماره سنة ٧٠م على يد القائد الروماني تيطس ، اما مراحلها التاليه فكانت تهدف الى الكشف عما يسميه الاثريون اليهود « مدينة داود » . مما استدعى وصول الحفريات الى اعماق بعيدة في باطن الارض . الامر الذي هدد بتصدع بنيان المسجد الاقصى المبارك ، وادى فعلاً الى تصدع العديد من الابنية الاثرية خاصة من الحقبة الايوبية والمملوكية ، اما احتجاجات اليونسكو والمنظمات الدولية الاخرى والعالم العربي والاسلامي ، والتحذير من الخطر الذي يحيق بتلك العمارات الاثرية ، فقد ضرب الاسرائيليون بها عرض الحائط .

ومما يلاحظ أيضاً ان السلطات الاسرائيلية المحلية قامت بتسمية الحارات في البلدة القديمة على اساس طائفي مثل قولها «الحي الاسلامي» فان هذه التسمية تشير الى الرؤية الاسرائيلية للوجود العربي ، حيث ترفض اعتباره وجوداً لمجموعة قومية واحدة ، بل لطوائف متعددة ترمي النظرة الاسرائيلية الى القول ان كل منها يعيش في حي خاص ، واذا صح وجود تركيز كبير لانتماءات طائفية معينة في مناطق البلدة القديمة مثل حي النصارى وحي الارمن ، فان واقع البلدة القديمة يشير الى صبغتها العمومية العربية الاسلامية ، والى ان احياءها اخذت اسماءها من شخصيات تاريخية او من سمات جغرافية معينة ، وما شابه ذلك ، وليس من انتماءات طائفية .

لقد اعد المستوطنون اليهود من جهة اخرى خرائط للبلدة القديمة ، تشير الى الاحياء العربية التي تشمل حي عقبة الخالدية ، وعقبة السرايا ، والقرمي ، وطريق الهكاري ، وهي باب السلسلة بتسميتها بالحي اليهودي القديم ، ويزور هذه الاحياء العديد من يهود امريكا والخارج برفقة مجموعات المستوطنين ، الذين يعبئونهم بادعاءات كاذبه ، لدعمهم بالمال ، من اجل الاستيلاء على هذه الاحياء وضمها «للحي اليهودي» الذي اقاموه على انقاض حي الشرف .

ويعطي المستوطنون اليهود لنشاطهم في القدس وخاصة في البلدة القديمة منها بعداً غيبياً دينياً ، يتهدد وجود الديانات الاخرى فيها . لذا فهم يكثرون من اطلاق الادعاءات حول احقيتهم في الحرم القدسي الشريف الذي يطلقون عليه اسم «جبل الهيكل» ويقومون بمحاولات متكررة لاقتحامه والصلاة في داخله ، بغرض الايحاء للعالم بانهم اصحاب حق ضائع ، تمهيداً لتنفيذ مخططهم بالاستيلاء عليه(١) .

وفي اطار هذا السياق ذاته ، وضمن نفس السياسة والاهداف الاسرائيلية ، فقد تواصلت شتى اشكال الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية والاستيطانية على المدينة المقدسة واهلها ، والتي سنلقي الضوء عليها تباعاً .

اولاً الانتهاكات والاعتداءات ضد الاماكن المقدسة الاسلامية :

لعل اكثر المناطق والاماكن حساسية في المدينة المقدسة ، هي الاماكن المقدسة الاسلاميه الواقعة في الحرم القدسي الشريف ، والتي اشرفت عليها وادارتها منذ عام ١٩٦٧ وحتى غداة مذبحة الاثنين في باحة الاقصى المبارك في الثامن من تشرين ثاني سنة ١٩٩٠ ، الاوقاف الاسلامية في القدس ، ففضلاً عن كون هذه الاماكن تحتل منزلة اقدس المقدسات الاسلامية في المنطقة كلها ، الا ان صراعاً ضارياً يدور حولها بين الاوقاف الاسلامية والسكان العرب في المدينة ، وبين السلطات الاسرائيلية الرسمية وعصابات المستوطنين اليهود ، حيث يأخذ هذا الصراع طابعاً دينياً وطنياً سياسياً سيادياً شاملاً ، اذ تزعم تلك السلطات وعصاباتها كما اشرنا آنفاً ، بوجود «هيكل سليمان» و«مملكة داود» تحت الاقصى المبارك ، وهي تسعى في الوقت ذاته لتجريد الاوقاف الاسلامية من صلاحياتها في الاشراف على الحرم القدسي وادارة شؤونه ، في محاولة مكشوفة منها لتملك زمام الامور هناك ، ولتطلق مشاريع الهدم والتهويد كما تسعى ، الامر الذي تمكن الفلسطينيون المقدسيون بمساندة اهلنا في الاراضي المحتله من احباطه حتى الان .

وفي هذا النطاق ، من المفيد الاشاره الى تلك السلسلة الطويلة المستمرة من الانتهاكات والاعتداءات ضد الاماكن الاسلامية المقدسة التي اقترفتها وماتزال السلطات الاسرائيلية واجهزتها وعملائها ، كما وردت في العديد من المصادر الواردة من الارض المحتلة[٢] :

١٩٦٧/٦/٧ : الجنرال موردخاي غور في سيارة نصف مجنزرة يستولي على الحرم الشريف في اليوم الثالث من بداية الحرب .

١٩٦٧/٨/١ : رجال شرطة القدس يتولون المحافظة على النظام في الاماكن المقدسة .

١٩٦٧/٨/١٤ : منحت لجنة برئاسة وزير الشؤون الدينية زيراخ فيرهافتغ مسؤولية الاشراف على الاماكن المقدسة في القدس وسائر الضفة الغربية .

١٩٦٧/٨/١٥ الحاخام شلومو غورن الحاخام الاكبر للجيش الاسرائيلي وخمسون من اتباعه يقيمون صلاة دينية في ساحة الحرم الشريف . الحاخام غورن يقول : «ان بعض اقسام منطقة الحرم ليست من اقسام جبل الهيكل ولذلك فان تحريم الشريعة اليهودية

لايشمل تلك المناطق ، ويقول انه توصل الى تلك النتائج بعد القيام بقياسات وشهادات تستند الى علم الحفريات» .

١٩٦٧/٨/٢٢ : الرئاسة الروحية لليهود تضع اشارات خارج منطقة الحرم . بموجب تعاليم الشريعة اليهودية حول منع اليهود من دخول الحرم .

١٩٦٧/٩/١٠ : المسلمون يحتجون على الغاء الرسوم المفروضة على الزوار عند دخول الحرم ، وزارة الدفاع تعلن ان ادارة الوقف الاسلامي تستطيع ان تجمع رسوم زيارة للمساجد فقط .

١٩٦٨/٧/١٥ : محكمة الاستئناف الشرعية الاسلامية ترفض طلب لمؤسسة ماسونية اميركية من اجل بناء هيكل سليمان في منطقة الحرم بتكاليف ١٠٠ مليون دولار .

١٩٦٩/٤/١٥ : المستشار القانوني للمحكمة زفي بارليف وبناء على امر مؤقت ضد وزير الشرطة شلومو هليل يوضح ان اليهود يجب ان لايسمح لهم بالصلاة في منطقة الحرم .

١٩٦٩/٨/٢١ : حريق داخل المسجد الاقصى يقوض الجناح الجنوبي منه كاملا .

١٩٦٩/٨/٢٣ : اعتقل سائح استرالي ، احد اعضاء - كنيسة الله - بتهمة تدبير حادث الحرق - مايكل روهان -

١٩٧٣/٨/٨ : الحاخام لويس رابينوفتش وعضو الكنيست بنيامين هليفي اقاما الصلاة داخل الحرم رغم تحذيرات رجال الشرطة وقد تم ابعادهما عن الحرم .

١٩٧٠/٩/١٦ : محكمة العدل العليا تقرر انه لا سلطة قضائية لها في الامور التي تتعلق بحقوق ومطالب مختلف الهيئات الدينية ، ولذلك لا تتدخل في قضية منع الحكومة لليهود من اقامة الصلاة في الحرم .

١٩٧٦/١/٣٠ : القاضية روث اود من المحكمة المركزية تقرر ان لليهود الحق في الصلاة داخل الحرم .

١٩٧٦/٢/١ : وزير الشؤون الدينية اسحق رافائيل يقول ان الصلاة في منطقة الحرم هي مسألة تتعلق بالشريعة اليهودية وهي ليست من اختصاصه .

١٩٧٦/٣/١١ : استقالة المجالس البلدية

في رام الله ، بيرزيت ، البيرة ونابلس احتجاجا على اعمال الشرطة ضد المتظاهرين

المحتجين على قرار القاضية روث اود .

١٩٧٦/٧/١ : ردت المحكمة المركزية في القدس قرار القاضية اود الصادر في ١٩٧٦/١/٣٠ ، وقررت ان محاولة الشبان الثمانية لاقامة الصلاة في الحرم جرت بصورة تظاهرية وانهم مذنبون في طريقة تصرفهم .

١٩٧٩/٣/٢٥ : انتشار شائعات حول اعتزام جماعة من اتباع كهانا وطلاب مدارس دينية اقامة الصلاة في الحرم ، يؤدي الى تجمع حوالي الفين من الشباب العرب المسلمين بالهراوات والحجارة في ساحة الحرم ، ورجال الشرطة يقومون بتفريقهم .

١٩٧٩/٨/٣ : تقديم طلب الى المحكمة العليا لالغاء المنع المفروض على تأدية الصلاة في الحرم . على ضوء المادة الثالثة من القانون الجديد الذي صدر بشأن القدس والتي تؤكد حرية الوصول الى الحرم .

١٩٨١/٥/٧ : محاولة دخول ٢٥ شخصا يهوديا من المتطرفين لساحات القدس الشريف، فقد منعهم من الدخول حراس الحرم الشريف وضباط شرطة الحرم ، وبقى المتطرفون خارج باب المغاربة وبعدها انضم اليهم فوج اخر واقاموا باثارة الضجيج والصياح ثم قاموا بالصلاة هناك .

١٩٨١/٨/٢٨ : الاعلان عن اكتشاف نفق يمتد من اسفل الحرم القدسي يبدأ من باب المطهره ، وقد طلب كل من وزير الاديان السابق اهارون ابو حصيره ووزير الدفاع ارئيل شارون احاطة الموضوع بسرية تامة .

وقالت التقارير ان السرداب قام بحفره حاخام المبكى وعمال من وزارة الشؤون الدينية وكان العمل قد بُديء به قبل شهر وكبير الحاخام شلوموا غورن يأمر باغلاق الممر نظرا لحساسية الموضوع .

١٩٨١/٨/٢٩ : حذر البروفيسور يغئال يادين عالم الاثار الاسرائيلي من الحفريات اسفل الحرم القدسي .

١٩٨١/٨/٣١ : استمرار الحفريات تحت المسجد الاقصى المبارك تؤدي الى تصدع خطير في الابنية الاسلامية الملاصقة للسور الغربي .

١٩٨١/٩/١ : تتلاحق الحفريات التي تجريها السلطات الاسرائيلية تحت المسجد الاقصى وهدفها خلق امر واقع شبيه بما حدث في الحرم الابراهيمي اذ اوعزت وزارة الاديان الى عناصر من حركة غوش ايمونيم بتنظيف وترميم الحرم الابراهيمي في الخليل واسفر الترميم فيما بعد عن استيلاء كهنة الحركة المذكورة على الجانب الشرقي للحرم وهم يتقاضون اليوم راتبا شهريا من وزارة الاديان .

١٩٨١/٩/٣ : لجنة اعمال المسجد الاقصى تعتزم بناء حائط خراساني داخل النفق مابين باب المطهره وسبيل قايتباي نظرا لعدم قيام السلطات الاسرائيلية بالوفاء بوعدها باغلاق البئر تماما بل ابقت على فتحتين تمكن اليهود من مراقبة البئر .

١٩٨١/٩/٤ : اعلان الاضراب العام بدعوة من المجلس الاسلامي الاعلى احتجاجا على اعمال الحفريات التي تجري تحت الحرم .

١٩٨١/١٠/٢ : مجموعة من مستوطني كريات اربع قامت بالعبث في باب الغار والواقع على يمين المنبر وباب الحضرة الابراهيمية حيث قام افراد المجموعة بتكسير البلاط .

١٩٨٤/٢/٢٤ : رئيس مجموعة امناء جبل الهيكل المتطرفة غرشون سلومون قام باقتحام باحة المسجد الاقصى بالقدس لاداء الصلاة والشعائر الدينية وقد فشلت محاولته بعد تدخل الشرطة .

١٩٨٢/٣/٢ : محاولة مجموعة من المتطرفين الاسرائيليين طلاب مدرسة دينية في كريات اربع مزودة بالاسلحة النارية اقتحام ساحة المسجد الأقصى من باب السلسلة بعد ان اعتدت على الحارسين وقد اشتبك الحراس العرب مع المتطرفين و ردوهم على اعقابهم ومنعوهم من الصلاة في ساحة الاقصى ونتيجة للاعتداء اصيب احد الحراس ونقل الى المستشفى .

١٩٨٢/٤/٨ : العثور على طرد يحتوي على قنبلة وهمية ورسالة تهديد عند باب الحرم الشريف واشتملت القنبلة الوهمية على جهاز توقيت وراديو ترانزستور وقد وقعت الرسالة من قبل ما يسمى روابط القرى وحركة الحاخام « كهانا » و « وأمناء جبل الهيكل » .

١٩٨٢/٤/١١ : اعتداء اثم على مسجد الصخرة المشرفة يقوم به احد الجنود الاسرائيليين ويدعي هاري غولدمان ، اذ قام الجندي المذكور باقتحام مسجد الصخرة المشرفة واخذ يطلق النيران بشكل عشوائي مما ادى الى استشهاد مواطنين وجرح اكثر من ستين اخرين ، وقد

اثار هذا الحادث سخط المواطنين مما اثار اسبوعين من الاضطربات في الضفة الغربية وغزة وردود فعل عالمية غاضبة ضد الاحتلال الاسرائيلي .

٢٦/٥/١٩٨٢ : بلدية القدس تنفي ادعاءات (غئيولا كوهين - هتحيا) بشأن وجود ابنية غير مرخصة في الحرم الشريف .

٢٧/٥/١٩٨٢ : مجموعة مستوطنين من مستوطنة كريات اربع وعلى رأسهم رئيس بمجلس المستوطنة مدججين بالسلاح يدخلون الى باحة الحرم الابراهيمي ، بمساعدة ممثل الحاكم العسكري ويؤدون الصلاة .

١٢/٥/١٩٨٢ : مراقب بلدية القدس الغربية يدخل المسجد الاقصى بمساعدة الشرطة للتأكد من ادعاءات عضو الكنيست «غيئولا كوهين» حول وجود ابنية غير قانونية ، في المسجد الاقصى التي طالبت لدى زعمها بفرض حظر على اعمال البناء والترميم في المسجد الاقصى .

٤/٦/١٩٨٢ : الهيئة الاسلامية تتلقى رسالة تهديد موقعة باسم جهاز الحركات الدينية والدوريات الخضراء . وجاء في هذه الرسالة ان هذه الحركات ستواصل محاولاتها وبكل الطرق للصلاة في المسجد الاقصى وانها مصممة على نسفه .

٧/٧/١٩٨٢ : الهيئة الاسلامية تتلقى رسالة تهديد موقعة من ما يسمى بالدوريات الخضراء وحركة كاخ ومرفقة بحوالة بنكية بقيمة ليرة من بنك لئومي .

٢٥/٧/١٩٨٢ : اعتقل يوئيل ليرنر احد نشيطي حركة كاخ بتهمة التخطيط لنسف احد المساجد في ساحة الاقصى وأدين هذا في ٢٦/١٠/٨٢ بتهمة التخطيط لنسف مسجد الصخرة المشرفة .

١٠/٣/١٩٨٣ : القاء القبض على مجموعة يهودية متطرفة تحاول في الليل اقتحام الحرم القدسي الشريف من طرفه الجنوبي والاستيطان فيه وكان بعض افراد المجموعة مدججين بالسلاح ويرتدون الزي العسكري الاسرائيلي ويحملون معاول واكياس ملأى بالمتفجرات وقد ذكر ان هؤلاء من مستوطني كريات اربع وطلاب مدرستها الدينية وهم اعضاء في حركة كاخ التي يتزعمها مئير كهانا ، وذكر راديو اسرائيل انه وجد بحوزة افراد المجموعة بعض المواد الغذائية والملابس التي تمكنهم من البقاء فترة طويلة داخل المسجد الاقصى ،

واضاف ان افراد المجموعة كانوا مزودين بالاسلحة الرشاشة التي يستخدمها الجيش الاسرائيلي من طراز عوزي وبنادق من طراز (ام / ١٦) ومسدسات .

١٩٨٣/١/٢٠ : تشكيل حركة متطرفة في اسرائيل واميركا مهمتها اعادة بناء جبل الهيكل في موقع المسجد الاقصى . وقد ذكرت مجلة «اكزكوتيب انتليجانت ريبورت» الاميركية ان هذه اللجنة تشكلت تحت اسم «كيرن هارهبيت» .

١٩٨٣/٢/٧ : تلقت ادارة الاوقاف الاسلامية بالقدس رسالة تهديد باللغة الهولندية من جماعة دينية متطرفة في ليدن بهولندا تحذر فيها ادارة الاوقاف ومسلمي المسجد الاقصى كما جاء في الرسالة من مغبة عدم اعطاء هذه الجماعة ما اسمته بحقها في الحرم الشريف . كما قامت حركة دينية متطرفة جديدة في اسرائيل والولايات المتحدة التي اسست تحت اسم «كيرن هار هبيت» اي صندوق جبل الهيكل بمحاولات متكررة لشراء بعض العقارات التي تعود للاوقاف الاسلامية بالبلدة القديمة وخاصة في شارع الواد المجاور للحرم الشريف الى ان تصدت ادارة الاوقاف الاسلامية وجماهير المواطنين الفلسطينيين ، فتم افشال المحاولات .

١٩٨٣/٣/١٠ : قامت الشرطة باعتقال مجموعة من اليهود تتكون من ٤٠ شخصاً بتهمة التخطيط لدخول الحرم بالقوة وكانت الشرطة قد اكتشفت اربعة من اليهود المسلحين يحاولون اقتحام الممر الارضي المعروف باسطبلات الملك سليمان ويعملون بموجب تقارير المخابرات ، وقد قام رجال الشرطة بمحاصرة بيت الحاخام يسرائيل اريئيل الرئيس السابق لسكان يميت المتدينين والرجل الثاني في قائمة مئير كهانا لانتخابات ١٩٨١ وهناك تم اعتقال الاخرين ولدى تفتيش بيت اريئيل وبيوت اخرين اكتشفت عدت اسلحة ورسومات لجبل الهيكل .

١٩٨٣/٣/١١ : احباط محاولة لاقتحام الاقصى من قبل متطرفين يهود ارادوا احتلال الاقصى وقبة الصخرة واقامة مركز للدرسات الدينية .

١٩٨٣/٣/١٢ : اكتشاف عدة فتحات جديدة تحت الحائط الجنوبي للمسجد الاقصى حيث يعتقد ان المتطرفين اليهود قاموا بحفرها اثناء محاولتهم اقتحام الحرم الشريف .

١٩٨٣/٤/٣ : مجموعة ما يسمى بامناء جبل البيت توجه دعوة لاقامة تجمع باب المغاربة قرب ساحة المبكى .

١٦/٤/١٩٨٣ : تعتزم جماعة ما يسمى «أمناء جبل الهيكل» ضمن منشورات الصقتها على الجدران الدخول للأقصى لتأدية ما يسمى «صلاة عيد الاستقلال» .

١١/٥/١٩٨٣ : سمحت المحكمة العليا لجماعة «الاوفياء لجبل الهيكل» باقامة الصلاة في منطقة باب المغاربة بمناسبة الاحتفال بيوم توحيد القدس بعد ان كانت الشرطة ، قد رفضت منحهم التصريح بذلك وقد صدر قرار مشابه بمناسبة يوم «٩ آب» .

١٣/٥/١٩٨٣ : جماعة المتطرفين امناء جبل الهيكل يؤدون الصلاة امام باب المغاربة قرب المسجد الاقصى المبارك وقد سمح لهؤلاء بناء على قرار من المحكمة العليا الاسرائيلية.

٢٤/٣/١٩٨٤ : حركة متطرفة تطلق على نفسها ما يسمى مخلصي - الحرم - تعتزم اقامة صلوات عيد الفصح وتقديم القرابين في الحرم الشريف وذكر التلفزيون الاسرائيلي ان هذه الحركة ابلغت رئيس الوزراء ووزير الداخلية والاديان بذلك .

٢٩/٣/١٩٨٤ : انهيار الدرج المؤدي الى مدخل المجلس الاسلامي الاعلى حيث اكتشفت ثغرة طولها حوالي ثلاثة امتار وعرضها متران وعمقها اكثر من عشرة أمتار وعرضها متران لمحاذاة السور الغربي الخارجي للمسجد الاقصى وتمتد من باب المغاربة حتى باب المجلس الذي يضم مكاتب دائرة الاوقاف العامة مما هدد عمارة المجلس الاسلامي الاعلى بالسقوط . وذلك نتيجة استمرار اعمال الخدمات الاسرائيلية غير الشرعية حول الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف .

٢٣/٤/١٩٨٤ : افراد حرس الحدود الذين جيء بهم لتشديد الحراسة ومنع اعتداءات المتطرفين اليهود على المسجد الاقصى يجوبون الحرم وساحاته وهم يحملون السلاح في اوقات الصلاة وغيرها ، ويقومون بتصرفات لاتتناسب وقدسية المسجد الاقصى كمكان عبادة ، والحفريات التي تجري بمحاذاة سور المسجد الاقصى الغربي قد اثرت على اساسات العمارات الاسلامية الاثرية الموجودة فوقها مما ادى الى تشقق العمارات وتشقق جدرانها ومن ضمن هذه العمارات المدرسة الجوهرية . ورباط الكرد قرب باب الحديد الواقع في وسط الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف وعمارة دائرة الاوقاف الاسلامية التي أشرنا اليها آنفاً .

علاوة على مسلسل الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية الاستيطانية ضد الاماكن المقدسة في الحرم القدسي الشريف ، فقد تواصلت وتكررت الانتهاكات والاعتداءات المشابهة على

الحرم الشريف ، والتي بلغت ذروة خطورتها . في تلك المذبحة البشعة التي نفذتها قوات الامن الاسرائيلية ومجموعات الارهابيين اليهود ضد المصلين العرب في باحة المسجد الاقصى المبارك في الثامن من تشرين اول ١٩٩٠ .

بيان المؤتمر الاسلامي العام(٢)

ويمكننا هنا تلخيص نهج الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية ضد المقدسات الاسلامية وابعادها المعلنة والخفية الخبيثة ، في تلك المذكرة التي ارسلها المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس والهيئة الاسلامية العليا بالقدس ، الى كل من السكرتير العام للامم المتحدة ، ورئيس مجلس الامن الدولي ، وامين عام منظمة المؤتمر الاسلامي العالمي ، للدعوة والاغاثة ، وامين عام رابطة الاعلام الاسلامي ، وسفارات الدول الاعضاء بمجلس الامن الدولي في عمان ، حول التدخل الاسرائيلي في شؤون المسجد الاقصى وساحاته .

تضمنت المذكرة شرحاً حول الانتهاكات الاسرائيلية للمقدسات الاسلامية حيث جاء فيها : «انه منذ ان اقيمت اسرائيل على الاراضي الفلسطينية ، وهي تعلن عن خططها ونواياها لتهويد القدس والاستيلاء عليها . ومنذ الاحتلال الاسرائيل للمدينة المقدسة عام ١٩٦٧ ، تعرضت المدينة المقدسة الى اجراءات ادارية وعسكرية تهدف الى فرض الطابع اليهودي عليها ، كما باشرت السلطات المحتلة بتنفيذ مخططات ترمي الى صنع واقع للوجود اليهودي في القدس .

وامتدت اعتداءات السلطات المحتلة والفئات الدينية والاستيطانية لتشمل الاماكن المقدسة ، كما تركزت تلك الاعتداءات على المسجد الاقصى بهدف تعريضه للانهيار ، والاستيلاء على ساحاته ، واقامة الصلوات اليهودية في تلك الساحات او في ارجاء المسجد .

وتوالت الاعتداءات الاسرائيلية المباشرة على المسجد الاقصى ... وكان يقف لها المسلمون في القدس وفلسطين وجهاً لوجه لاحباطها .

واليوم وقد رأت السلطات المحتلة عدم قدرتها على تنفيذ خططهاضد المسجد الاقصى حركت جماعة غوش ايمونيم المتطرفة لتحريك الدعوى التي قدمتها الى المحكمة العليا

لاستصدار قرار بالسماح باقامة الصلوات اليهودية على ارض الحرم القدسي بنفس القدر الذي يسمح فيه للمسلمين بالتصرف في ساحات المسجد الاقصى .. وقد احيلت تلك الدعوى الى المستشار القضائي الاسرائيلي ، ولم يكن قراره غير متوقع !!

فقد تضمن قراره الموجه الى المحكمة العليا ان «جبل البيت» - اي المسجد الاقصى - هو ضمن القدس ، وان القدس عاصمة اسرائيل ، وان ما ينطبق عليها من قوانين ينطبق على «جبل البيت» ، وبذلك يصبح رئيس البلدية هو المشرف على المسجد الاقصى ، وهو الذي يقرر اعطاء اي تصريح للتصرف في ساحات المسجد الاقصى ، واقامة ايه ابنية عليها .

ان هذا القرار الذي يعني التدخل المباشر والصريح في شؤون المسجد الاقصى ، وهو اعتداء مباشر على الديانة الاسلامية وعلى المقدسات الاسلامية ، ممثلة في اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، ويطعن السيادة الدينية على المقدسات الاسلامية التي تدعي اسرائيل حمايتها بموجب قانون حماية الامكنة المقدسة المزعوم ! كما يتناقض مع السياسة التي ادعتها اسرائيل في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، بانها لن تتدخل في شؤون المقدسات الدينية وبانها ستتركها في ايدي اصحابها ادارة واشرافاً ورعاية[٤] .

وافتتح المؤتمر الاسلامي والهيئة الاسلامية العليا المذكرة العامة بالتشديد على : « ان السيادة على الاماكن المقدسة تحت الاحتلال هي من حقوق اصحاب تلك الاماكن ، التي تمثل وقفاً لايجوز الاعتداء عليه ، او نقل ملكيته ، او التصرف فيه ، كما لايجوز للمحاكم النظر في اي قضية تتعلق بتلك المقدسات او السيادة عليها ، وكما ان السيادة لا تنقل الى دولة الاحتلال ، فان احتلال اسرائيل للقدس القديمة ، لايجوز ان يترتب عليه نقل السيادة على القدس والاماكن المقدسة فيها الى اسرائيل ، خصوصاً وان قرارات الامم المتحدة قد اعتبرت اجراءات ضم القدس القديمة الى اسرائيل باطلة . حيث لايجوز الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب ان اصرار السلطات الاسرائيلية المحتلة على اثارة موضوع السيادة على المسجد الاقصى وساحاته ، وهو تحدٍ لمشاعر المسلمين . كما يأتي في وقت تدخل فيه الانتفاضة الشعبية المباركة في فلسطين . مرحلة مصيرية في مسيرتها .. وان المؤتمر الاسلامي العام لبيت المقدس في عمان .. اذ يصدر هذا البيان ، ليناشد الامة العربية والاسلامية والهيئات والمنظمات العالمية ان تقف في وجه هذه المؤامرة الخطيرة التي يتعرض لها المسجد الاقصى[٥] .

مشروع باب الاسباط

الى جانب جملة الانتهاكات والاعتداءات المستمرة ، على الاماكن المقدسة الاسلامية ، فقد اعدت السلطات الاسرائيلية «مشروعاً تطويرياً» ، كما زعمت في مطلع عام ١٩٨٩ ، يقضي باقامة منتزهات وطرق ومناطق ترفيهية على انقاض المقابر الاسلامية التاريخية القائمة في المنطقة ، غير ان الاوقاف الاسلامية ، وقفت امام هذا المشروع المكون من قسمين هما :

- القسم الاول رقم ٣٧٩٣ المتضمن اقتطاع جزء من ارض مقبرة الاسباط لاقامة موقف جديد للسيارات يؤدي الى المس بالقبور الموجودة ، والمقبرة وسكن عائلة عجاج ، وتحويل جزء هام من المقبرة الى ساحة عامه .
- القسم الثاني رقم ٣٧٩٤ المتضمن توسيع الشارع المؤدي الى باب المغاربة والذي يؤدي بدوره الى المس بالقبور المتواجدة في المقبره[٦] .

وعلى اثر ذلك قامت ادارة الاوقاف بالاعتراض على المشروعين بتاريخ ١٩/٥/١٩٨٩ حيث جاء في الاعتراض :

١ - ان التغيير في المشروع الهيكلي المحلي يؤدي الى تغيير في الارض التابعة للمقبرة الاسلامية ، وجعلها مكاناً عاماً مفتوحاً ، مما يمس بالمسلمين هنا وفي الخارج ، إذ ان تنفيذ المشروع سيجعل من المقابر ساحات عامه .

٢ - ان تغيير المقابر هو بمثابة وضع يد عليها ، وهذا العمل يتنافى مع الشريعة الاسلامية والقانون الساري المفعول الذي لا يجيز استملاك المقابر .

٣ - ان تنفيذ المشروع يتناقض تماماً مع مشاعر المسلمين ويمس بها .

٤ - ان سكان القدس يعانون من نقص في المقابر ، واي تعديل على الوضع القائم سوف يزيد المشكلة تعقيداً .

٥ - ان التعديل المنوي إجراؤه يمس بالاماكن الاثرية القديمة ، ومعالم التراث القديمة في المنطقة .

٦ - يبدو ان شعور المسلمين واهل المدينة المقدسة لا يعني شيئاً امام شارع سياحي ، ومشروع ترفيهي كهذا يجري اقامته على انقاض المقابر التي يزيد عمرها عن ١٤٠٠

عاماً والخاصة بالمسلمين امر لايقبله عقل ولا يرتضيه انسان[٧] .

هذا هو مضمون الاعتراض الذي قدمته الاوقاف الاسلامية للجنة اللوائية للتنظيم والبناء في القدس غير ان تلك اللجنة ردت اعتراض الاوقاف في ١٥/٢/١٩٩١ . مظهرة اصرارها على مواصلة المشروع .. ومايزال الصراع مستمراً حول هذا المشروع الاسرائيلي الخطير .

ثانياً : الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية على الاماكن المقدسة والممتلكات المسيحية :

لم تقتصر الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية الرسمية وغير الرسمية على الاماكن المقدسة والممتلكات الاسلامية ، بل تجاوزتها لتمتد الى الاماكن المقدسة والممتلكات المسيحية كذلك.

وقد تنوعت تلك الاعتداءات لتشمل تحقير المقدسات ، والضغوط الشديدة على رجالات الطوائف المسيحية لاجبارهم على التنازل عن مساحات كبيرة من اراضي وعقارات هذه الطوائف في منطقة القدس ، سواء بالبيع المباشر او التأجير لفترة طويلة الامد ، وارهاب رجال الدين وابناء الطوائف وحمل الكثيرين منهم على الرحيل عن المدينة[٨] .

لقد تعرضت كنيسة القيامة والاماكن المقدسة الاخرى لدى المسيحين الى عدد كبير من الاعتداءات خلال سنوات الاحتلال [٩] :

١ - في اواخر عام ١٩٦٧ قام اسرائيليون بسرقة تاج العذراء .

٢ - ليلة عيد القيامة المجيد بتاريخ ٢٥/٤/١٩٧٠ . احتل مئات من رجال الشرطة الاسرائيليين المسلحين بطريركية الاقباط الارثوذكس وكنسيتهم بالدير القبطي (دير السلطان) مما اضطر مطران الكرسي الاورشليمي والشرق الادنى للاقباط الارثوذكس الى الغاء الاحتفالات بعيد القيامة المجيد .

٣ - في تشرين اول ١٩٧٠ قامت السلطات الاسرائيلية عن طريق شركة «هيمانوتا» التابعة للصندوق القومي الاسرائيلي - الكيرن كيمت - بعقد صفقة شراء للدير الفرنسي المعروف بالنوتردام ، من مؤسسة الرهبنة الكاثوليكية الفرنسية بصورة احتيالية ، حيث تمت صفقة الشراء هذه في مدينة نيويورك بواسطة الصهيوني الامريكي

المدعو «صموئيل كانران»، مما اضطر رهبان الدير المذكور الى اخلائه مرغمين ، ومعروف ان عمارة النوتردام هذه عمارة ضخمة كالقلاع الكبيرة وتقع على قمة هضبة في وسط مدينة القدس ، وتشرف على جميع انحاء المدينة المقدسة والجديدة .

٤ - قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة قطعة ارض من املاك بطريركية الروم الارثوذكس، تقع بين فندق الملك داود ومحطة سكة حديد القدس ، وقدمت البطريركية احتجاجاً لكن دون جدوى .

٥ - استولت تلك السلطات على عمارة فندق فاست بالقدس وهو من املاك بطريركية الارمن ، ثم قامت بهدمه وازالته وبيعه لشركة اسرائيلية .

٦ - واستولت تلك السلطات على جميع ابنية مدرسة شنللر الالمانية بالقدس والتي تضم اكبر مدرسة لوثرية ومهنية لايتام العرب وابنية سكن وكنيسة ومساحة واسعة من الارض .

٧ - واستولت كذلك على املاك الكنيسة الارثوذكسية في القدس والمعروفة بالمسكوبية .

٨- يوم ١٩٧١/٣/٢٤ ، قام اسرائيليون بتحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس في مدخل كنيسة القيامه(١٠) .

٩ - يوم ١٩٧٣/٢/٦ ، احرق عدد من الاسرائيليين المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون(١١) .

١٠ - يوم ١٩٧٤/٢/١١ قام عدد من الاسرائيليين باحراق اربعة مراكز مسيحية في القدس(١٢) .

هذا وقد بلغت الاعتداءات الاسرائيلية ذروة جديدة خلال عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ حيث اخذت تظهر على جدران المؤسسات والحوانيت شعارات مثل «مبشرين خنازير» و«شاربو الدماء» وشعارات الصليب المعقوف .

كما ارسلت حركات ارهابية يهودية اربع رسائل تهديد واهانة الى كنيسة جبل صهيون. وهي الكنيسة التي عانت في السابق من اعتداءات طلاب المدرسة الدينية اليهودية المجاورة لها ، والذين اقتحموا غرفة الروح القدس وقاموا بتحطيم اجزاء من محتوياتها .

كذلك تم تحطيم نوافذ الكنيسة المعمدانية في شارع نركيس في حي رحافيا ثلاث مرات ، وتم تحطيم زجاج نوافذ مركز المعلومات المسيحي في يوم عيد الميلاد . عندما كان يقام في المكان معرض ديني ، وكتبت شعارات نازية على جدران الكنائس المسيحية عشر مرات ، ورسمت شعارات الصليب المعقوف على ثلاثة محلات لبيع الكتب المقدسة(١٣) .

كانت هذه الانتهاكات والاعتداءات ضد الاماكن المقدسة والممتلكات المسيحية حلقات قليلة في سلسلة طويلة لا نهاية لها من الاعتداءات على المدينة المقدسة ، وكان من بين الأثار التي ترتبت على هذه الممارسات والمضايقات نزوح الالاف من المسيحيين سكان القدس عن المدينة على مدى السنوات الماضية من الاحتلال ، بحيث هبط عددهم من ١٨,٣٠٠ نسمة عام ١٩٦٧ الى ١٢,٨٦٠ نسمة عام ١٩٧٥(١٤) ، ثم هبط عدد المسيحيين في القدس الى حوالي ١١ الف نسخة فقط عام ١٩٩٠ (١٥) .

أ - احتلال فندق ماريوحنا :

ولعل ابرز واوضح واقرب مثال على الانتهاكات الاسرائيلية ضد المقدسات والممتلكات المسيحية ، هو ذلك الاعتداء السافر الذي نفذه حوالي ١٥٠ مستوطناً يهودياً يوم الاربعاء ١١ نيسان ١٩٩٠ ضد فندق ماريوحنا الواقع في قلب «الحي المسيحي» في القدس ، والعائد البطركية الروم الارثوذكس (اليونانية) .

وتحدثت تقارير الارض المحتلة في حينه ان احتلال المبنى بغية تهويده على ايدي المستوطنين اليهود حظي بتأييد وغطاء السلطات الاسرائيلية الرسمية ، لكن واثر ردود الفعل العربية المحلية والعالمية الشديدة ، وتلاحم الاسلام والمسيحية في مواجهة هذه الهجمة الاستيطانية في قلب القدس ، تراجعت تلك السلطات ، واصدرت المحكمة الاسرائيلية قراراً باخلاء معظم المستوطنين وابقاء عدد يتراوح بين ٢٠-٢٥ منهم كحرس لحين البت بالقضية التي لم يبت بها حتى كتابة هذه المعلومات .

وفي اعقاب اقتحام واحتلال مبنى ماريوحنا اصدر رؤساء الكنائس والطوائف المسيحية في القدس بياناً ضد هذا الاعتداء ، وفيما يلي نصه كما ورد في الصحف العربية المقدسيه (١٦)

بيان رؤساء الكنائس والطوائف المسيحية في القدس :

اليوم الاثنين ٢٣ نيسان اجتمع البطاركة ورؤساء الكنائس والطوائف المسيحية في القدس وقيموا معا ردة الفعل تجاه الاحداث الخطيرة التي أخذت مجراها خلال الأسبوع المقدس ونتائج هذه الأحداث .

في مساء يوم الأربعاء ١١ نيسان ١٩٩٠ وخلال الأسبوع المقدس قام مائة وخمسون مستوطنا اسرائيليا بعضهم مسلحاً باحتلال فندق مار يوحنا في قلب «الحي المسيحي» وتبلغ مساحته ٣٠٠٠ متر مربع وتعود ملكتيه الى بطركية الروم الارثوذكس (اليونانية) وحظي تصرف المستوطنين بدعم السلطات الاسرائيلية حيث جرى تمويل هذا النشاط والى حد كبير من قبل الحكومة ، وكانت هنالك زيارات لهم من قبل وزراء في الحكومة وسلطات برلمانية وذلك لتشجيعهم وبالنتيجة بدا واضحا أن سلطات الحكومة الاسرائيلية وعلى أعلى مستوياتها تدخلت ووضعت العوائق أمام الشرطة لمنع تنفيذ أمر الاخلاء القانوني .

ووقع هذا الحادث مع اقتراب دورة الأسبوع المقدس مما ادى الى احداث ارباك وتشويش على أكثر الطقوس الدينية تعظيما في الديانة المسيحية ، وفي أكثر أماكن العبادة للعالم المسيحي وهي كنيسة القبر المقدس .

ان تصرف المستوطنين المدعوم من قبل الحكومة الاسرائيلية هذا ، يؤدي وباستمرار الى اثارة حوادث عنف يوميا في وحول المنطقة التي يقع فيها القبر المقدس و مركز لسلطات الكنيسة ، وجرى تدنيس هذه الأماكن واهانتها بالظهور بالسلاح فيها .. وبالنتيجة فان حرية دخول القبر المقدس وحرية الصلاة داخله تعرضت للخطر .

ان تصرف المستوطنين المسلحين هؤلاء يعرض وبجدية التكامل الثقافي والديني القائم على أساس الادارة الذاتية في مناطق المسيحيين والأرمن والمسلمين للخطر ، كما ويخرق الشخصية المميزة لهذه الأحياء في المدينة المقدسة التي اكتسبتها خلال عصور طويلة من الزمن ، التي احترمها كل الذين حكموا القدس في السابق والتي احترمتها المجموعة الدولية .

بل وأبعد من ذلك فان هذا التصرف يعرض بقاء ووجود كل الطوائف المسيحية في المدينة المقدسة للخطر .

نحن رؤساء الكنائس والطوائف نشجب تصرفات المستوطنين بدون تحفظ ، كما وندين وبشدة دعم تشجيع الحكومة الاسرائيلية لهم ... ونطالب بأن تقوم السلطات الاسرائيلية باخلائهم فورا واعادة الأملاك الى أصحابها الشرعيين : بطركية الروم الارثوذكس (اليونانية).

كما ونناشد المجتمع الدولي وكل الكنائس والقادة الدينيين وكل الناس ذوي القلوب الطيبة في كل العالم بان يمنحونا تأييدهم النشط والفعال .

ولقد قررنا ما يلي :

* اغلاق أبواب كافة الاماكن الدينية المسيحية المقدسة في القدس ، والناصرة ، وبيت لحم ، وفي أي مكان من الديار المقدسة الساعة التاسعة من صباح ٢٧ نيسان الجاري ، ولا يعاد فتحها الا في صباح اليوم التالي .
* تقرع أجراس كافة الكنائس في نفس اليوم في كل البلاد ، بلحن جنائزي كل ساعة بعد الساعة التاسعة وحتى المساء .
* يوم الأحد ٢٩ نيسان سيكون يوما مميزا للمصلين لصالح مسيحيي القدس وندعو كل أخوتنا المسيحيين المؤمنين في العالم لمشاركتنا الصلاة .

ولقد اتخذنا قرارا بالبقاء في جلسة مستمرة الانعقاد لمتابعة تطورات القضية

القدس ٢٣ نيسان ١٩٩٠

بطريرك الروم الأورثوذكس في القدس ، بطريرك اللاتين في القدس ، بطريرك الأرمن في القدس ، حارس الأراضي المقدسة ، مطران الأقباط في القدس ، مطران السريان في القدس ، مطران الاثيوبيين في القدس ، الأسقف الانجليكاني في القدس ، أسقفية الكنيسة الانجليكانية ، قساوسة بطريركية الروم الكاثوليك ، مطران الطائفة اللوثرية في القدس .

هوامش الفصل الثالث

١ – المعطيات الواردة في هذا الجزء مستقاة من تقرير خاص ورد من الارض المحتلة – مصدر سبق ذكره .

٢ – لمزيد من التفاصيل انظر : «ملف المسجد الاقصى» صحيفة القدس المقدسية . عدد ١٩٨٩/٨/٢١ صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/٩/٢٩ «يوم القدس .. يوم الاقصى» صحيفة صوت الشعب الاردنية عدد ١٩٨٦/٨/٢١ لجيب الاحمد «تهويد القدس» – مصدر سبق ذكره.

سمير جريس : القدس – المخططات الصهيونية – الاحتلال – التهويد مصدر سبق ذكره .

روحي الخطيب : «المؤامرات الاسرائيلية على القدس ٦٥ – ١٩٧٥» عمان / امانه القدس ، ١٩٧٥ / روحي الخطيب : تهويد القدس . بيروت . مركز الابحاث ١٩٧٠ .

٣ – بيان المؤتمر الاسلامي العام والهيئة الاسلامية العليا في القدس ، صحيفة الدستور الاردنية ، عدد ١٩٨٩/١١/١٤ .

٤ – المصدر السابق نفسه .

٥ – المصدر السابق نفسه .

٦ – صحيفة الشعب المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٧/١٩ .

٧ – المصدر السابق نفسه .

٨ – محفوظات مؤسسة الدراسات الفلسطينية اوراق ابن القدس روحي الخطيب .

٩ – لجيب الاحمد ، مصدر سبق ذكره .

١٠ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٧١/٣/٢٥ .

١١ – محاضر الكنيست بالعبرية ، ١٩٧٤/٢/٢٦ ، ص ٤٧٥ .

١٢ – المصدر السابق نفسه .

١٣ – سمير جريس ، القدس ... مصدر سبق ذكره .

١٤ – المصدر السابق نفسه ، روحي الخطيب ، المؤامرات الاسرائيلية .. مصدر سبق ذكره .

١٥ – د. برنارد سابيلا . صحيفة الشعب المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٧/٧ .

١٦– صحيفة الفجر المقدسية ، عدد ١٩٩٠/٤/٢٤ .

الفصل الرابع

مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني في القدس العربيه

الفصل الرابع
مسيرة النضال والتصدّى الفلسطيني في القدس العربية

يتبين من قراءة كافة المعطيات والحقائق والتفاصيل سابقة الذكر التي تتحدث عن مختلف اشكال المخططات والممارسات والانتهاكات الاسرائيلية ضد الوجود العربي الفلسطيني والمقدسات الاسلامية المسيحية في المدينة المقدسة ، ان السلطات الاسرائيلية استهدفت بوضوح من ورائها :

١ – تفريغ المدينة المقدسة ، سواء داخل اسوارها او خارجها من اكبر عدد من السكان الفلسطينين العرب ، بشتى الوسائل الممكنة .

٢ – افساح المجال جغرافياً وسكانياً ومعنوياً امام التمدد والتوسع الاستيطاني اليهودي على حساب العرب . الامر الذي يمثل جوهر الاستراتيجية الصهيونية ، وقد انعكس ذلك في تفريغ مساحات واسعة من الاراضي ومصادرتها . كما أشرنا آنفاً .

٣ – تكريس اجراءات التهويد للاراضي والمؤسسات والممتلكات العربية كأمر واقع مع مرور الزمن ، كما هي عادة السلطات الاحتلالية في كل زمان ومكان .

٤ – محاصرة المواطنين العرب وخنقهم جغرافياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، بغية تقويض مقومات صمودهم ومعنوياتهم ، تمهيداً لاجبارهم على الرحيل ، الامر الذي لم تنجح فيه تلك السلطات ، رغم ترحيل اعداد لا بأس بها من الفلسطينيين .

وفي ضوء ذلك لم يكن هناك ادنى شك ، بان جوهر الصراع حمل ومنذ البدايات الاولى للاحتلال ، طابع الصراع الشامل الحاسم المصيري ، الامر الذي ادركه الفلسطينيون في انحاء الوطن المحتل ، والمدينة المقدسة ووقفوا على ابعاده ، مما عمق وعيهم وارادتهم واصرارَهم على التحدي والتصدي والبقاء ، ومما بلور في الوقت ذاته مسيرتهم النضالية المناهضة لمشروع الاحتلال واهدافه في التفريغ والتهويد .

وفي ضوء ذلك ايضاً بدأت مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني ، وتنامت اليقظة الوطنية الفلسطينية ، وتعاظمت مشاعر العداء والمناهضة لسلطة الاحتلال ، وتعزز تطلع اهلنا في الوطن المحتل نحو التحرير والتحرر واقامة الكيان الوطني الفلسطيني ، ويمكن القول بان اليقظة

الوطنية الفلسطينية الشاملة تمثلت في :

١ - رغبة ابناء الشعب العربي الفلسطيني في القدس والاراضي المحتلة في التخلص من وطأة الاحتلال وتحرير الارض وتقرير المصير الوطني فوق تراب الوطن المحتل[١] .

٢ - رفض واقع الاحتلال والمحاصرة والقتل المادي والمعنوي الذي تفرضه السلطات الاسرائيلية على الشعب العربي الفلسطيني رغماً عن ارادته وحقه ، اي رفض الواقع الاحتلالي والتسليم به ورفض كل المحاولات الرامية الى ابقاء الفلسطينيين دون كيان سياسي مستقل .

٣ - الاستعداد المتزايد لدى قطاعات متنامية من ابناء الشعب الفلسطيني . صغيرهم وكبيرهم، نساؤهم ، ورجالهم ، لتقديم كل التضحيات الواجبة على طريق النضال المتواصل ضد الاحتلال .

اذن لقد صقلت ظروف المعاناة المتواصلة في كافة المجالات الحياتية اهلنا في الوطن المحتل عامة ، وفي المدينة المقدسة خاصة ، نضالياً وانتمائيا ، وبلورت هويتهم الوطنية . واوضحت امامهم درب النضال والاهداف الرئيسية له[٢] .

وتاسيساً على ذلك فقد كانت مسيرة النضال والتصدى الفلسطيني واعية ملتزمة متنامية باستمرار ، وكانت المسيرة النضالية في القدس العربية المحتلة جزءاً لا يتجزأ من المسيرة الشاملة في الارض المحتلة ، غير ان كل عملية تصعيد نضالي خاص ، كانت تشهدها المدينة المقدسة كما حدث في تشرين اول ١٩٩٠ ، كانت تثير حالة من القلق والارتباك المتزايد لدى قيادة الاحتلال ، نظراً للمكانة الخاصة التي تحتلها المدينة المقدسة ، سواء في برامج ومخططات الاحتلال ، او في نفوس الفلسطينيين والعرب . او امام الرأي العام العالمي .

شهدت مسيرة النضال والتصدى الفلسطيني لمخططات وممارسات الاحتلال في منطقة القدس حالات متقلبة من المد والجزر ، تبعاً للظروف والمناسبات والطاقات وموازين القوى والمناخات المحلية والعربية والدولية المحيطة ، غير انها في الوقت ذاته كانت تسير في درب النضال والتصدى الجدي والحقيقي والواعي والموغل في الاصرار على رفض واقع الاحتلال ، وحتمية التحرر منه ، ومن اجل تلمس جوهر وتنامي وتطور هذه المسيرة النضالية ، لابد من القاء الضوء على معطيات وتفاصيل مرحلتين اساسيتين تمثلان في اعتقادي هذه المسيرة وهما

متكاملتان . قامت الثانية منهما على لبنات وانجازات الاولى تماماً ، وهما : مرحلة ما قبل الانتفاضة ١٩٦٧-١٩٨٧ ، ومرحلة ما بعد الانتفاضة ١٩٨٧ ...

اولا : مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني في القدس ١٩٦٧-١٩٨٧ :

ليس من شك ان حالة التذمر والسخط والغليان في اوساط الفلسطينين المقدسيين بدأت مع بداية الاحتلال للمدينة المقدسة ، وقد ظهرت مظاهر الرفض والاحتجاج العربيين للممارسات الاسرائيلية ، مع اقدام السلطات الاسرائيلية على تنفيذ خطواتها الاولى على طريق التهويد للمعالم العربية ، واتخذت تلك المظاهر اشكالاً عديدة ، منها ما حمل شكل المقاطعة والقطيعة ، ومنها ما حمل شكل التصدي العنيف ، ويمكننا في هذا السياق استعراض اهم اشكال الرفض والاحتجاج العربيين ضد الاحتلال بالخطوط العريضة والمعطيات الاساسية كما يلي :

أ - رفض الضم الاداري والسياسي :

في اعقاب احتلالها للقدس . اصدرت السلطات الاسرائيلية الاحتلالية كما استعرضنا قرارات متتالية استهدفت تهويد الشؤون الادارية والبلدية . اضافة الى تهويد السيادة على المدينه .

« ففي ١٩٦٧/٦/٢٧ اصدر البرلمان الاسرائيلي قراراً على شكل اضافة فقرة الى قانون اسرائيلي اطلق عليه « قانون الاداره والنظام لسنة ١٩٤٨ » ، وخولت تلك الفقرة الحكومة الاسرائيلية تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الارض ترى الحكومة المذكورة ضمها الى « ارض اسرائيل » .

وفي ١٩٦٧/٦/٢٨ اصدر سكرتير حكومة اسرائيل امراً اطلق عليه « امر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧ » اعلن فيه ان مساحة ارض اسرائيل المشمولة في الجدول الملحق بالامر ، خاضعة لقانون قضاء وادارة الدولة الاسرائيلية . ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم امانة مدينة القدس الواقع ما بين المطار وقرية قلندية شمالاً ، وبيت حنينا غرباً ، وقرى صور باهر

وبيت صفافا جنوباً ، وقرى الطور والعيزرية وعناتا والرام شرقاً .

وفي ١٩٦٧/٦/٢٩ اصدر الجيش الاسرائيلي امراً يقضي بحل مجلس امانة القدس ، اي بلدية القدس ، المنتخب من السكان ، وبطرد امين القدس من عمله .

وقد نفذت السلطات العسكرية الاسرائيلية المحتلة هذه القرارات والاوامر بشده . فاستولت على جميع ممتلكات واجهزة وسجلات الحكومة الاردنية ودوائرها ومحاكمها ، واستولت كذلك على جميع ممتلكات امانة القدس العربية والحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الاسرائيلية .

اعترض المواطنون العرب في القدس والضفة الغربية . كما اعترضت الهيئة الاسلامية على هذه الاجراءات . واوصلوا شكاواهم الى هيئة الامم المتحدة ، فاصدرت الهيئة قرارات بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ و ١٩٦٧/٧/١٤ اعتبرت بموجبها جميع اجراءات اسرائيل باطلة وطالبتها بالغائها والعدول عنها فوراً[٣].

وعلى خلفية قرارات الالحاق والضم والتهويد المذكورة ، تتابعت القرارات والاوامر الاسرائيلية المتعلقة باجلاء السكان العرب عن الاراضي والعقارات ، والاستيطان فيها ، اضافة الى القرارات والاوامر والاجراءات الرامية الى تهويد القضاء النظامي والاسلامي ، وتهويد التعليم والاقتصاد العربي ..الخ .

لم يقف عرب القدس المحتلة مكتوفي الايدي ازاء كل اجراءات الضم والتهويد ، بل اعترضوا واحتجوا وقاطعوا فقد « اعترض المهددون بالاخلاء من عرب القدس ، كما عارض اصحاب العقارات ومعظمهم من سلالات العرب التي تمتد بعضها ثمانية قرون ، وبعضها لاكثر من اثني عشر قرناً ، عارضوا تلك الاجراءات ، ورفضوا التخلي عن املاكهم او مساكنهم ، او محلات عملهم او الاراضي التي يعيشون من زراعتها ، وارسلو مذكرات خطية استنكروا فيها هذه الاجراءات كما ارسلو نسخاً منها في حينها للهيئات الدولية ، ورغم ذلك واصلت تلك السلطات اجراءات اخلاء العقارات والاراضي بالقوة »[٤] .

وفي مجال القضاء النظامي والاسلامي وبعد ان اغلقت سلطات الاحتلال جميع المحاكم النظامية في المدينة المقدسة واتخذت اجراءات تهويدية ، « رفض الجهاز القضائي العربي هذه الاجراءات وامتنع العاملون فيها عن التعامل والعمل مع سلطات الاحتلال ... كما شارك

المحامون في القدس والضفة الغربية والاسرة القضائية العربية في رفض التعاون ورفض الظهور امام المحاكم الاسرائيلية ، النظامية منها والعسكرية ، واكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق رفعت للمحافل الدولية والسلطات المحتلة نفسها .. وفي الوقت نفسه رفض قضاة الشرع الاسلامي في القدس التعاون مع السلطات المحتلة ، وتضامن معهم جميع قضاة الشرع واجهزة المحاكم الشرعية ، ودوائر الاوقاف في الضفة الغربية(٥) .

ومنذ البدايات الاولى للاحتلال ، انتظم اهالي القدس العربية في قناة التصدي لسياسة المصادرة والتهويد ضد الاراضي والممتلكات العربية ، ولجأوا في ذلك الى اساليب عديدة ، منها ارسال المذكرات والعرائض الاحتجاجية ، التي طرحوا جوهر موقفهم فيها .. مثل تلك العريضة التي ارسلها رجالات القدس الى ليفي اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلي والى الحاكم العسكري الاسرائيلي للضفة الغربية استنكاراً لاعتزام السلطة الاسرائيلية مصادرة ارض عربية في المدينة وجاء في العريضة :

« ... لقد سارعنا بتقديم هذه المذكرة اليكم ، وغايتنا هي الحفاظ على مدينتنا العربية والطابع الذي عرفت به عبر العصور ، ولننقل اليكم قلقنا البالغ ازاء ما يمكن ان يعكسه مثل هذا العمل على الجهود المبذولة لاحلال السلام العادل في المنطقة ، كذلك نرغب في ان نؤكد لكم شجبنا لهذا الاجراء لاسباب كثيرة فيما يلي بعضها :

١ - ان مصادرة الاراضي في القدس ، تعزز الشكوك التي تساورنا بان سياسة زعماء اسرائيل تستهدف التوسع والعدوان .

٢ - ان هذا الاجراء سوف يدمر اية فرصة قد تسنح لتحقيق السلام الذي تسعى اليه الامم المتحده .

٣ - ان هذا الاجراء يعتبر تحدياً لقرارات الامم المتحدة الصادره بشأن القدس ...

واستناداً لما سبق فاننا نرغب في ان نسجل احتجاجنا الصارخ على هذا الاجراء »(٦) .

وبعد ذلك باسابيع قليلة اصدر اهالي الضفة الغربية بياناً حول مخططات تهويد ، المدينة المقدسة ، اكدوا فيه رفضهم لاجراءات سلطات الاحتلال(٧) ، ثم ارسل سكان مدينة القدس مذكرة الى رئيس دائرة تسجيل وتسوية الاراضي احتجاجاً على قرار السلطات الاسرائيلية الاستيلاء على اراضي المنطقة الشمالية من القدس ، وقد جاء فيها :

«نحن الموقعين ادناه من اهالي القدس ، نعترض على قرار استملاك والحيازة الفورية للاراضي ، للاسباب التالية :

١ - اننا لانعترف بالقرار المذكور ، ولا نقر السلطات المسؤولة باستملاك هذه الارض او جزء منها .

٢ - نعارض بكل شدة قرار الحيازة الفورية ووضع اليد او الاستملاك من قبل اية سلطة...[٨]

وفي الشهر اللاحق «جاءت عريضة رجالات القدس ومدن الضفة الغربية الى ليفي اشكول ، رئيس الوزراء الاسرائيلي احتجاجاً على ابعاد السيد روحي الخطيب امين القدس الى الضفة الشرقية »[٩] ، كما وجه رجالات القدس والضفة الغربية « عريضة الى ليفي اشكول احتجاجاً على اول عرض عسكري اسرائيلي في القدس»[١٠] ، وفي الموضوع ذاته وجّهت اللجنة العليا للتوجيه الوطني دعوة الى جميع سكان القدس الالتزام بيوتهم ، استنكاراً لاقامة العرض العسكري الاسرائيلي بمناسبة ذكرى قيام اسرائيل ، وقد جاء في الدعوة :

« .. اننا نهيب بكل المواطنين على اختلاف ارائهم ومعتقداتهم .. نهيب بالجميع في القدس العربية وفي جميع المدن والبلدان والقرى في الضفة الغربية استنكار هذا التحدى ، والعمل الاستفزازي بالمقاطعة الشاملة .. والتزام البيوت ، تعبيراً سلمياً عن استنكار هذا التصرف الاستفزازي »[١١] .

واحتجاجاً على سياسة التشليح الضريبي للسكان المقدسيين ، التي شرعت السلطات الاسرائيلية بتطبيقها على المدينة المقدسة ، «ارسل اهالي القدس مذكرة الى الحاكم العسكري الاسرائيلي اعترضوا فيها على تطبيق الانظمة والقوانين الضرائبية الاسرائيلية »[١٢] .

وبمناسبة الذكرى السنوية الاولى لعدوان حزيران سنة ١٩٦٧ واحتلال القدس ، « وجهت اللجنة العليا للتوجيه الوطني في الضفة الغربية دعوة الى كل المواطنين العرب للاضراب العام يوم الخامس من حزيران / يونيو / ١٩٦٨ »[١٣] . وفي خطوة تصعيدية اخرى « وجهت اللجنة العليا للتوجيه الوطني في مدينة القدس دعوة الى المواطنين للامتناع عن دفع الضرائب والى التمسك باملاكهم »[١٤] .

وعلى صعيد القضاء الشرعي والوقف الاسلامي والاماكن الاسلامية المقدسة ، اصدرت الهيئة الاسلامية العليا في القدس بياناً جاء فيه :

«على الرغم من الاحتجاجات المتكررة وصيحات الأستنكار المتعددة على اجراءات سلطات الاحتلال التي تستهدف التدخل السافر في شؤون المسلمين الدينية واوقافهم ومؤسساتهم ومعابدهم ، فان سلطات الاحتلال ما زالت سائرة في اجراءاتها ومحاولاتها وضغوطها ضد شؤون المسلمين في القدس العربية وسائر المناطق في الضفة الغربية .

... ان الهيئة الاسلامية اذ ترفع صوتها مجدداً مستنكرة الاعتداءات المتكررة والمستمرة على قضاء المسلمين واوقافهم واماكن عبادتهم ، لترى انه قد آن للعالم اجمع ان يتنبه لهذه الاعمال .. كما انها تؤكد ارادة المسلمين في رفض الاجراءات غير الشرعية التي تستهدف الضم والتوسع والتدخل في شؤون المسلمين ..»[١٥] .

كانت تلك نماذج قليلة من فيض كبير ، من مواقف الاستنكار والاحتجاج والرفض الفلسطينية ضد سياسة واجراءات مسيره الرفض الفلسطينية بإشكال عديدة متعددة متغيرة من النضال والمقاومة . واضافة الى ذلك ، لا بد لنا من اشارة خاصة الى المظاهر الاخرى للرفض .

ب - المظاهرات والصدامات :

شهدت المدينة المقدسة كما غيرها من مدن وقرى ومخيمات الاراضي المحتلة ، سلسلة طويلة متصلة من المظاهرات والصدامات العنيفة مع قوات الشرطة وحرس الحدود الاحتلالية ، التي كانت تقع في معظم المناسبات الوطنية والاحداث الهامة .

ولعل من ابرز واهم تلك المظاهرات والصدامات ، هي تلك التي اعقبت عملية اشعال النار في المسجد الاقصى المبارك في ١٩٦٩/٨/٢١ ، اذ «عم الاضراب العام مدينة القدس ، وقامت المظاهرات ، التي قمعتها سلطات الاحتلال بالقوة ، واعلن فرض حظر التجول ، وفي اليوم التالي عم الاضراب العام الشامل جميع انحاء الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ، والمناطق المحتلة ١٩٤٨ ، وعمت المظاهرات التي اشترك فيها مئات الالوف من المواطنين العرب

نساء ورجالاً وعم الحزن والاسى والالم كل القلوب والنفوس لهول جريمة الصهاينة »[١٦] .

كما اجتمعت الهيئة الاسلامية العليا ورؤساء بلديات الضفة الغربية وزعماؤها بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ ، وبحث المجتمعون الحادث ، وقرروا لمواجهة الموقف مايلي[١٧] :

١ - يقرر المجتمعون تشكيل لجنة تحقيق عربية فوراً ، على ان تقوم بتقديم تقريرها بالسرعة الممكنة للهيئة الاسلاميه .

٢ - تشكيل لجنة مهندسين عرب لاجراء الكشف وتقديم تقرير فني وبيان مدى الاضرار .

٣ - يصر المجتمعون على اقفال باب المغاربة وتسليم مفتاحه للاوقاف فوراً .

٤ - المطالبة باصرار على ايقاف الحفريات حول الحرم الشريف ، والطلب بان تزور لجنة المهندسين العرب الحفريات التي تجري تحت باب السلسله .

٥ - اعتبار منطقة الحرم الشريف منطقة مغلقة امام الجميع عدا المصلين المسلمين . وفي اوقات الصلاة فقط حتى اشعار آخر .

٦ - تعزيز الحراسة المسلحة من قبل مسلحين عرب تابعين لدائرة الأوقاف الاسلامية .

٧ - الابراق لهيئة الامم المتحدة وللدول الاسلاميه والعربيه لابلاغ الجميع بالحادث .

٨ - لا توافق الهيئة الاسلامية على تشكيل ايه لجنة تحقيق تعينها السلطات المحتله ولا تعترف باي تقرير يصدر عنها .

٩ - عدم السماح للسلطات المحتله بتنظيف مكان الحريق ، والعرب وحدهم هم المسؤولون عن ذلك .

١٠ - الدعوة لاضراب سلمي يشمل القدس ، وباقي انحاء الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد عمت المظاهرات والصدامات العينفة في منطقة القدس خلال الانتفاضات الصغيرة التي اجتاحت انحاء الاراضي المحتلة ، احتجاجاً على ممارسات واجراءات سلطات الاحتلال وادواتها . وخاصة في يوم الارض ٣٠/اذار/١٩٧٦ . يوم التلاحم الوطني الفلسطيني في كامل فلسطين المحتله ، وكذلك اثر محاولة اغتيال رؤساء البلديات العرب على ايدي عصابات المستوطنين في مطلع حزيران ١٩٨٠ ، وفي انتفاضة عام ١٩٨١ ، و ١٩٨٤ و ١٩٨٥ و ١٩٨٦ ، هذا علاوة على جملة المظاهرات والصدامات المتفرقة ، التي كانت تندلع بين آونة واخرى .

جـ - سلاح البيانات والمنشورات :

لعبت البيانات والمنشورات المختلفة الصادرة عن لجنة التوجيه الوطني ، او تلك الصادرة عن مختلف المؤسسات والفعاليات الوطنية ، اضافة الى تلك الصادرة عن فصائل المقاومة الفلسطينيّة ، عبر المراحل الزمنية السابقة لاندلاع الانتفاضة الفلسطينية في التاسع من كانون اول / ديسمبر / ١٩٨٧ . لعبت دوراً فعالاً مؤثراً متميزاً توعوياً وتثقيفياً وتوجيهياً ، في قيادة الجماهير الفلسطينية في عملية التصدي لمخططات واجراءات الاحتلال ، وعلى وجه الخصوص في منطقة القدس ، حيث تتركز معظم النشاطات السياسية الوطنية الفلسطينية ، وحيث صدرت معظم البيانات والمنشورات .

لقد ساهمت تلك البيانات والمنشورات بصورة كبيرة في انضاج وتوضيح افكار واهداف المسيره النضالية من جهة اولى ، وفي تعزيز الاراده والتصميم على مواصلة الرفض لاجراءات الضم والتهويد الاحتلالية من جهة ثانية ، وفي الحفاظ على الصلة العضوية النضالية بين الجماهير الفلسطينية والقيادات الوطنية والتنظيمية من جهة ثالثه .

وكما استعرضنا في الصفحات السابقه ، لعبت البيانات الصادرة سواء عن لجنة التوجيه الوطني ، او عن المؤسسات الوطنية ، او عن الهيئة الاسلامية العليا ، او عن قيادات الفصائل الفلسطينية ، دوراً اساسياً في توضيح الاهداف للجماهير وفي دعوتها الى توحيد الصفوف والعمل النضالي وفي تنظيم الاضرابات والمظاهرات والمسيرات ضد الاحتلال .

وكان من ضمن تلك البيانات ما اعتبر على سبيل المثال وثيقة وطنية حفظت موثقة في مختلف المراكز والمؤسسات الفلسطينية والعربية المعينة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر(١٨) :

عريضة رجالات القدس الى ليفي اشكول استنكاراً لاعتزام السلطات الاسرائيلية مصادرة ارض عربية في القدس ، ومذكرة سكان القدس الى رئيس دائرة وتسوية الاراضي احتجاجاً على قرار السلطات الاسرائيلية الاستيلاء على اراضي المنطقة الشمالية من القدس ، والبيان الذي وجهته لجنة انقاذ القدس الى المسلمين في العالم بمناسبة عيد الاضحى عام ١٩٦٨ ، وعريضة رجالات القدس ومدن الضفة الغربية الى ليفي اشكول احتجاجاً على ابعاد السيد

روحي الخطيب امين القدس الى الضفة الشرقية ، ومذكرة الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس . والمطران كيوس ، مطران طائفة الروم الكاثوليك ، الى قناصل الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وتركيه وبلجيكا وانجلترا بالقدس احتجاجاً على الاعتداءات الاسرائيلية ، وعريضة اهل القدس ومدن الضفة الغربية الى ليفي اشكول احتجاجاً على اول عرض عسكري اسرائيلي في القدس ، وبيان لجنة التوجيه الوطني بدعوة جميع سكان القدس العربية للاضراب، استنكاراً لقيام العرض العسكري المذكور ، وبيان لجنة التوجيه الوطني في الضفة الغربية بالدعوة للاضراب يوم الخامس من حزيران ١٩٦٨ . وبيان الهيئة الاسلامية العليا في القدس حول القضاء الشرعي والوقف الاسلامي والاماكن الاسلاميه المقدسه ، وعريضة الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية الى الحاكم العسكري العام في الضفة احتجاجاً على اجراءات السلطات الاسرائيلية لفصل الجمعيات الخيرية في القدس عن سائر الجمعيات في الضفة ، وبيان الهيئة الاسلامية العليا في اعقاب الاعتداء على المسجد الاقصى واحراقه في ١٩٦٩/٨/٢١ ، وبيان لجنة التوجيه الوطني بالدعوة الى الاضرابات والمظاهرات احتجاجاً على الاعتداء على رؤساء البلديات العرب عام ١٩٨٠ ، والبيانات العديدة الصادرة عن اللجنة والفعاليات والمؤسسات الوطنية المختلفة ، تضامناً مع الفلسطينيين في لبنان واحتجاجاً على الغزو الاسرائيلي عام ١٩٨٢ ، هذا علاوة على سلسلة البيانات والمنشورات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة . منذ اندلاعها في التاسع من كانون اول ١٩٨٧ . وحتى اليوم ، والتي يجري حفظها وارشفتها باعتبارها تعكس ذروة مسيرة النضال الوطني الفلسطيني .

د - النشاطات المسلحه :

لا شك ان وجود الاحتلال بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من نفي كامل للوجود العربي الفلسطيني ، من شتى اشكال الممارسات القمعية / التنكيليه الحصاريه اليوميه المستمره ، كان لابد بالضرورة من ان يعزز وينمي ويطور اشكال مختلفه للتصدي والمقاومه ، وكان في مقدمة تلك الاشكال كما هو معروف ، اللجوء الى استخدام المتفجرات والاسلحه الناريه ضد اهداف

احتلاليه ، الهدف من ورائها اولاً التأكيد باستمرار على وجود وتواجد المقاومة والرفض الفلسطينيين للاحتلال ، ثم ايقاع خسائر في صفوف قوات ومستوطني الاحتلال الهدف منها تدفيع السلطات الاسرائيلية ثمن احتلالها وقمعها للشعب الفلسطيني .

وكما هي اشكال الرفض سالفة الذكر ، كذلك النشاطات المسلحة الفلسطينية ، ظهرت في منطقة القدس وبفعالية واضحة مؤثرة منذ البدايات الاولى للاحتلال ، ولعل من ابرز تلك النشاطات كانت سلسلة العمليات التي نفذتها شبكة من الشبان المقدسيين (الكاتب احد هؤلاء الشبان) والتي بلغ مجموعها ثمانية عشر عملية خلال فترة زمنية قصيرة جداً . اذ «قام عدد من هؤلاء الشبان بوضع سبع عبوات ناسفة ليلة الثامن عشر من اب ١٩٦٨ في اماكن متفرقة في القدس الغربية ، احتجاجاً على الممارسات الاسرائيلية ،، وعلى زيارة الوسيط الدولي يارينغ للقدس في حينه ، ثم وضع اربعة الغام كبيرة في قلب المحطة المركزية بتل ابيب في الرابع من ايلول ١٩٦٨ ، وقد عرفت العمليات الاولى بـ «ليلة القنابل» ، بينما عرفت الثانية بـ «المحطة المركزية» وقد اسفر انفجار تلك العبوات والالغام وفقاً لاعتراف العدو امام المحكمة العسكرية التي عقدت لمحاكمة منفذي تلك العمليات في وقت لاحق من العام ، عن قتل ثمانية اسرائيليين واصابة حوالي ١٢٥ اسرائيلي اخر بجروح ، كما نفذت مجموعة عمليات متفرقة اضافة الى هاتين العمليتين الكبيرتين »[١٩] .

كما وقعت ونفذت في القدس عملية كبيرة بعد تلك العمليات باشهر قليلة هزت في حينه الاسرائيليين على مستوى القيادة والشارع ، عرفت باسم «عملية الثلاجة في محانيه يهودا » حيث «قام عدد من المواطنين المقدسيين بتفجير ثلاجة مليئة بالمتفجرات في وسط شارع محانيه يهودا في القدس الغربية ، مما ادى الى مقتل عدد من الاسرائيليين لا يقل عن ثمانية اشخاص واصابة عدد اخر »[٢٠] .

هذا علاوة على مئات العمليات المسلحة المتوزعة ما بين وضع عبوات ناسفة ، او اطلاق النار او القاء قنابل حارقة او قنابل يدويه ، والتي نفذها شبان القدس على مدى سنوات الاحتلال التي سبقت اندلاع الانتفاضة ، والتي لا حاجة بنا الى توثيقها في هذه الدراسه غير انه لا بأس من الإشارة هنا الى ان ٢٩٦ عملية مسلحة مختلفة قد نفذت في منطقة القدس في الفترة الواقعة ما بين ١٩٨٠ ونهاية اذار ١٩٩٠ - استناداً الى ارشيف دار الجليل للنشر - .

هـ - حرب الخناجر

يمكن القول ان حرب الخناجر الفلسطينية ضد جنود ومستوطني الاحتلال بقيت معلنة قائمة مستمرة في انحاء الاراضي المحتلة ، في مرحلة ما قبل اندلاع الانتفاضة ، وتواصلت متصاعدة في ظل الانتفاضة . وخاصة في الاسابيع التي اعقبت المجزرة الصهيونية في باحة المسجد الاقصى المبارك في الثامن من تشرين اول ١٩٩٠ .

اما في القدس العربية المحتلة ، فقصة حرب الخناجر ابرز واكثر تميزاً وتركيزاً من بقية انحاء الاراضي المحتلة نظراً للتواجد الاسرائيلي العسكري والاستيطاني المكثف في المنطقة اولاً ، ونظراً للاحتكاك اليومي بين الجانبين الاسرائيلي والفلسطيني ثانيا ، ونظراً للمكانة الخاصة والحساسية الفائقة المتعلقة بمكانة القدس في السياسة والاعلام ثالثا .

فقد شهدت منطقة القدس على مدى عشرين سنة الاولى من الاحتلال مجموعة كبيرة من عمليات الطعن بالخناجر ضد الجنود والمستوطنين ، وسقط عدد كبير من هؤلاء بين صريع وجريح نتيجة تلك العمليات ، وكانت الانقضاضات بالخناجر على الجنود والمستوطنين ظاهرة دائمة مستمرة في شوارع وازقة القدس القديمة وخارجها ، مما ساهم الى حد كبير في توجيه ضربة معنوية الى معنويات الجنود والمستوطنين ، وجعلتهم في حالة تأهب ورعب مستمرين في المنطقة ، فضلاً عن الارباك الدائم الذي اصاب قادة الامن الاسرائيليين في مجابهة هذا النوع الفعال من اشكال المقاومة الفلسطينية .

لقد كان اسلوب الخناجر القاتلة ، الذي تصاعد في سنوات الثمانين من ابرز واكثر اساليب المقاومة فعلاً وتأثيراً من حيث اصابة معنويات الاسرائيليين ، الى جانب العبوات الناسفة والقنابل اليدوية ، وقد اثار هذا الاسلوب كما شاهدنا في اعقاب مذبحة الاثنين في القدس حالة واسعة من الفزع في الشارع الاسرائيلي - كما سنبين تفصيلياً في جزء لاحق من الكتاب، بعد ان كان قد اثار حالة مشابهة في فترات زمنية مختلفة في مراحل ما قبل الانتفاضة .

و - الصراع على شركة كهرباء القدس :

في اطار مخططها الواسع الرامي الى تهويد الممتلكات العربية . ومحو الوجود العربي في القدس المحتلة ، وضعت السلطات الاسرائيلية نصب اعينها وفي محور مخططها ذلك ، تصفية وتهويد الشركات والمؤسسات العربية الوطنية في القدس ، واحتلت شركة كهرباء القدس العربية محور هذا النوع من الصراع ، الذي تطور في مراحل لاحقة من الثمانينات الى صراع سيادة وطنية بكل ما ينطوي عليه ذلك من معنى ، وقصة شركة الكهرباء العربية في القدس طويلة مريرة ، وتعكس عمق المجابهة والتصدي الفلسطيني لمخططات التهويد الاحتلالية ، فيما يلي اهم خطوطها[٢١] :

فقد ساهمت حرب حزيران ١٩٦٧ في تدمير قسم كبير من شبكات وتجهيزات الشركة العربية ، الا انه تم اصلاح الشبكات واعادة التيار الكهربائي في فترة وجيزة ، وبعد القرار الاسرائيلي الرسمي بضم القدس في ٢٨ حزيران ١٩٦٧ سجلت الشركة تلقائياً كشركة اسرائيلية واصبحت خاضعة للقوانين الاسرائيلية .

وفي اذار عام ١٩٦٨ صادرت السلطات الاسرائيلية اسهم امانة القدس في الشركة البالغة ٨,٢٪ من مجموع الاسهم ، وفي عام ١٩٧١ عينت عضوين في مجلس الادارة كممثلين لبلدية القدس ، مما ادى الى انسحاب ممثلي بلديتي رام الله والبيره ، وفي عام ١٩٧٢ اضطرت الشركة الى ربط بعض شبكاتها بالشركة القطرية الاسرائيلية من اجل استكمال تغذية منطقة امتيازها بالتيار الكهربائي .

في بداية عام ١٩٦٩ قامت الشركة القطرية الاسرائيلية بتمديد خطوطها لتغذية مناطق « رامات اشكول » و« جعفات همفتار » وجزء من منطقة جبل المكبِّر « تلبيوت » ولما كانت هذه المناطق ضمن منطقة الحرام ولم تكن ضمن امتياز الشركة الاسرائيلية ، بل جزءاً من امتياز الشركة العربية ، رفعت ادارة الشركة العربية قضية لدى المحكمة العليا طالبت بضمان حقها في تزويد تلك الاحياء .

وبعد عام ١٩٧٣ ، ومع تزايد وتاثر الاستيطان حول مدينة القدس واضطرار الشركة العربية لتزويدها بالتيار الكهربائي كون هذه المناطق هي جزء من امتيازها ، ازداد اعتماد

الشركة العربية على الشركة الاسرائيلية في شراء التيار الكهربائي لكي تستطيع تنفيذ التزاماتها .

وفي بداية عام ١٩٧٩ بدأت تظهر بوادر الازمة المالية للشركة من جراء تراكم الديون عليها للشركة الاسرائيلية . وواكب ذلك تدهور الاوضاع الاقتصادية / المعيشية لعمال الشركة وموظفيها ، في الوقت الذي واصلت فيه السلطات لاسرائيلية مخططاتها ومحاولاتها الرامية الى تجريد الشركة العربية من امتيازها وتهويدها . وفي هذا الاطار واصلت تلك السلطات فرض القيود والاجراءات التقييدية المستمرة ضد الشركة .

وامام الاصرار الاسرائيلي الرسمي وشبه الرسمي عبر الشركة القطرية على مصادر امتياز الشركة العربية ، ظهر الاصرار العربي الفلسطيني بالمقابل في مجابهات عديدة مستمرة على الاحتفاظ بامتياز الشركة العربية ، والحفاظ على هويتها الوطنية وعدم السماح لتلك السلطات بتهويدها ، وكثيرة جداً هي مواقف التصدي الفلسطيني للمحاولات الاسرائيلية التي لم تتوقف ابداً .

ففي تطور لاحق في الصراع على امتياز الشركة العربية وهويتها . اصدرت المؤسسات والاطر الوطنية والجماهيرية في الاراضي المحتلة بياناً اكدت فيه الموقف الثابت ازاء محاولات سلطات الاحتلال الاسرائيلي المتصاعدة والهادفة الى الاستيلاء على شركة كهرباء محافظة القدس ، واكد البيان دعم المواطنين لموقف الشركة كما عبر عنه رئيس مجلس الاداره ، وكما عبرت عنه نقابة عمال وموظفي الشركة برفض المحاولات الاسرائيلية التي تهدف الى تصفية الشركة والاستيلاء عليها »[٢٢] .

وقد واصلت السلطات الاسرائيلية محاولاتها تلك ، اذ «عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي اجتماعاً خاصاً بحث فيه مسألة امتياز الشركة العربية ، وقرر الوزراء تقليص ومصادرة امتياز الشركة العربية ... وتشذيبها لاسباب اقتصادية وتقنيه وسياسية »[٢٣] .

وعلاوة على تصدي عمال وموظفي الشركة العربية لتلك المخططات الاحتلالية ، فقد «اعرب الشارع الفلسطيني بالاجماع عن استنكاره لاجراءات سلطات الاحتلال ، وطالب الحكومات العربية وجامعة الدول العربية مناقشة هذا الاجراء الخطير بروح المسؤولية .. ان الشارع الفلسطيني يرى باستمرارية وجود هذه الشركة احباط لمخططات الطرف الاخر على

اعتبار ان الشركة تمثل همزة الوصل الرابطة بين عروبة القدس وسائر المناطق المحتلة »[٢٤] .

وخلاصة قصة الشركة العربية للكهرباء في القدس ، ان عيون سلطات الاحتلال واصلت التركيز على امتياز الشركة والسيادة عليها ، في حين واصل موظفو وعمال الشركة ومن ورائهم المؤسسات الوطنية ، والشارع الفلسطيني التصدي العنيد لذلك الهدف الاسرائيلي . فالمعركة معركة الامتياز والسيادة والهوية ، وهي ما تزال قائمة محتدمة مستمره ، رغم القرار الحكومي الاسرائيلي المذكور بتقليص ومصادرة جزء من امتياز الشركة العربية ، كما انه ليس من شك بان معركة الشركة العربية للكهرباء هي جزء من الحرب الشاملة المحتدمة بين مشاريع ، مخططات التفريغ والتهويد الاسرائيلية ، وبين التصدي الفلسطيني .

ثانيا : مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني في القدس في ظل الانتفاضة :

شكلت كل الجذور والمعطيات الوقائعية السابقة ، قاعدة وخلفية لانفجار انتفاضة التاسع من كانون اول ديسمبر ١٩٨٧ ، واهمها تلك التي تقع تحت عنوان سياسة القمع الشامل ضد الفلسطينيين في الاراضي المحتله ، وتحت عنوان الانتماء الوطني ، ومن هنا يمكن القول ان الانتفاضة الفلسطينية الراهنة المتوهجة تشكل تواصلاً وامتداداً حتمياً / موضوعياً / عضوياً لمسيرة النضال والتصدي الوطني لمشروع الاحتلال واهدافه في الوطن المحتل .

غير ان هذه الانتفاضة المجيدة ، جاءت بماليس فيه ادنى شك . كما برهنت عليه طوال اعوامها الماضية ، تتويجاً لهذا التصاعد الوطني ضد الاحتلال ، ولتسجل تحولاً جديداً ونقلة نوعية ، وانتقالاً تاريخياً في مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني . نحو هذا الشكل الذي تبلورت عليه الانتفاضة عبر مسيرتها الطويلة الماضية ، بصفتها انتفاضة شعبية شاملة تتميز بعمق التلاحم والتماسك وصلابة الموقف والتصميم وشمولية المشاركة الجماهيرية في العملية النضالية سكانياً وجغرافياً ، الامر الذي منح هذه الانتفاضة كما نلمس يومياً ، الكثير من الصحة والمناعة والشجاعة ، والقدرة على التكيف والتأقلم مع شتى الظروف والتقلبات والضغوط ، وامام اعتى واشرس اساليب القمع والخنق و التنكيل التي تمارسها سلطات الاحتلال

الاسرائيلي . مما صقل بالتالي جماهير الانتفاضة الفلسطينية ، وعمق لديها الحوافز المعنوية والقدرات العملية على مواصلة الانتفاضة والتصدي والتصعيد في الوقت ذاته .

لقد جاءت انتفاضة التاسع من كانون اول ١٩٨٧ ، نتيجة لتجمع واجتماع وترابط مجموعة من الوقائع والاحداث المباشرة واهمها[٢٥] :

١ - التحول النوعي في تراكمات الغضب الكامن في سنوات الاحتلال التي سبقت اندلاع الانتفاضة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، نتيجة التنكيل المتواصل والظلم والقمع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي لحق بالشعب الفلسطيني ، وقد اسفرت هذه جميعا عن تأجيج مختلف انواع التناقضات القومية والدينية والديموغرافية.

٢ - حالة الغليان المستمرة في نفوس المواطنين الفلسطينيين ازاء تواصل حملات الارهاب الاحتلالية التي اشتدت وتيرتها قبل اندلاع الانتفاضة ، استمرت في ظل الانتفاضة ، ولكن على نحو اوسع واشمل واشد بطشاً وارهاباً دموياً ، مما ادى الى انفجارات وانتفاضات صغيرة في اطار هذه الانتفاضة الكبيرة .

٣ - اضافة الى جملة احداث ومسببات ظرفية توافرت الى جانب جذور الغضب لتشكل تراكماً متحركاً اضافياً كان لا بد من ان يجد له تعبيراً نضالياً مناسباً .

وكما هو واقع الظروف والمسيرة النضالية الفلسطينية في الاراضي المحتلة ، كذلك هو في المدينة المقدسة ، وما شهدته الاراضي المحتلة من نقلة نوعية في النضال والتصدي الفلسطيني ، كذلك شهدته القدس العربية ، التي ابى اهلها ، رغم شدة الحصار والقمع والضم الرسمي الاسرائيلي ، الا ان يكونوا ليس جزءاً عضوياً من الانتفاضة والمسيرة النضالية لا ينفصم عنها قطعاً فحسب ، وانما القلب النابض للانتفاضة ، والمتحدث باسمها في احيان وحالات كثيرة ، ولعل اوضح وانصع شاهد على ذلك هو ما حدث في الحرم القدسي الشريف ، وما اعقبه من تصعيد واسع لفعاليات الانتفاضة في القدس والاراضي المحتلة .

على عكس ما شهدته المدينة المقدسة من مد جزر وصعود وهبوط في مظاهر النضال والتصدّي الوطني عبر مراحل ما قبل الانتفاضة ، فقد شهدت ، المدينة تصعيداً مستمراً ومتزايداً في نشاطات وفعاليات الانتفاضة الفلسطينية على مدى سنوات الانتفاضة الماضية ، وقد غدت هذه الحقيقة قائمة ملموسة تقض مضاجع قادة بني صهيون ، وشواهد ومظاهر

وانعكاسات هذا التصعيد النضالي الانتفاضي واسعة كثيرة متزايدة . نستعرضها ملخصة بالعناوين التالية :

أ - المظاهرات الجماهيرية والمجابهات العنيفة :

كما حدث في الاراضي العربية المحتلة ، فقد خلعت الانتفاضة في منطقة القدس شكلاً وارتدت شكلاً آخر ، وفق مقتضيات الظرف وميزان القوة ، وشراسة هجمة القمع الاحتلالية وغير ذلك .

ففي المراحل الاولى للانتفاضة شهدت المدينة المقدسة المظاهرات والمسيرات الحاشدة بمشاركة الاف بل حتى عشرات الالاف من المواطنين الفلسطينيين في حالات معينة ، وتخلل هذه المظاهرات والمسيرات الصدامات والمجابهات العنيفة وجهاً لوجه مع قوات الاحتلال ، وتخللها كذلك هجمات رجم الحجارة واشعال الاطارات والحواجز الحجرية .. لقد تحولت الشوارع والميادين في تلك المراحل الى ساحة مجابهة وحرب حقيقية بين الجانبين رغم الفرق الهائل والاختلال الكبير في مسألة وسائل وادوات هذه الحرب ، لقد تحولت هجمات الحجارة والاطارات المشتعلة والحواجز الحجرية خلال السنة الاولى للانتفاضة . الى ظاهرة قوية منتشرة في كل شارع وحي في المدينة المقدسة .

لكن مع دخول الانتفاضة سنتها الثانية ، خفت وتراجعت المظاهرات والمسيرات الجماهيرية الحاشدة ، ليحل محلها تدريجياً الهجمات والعمليات النوعية ، مثل القاء الزجاجات الحارقة ، واضرام النار في السيارات الاسرائيلية .

غير ان تلك المظاهرات الجماهيرية سرعان ماعادت لتسيطر على مناطق عديدة في القدس . خلال السنة الثالثة للانتفاضة ، وقد جرت العديد مثل هذه المظاهرات . بمشاركة مئات الملثمين دفعة واحدة ، الذين كانوا يواجهون قوات الاحتلال في معارك عنيفة ، مثل تلك «المظاهرات المتلاحقة التي وقعت في سلوان في منتصف حزيران ١٩٩٠ ، والتي قام خلالها حوالي ٢٠٠ ملثم يحملون البلطات وقضبان الحديد والزجاجات الحارقة والحجارة الكبيرة بمهاجمة دوريات حرس الحدود في المنطقة ، وقد تطورت هذه الهجمة الى مجابهة

واسعة بين جماهير الانتفاضة وتعزيزات القوات الاسرائيلية . مما اسفر عن استشهاد الشاب ابراهيم زهير الشويكي - ١٧ سنة - واصابة عدد آخر من الشبان بجروح »[٢٦] .

كما شهد مخيم شعفاط الواقع شمالي القدس سلسلة مظاهرات جماهيرية حاشدة ، شارك فيها معظم اهالي المخيم ، تخللها المجابهات العنيفة والجريئة مع قوات الاحتلال ، وكانت تلك المجابهات من الشمولية والشدة لدرجة ان قادة تلك القوات وصفوها مراراً بانها اخطر مجابهات تقع منذ بداية الانتفاضة في القدس .

ففي العاشر من تموز ١٩٩٠ على سبيل المثال «قام مئات الشبان الملثمين بمهاجمة نقطة المراقبة التابعة لقوات الشرطة في المخيم بالحجارة ، وجرت مجابهة شديد اسفرت عن استشهاد - الشاب منذر موسى - ١٩ سنة - ، وخلال تشييع جثمانه ، انفجر الموقف مجدداً ، وقام الملثمون باقامة الحواجز الحجرية واشعال الاطارات .. »[٢٧] .

ب - الاضرابات :

تحولت ، الاضرابات التجارية الشاملة في الاراضي المحتلة ، خلال مراحل الانتفاضة المختلفة الى مظهر يومي ونمط حياة يومي ملموس وفعال في حياة الشعب الفلسطيني ، غير ان هذا المظهر النضالي كان ابرز واكثر وضوحاً وابعد تأثيراً في المدينة المقدسة ، حيث سجلت الانتفاضة الفلسطينية في شارع صلاح الدين الواقع في القدس ، والذي يعتبر اكبر مركز للنشاطات التجارية لفلسطيني الضفة الغربية . احد اهم انجازاتها على هذا الصعيد .

لقد عكست الاضرابات التجارية عمق تضامن التجار الفلسطينيين مع الانتفاضة في مسيرتها واهدافها ، وتحولهم الى عنصر فاعل في انجازاتها ، والى جزء لا ينفصل عنها ، وحول مغزى الاضرابات قال احد التجار الفلسطينيين في القدس : «ان الرسالة التي نستشفها من الاضراب التجاري هي التعود على النمط غير العادي من الحياة .. لقد بدأت الاضرابات بصورة عادية وعفوية تماماً ، وكالعادة كان الاعتقاد بانها ستدوم يومين او ثلاثة ايام ، وانها اضرابات احتجاجية تضامنية . غير انها استمرت شهراً .. واستمرت .. واستمرت ... وادركنا بعد ذلك ان هناك شيئاً جديداً يختلف تماماً عن السابق وحينها تبلورت الانماط

ونظمت بصورة دقيقة نفسياً ومادياً معاً ، واصبح الامر الان عاديا وطريق حياة ، بالضبط كما اصبحت الانتفاضة طريق ونمط حياة(٢٨) .

واكد المواطن المقدسي نفسه وهو تاجر بارز :

« هناك رسالة واضحة من وراء كل هذه الامور نتضامن معها انا وكافة التجار بكل طاقتنا ، وليس صحيحاً الادعاء القائل باننا نضرب تحت ضغط التهديدات والارهاب ، بل اننا جندنا انفسنا للانتفاضة بوعي ، فالرسالة اذن هنا مزدوجة وحتى انها مثلثة : أولاً : اننا نريد التضامن مع ابناء شعبنا وهذا واضح ، فنحن فلسطينيون بالضبط كبقية سكان الضفة والقطاع ، ثانيا : اننا نريد ان نحطم مرة واحدة والى الابد المزاعم والاكاذيب الاسرائيلية حول وحدة القدس ، اذ ليس هناك امر كهذا ولن يكون ابداً ، ثالثا : يجب عليكم – وهو يخاطب هنا مراسل صحيفة هآرتس – ان تفهموا قوة انضباطنا والتزامنا بالانتفاضة »(٢٩) .

كانت الاضرابات اذن ، كما قال التاجر المقدسي اضرابات عفوية احتجاجية في الايام الاولى للانتفاضة ، غير انها تحولت مع تصاعد وديمومة الانتفاضة ، الى ممارسة شبة يومية دائمة متواصلة ، وغدت نمط حياة يومي بكل معنى الكلمة ، وجزءاً لا يتجزأ من فعاليات الانتفاضة في القدس المحتلة ، يلتزم بها كل التجار وكل المواطنين ، التزاماً واعياً نضالياً عميقاً ...

وقد فشلت السلطات الاسرائيلية تماماً في تحطيم نمط الاضرابات عن طريق القوة وكسر اقفال المحال التجارية او تشميعها او مصادرة محتوياتها او اعتقال اصحابها ، وفشلت كل الاوامر العسكرية الصادرة بهذا الخصوص ، وبرهن الشارع المقدسي وبرهنت قيادة الانتفاضة في هذا المجال ، على انها هي المسيطرة الحقيقة التي تملي اوامرها وتدير الصراع في هذه الجبهة .

جـ – احراق السيارات والبيوت الاسرائيلية

تشير شواهد ومعطيات الانتفاضة ، الى ان عمليات احراق السيارات والبيوت الاسرائيلية ، تحولت الى السلاح الاساسي للمواطنين الفلسطينيين في منطقة القدس ، وغدت هذه العمليات

شبه ممارسة يومية ، اذ يقوم الشبان باحراق سيارة او اكثر كل يوم في المنطقة ، واستمرت هذه العمليات بلا انقطاع ، رغم الاجراءات الامنية الاسرائيلية المشددة ، ورغم الاعتقالات الجماعية «الاحتياطية» بين آونة واخرى ، وقد اعربت قيادات اجهزة الامن الاسرائيلية عن قلقها اكثر من مرة ازاء تصاعد هذا النشاط الانتفاضي ، الذي يلحق اولاً اضراراً مادية ومعنوية بالاسرائيليين ، ويشحن معنويات الفلسطينيين ، ويدحض المزاعم الاسرائيلية حول حالة الهدوء في القدس ثانياً .

اما ارقام ومعطيات هذا النشاط الانتفاضي فهي كثيرة واحياناً متفاوتة ، تبعاً لاختلاف المصادر ، فقد اوردت صحيفة هآرتس على سبيل المثال معطيات حول هذا النشاط خلال عامي ١٩٨٨ و ١٩٨٩ جاء فيها : «شهد عام ١٩٨٨ ٩٢ عملية احراق للسيارات ، والبيوت الاسرائيلية ، اي بمعدل ٧ – ٨ حوادث شهرياً ، اما في الاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩٨٩ فقد سجلت في القدس ١٢٨ عملية احراق للسيارات ، اي بمعدل ١٦ عملية شهرياً .. لقد تم احراق حوالي ١٤٠ سيارة اسرائيلية في منطقة القدس منذ بداية الانتفاضة وحتى مطلع تشرين الاول ١٩٨٩ ، كذلك طرأ ارتفاع على عدد عمليات اضرام النار في البيوت الاسرائيلية ، اذ اضرمت النار في الاشهر الستة الاولى لعام ١٩٨٩ في ٢٢ بيتاً . مقابل تسعة بيوت خلال عام ١٩٨٨ ، و ١٦ عملية خلال عام ١٩٨٧ كله ، كما طرأت زيادة على عمليات احراق المصانع والورش ، اذ تم في شهر كانون ثاني ١٩٨٨ مثلا احراق شاحنتين ومصنعين ، في شباط ٨٩ تم احراق ثلاث شاحنات ، وفي نيسان ٨٩ تم احراق مصنع الاخشاب كوفمان ، وفي حزيران اضرمت النار في مصنع الفا للباطون .. اما في مجال اضرام النار في الغابات فقد تم تنفيذ ٢٣ عملية كهذه فقط في منطقة القدس ، خلال الفترة ذاتها »[٣٠] .

واشارت صحيفة يديعوت احرونوت الى «انه تم تنفيذ ٢٦٨ عملية اضرام نار في القدس خلال عام ١٩٨٨ ، مقابل ١٢٩ خلال عام ١٩٨٧ »[٣١] ، وقالت صحيفة هآرتس « ان ١٢٨ عملية اضرام وقعت خلال عام ١٩٨٩ »[٣٢] ، في حين قال راديو اسرائيل ان ١٥٠ سيارة اسرائيلية اضرمت فيها النار واحرقت في القدس منذ مطلع عام ٨٩ وحتى منتصف تشرين اول منه »[٣٣] ، ومقابل هذه الارقام قالت صحيفة معاريف ان ٢٥٤ سيارة اسرائيلية

احرقت في منطقة القدس منذ بداية عام ١٩٩٠ وحتى نهاية تموز ١٩٩٠ ، مقابل ٢٣٧ سيارة احرقت طوال عام ١٩٨٩ »[٣٤] ، وذكرت صحيفة هآرتس في مطلع ايلول ١٩٩٠ ان عدد السيارات الاسرائيلية التي احرقت في مدينة القدس منذ بداية العام بلغ ٣٠٠ سيارة ، مقابل ٢٥٠ سيارة احرقت طوال عام ١٩٨٩ »[٣٥] .

غير ان راديو اسرائيل اعترف في نهاية ايلول : « ان النار اضرمت بـ ٣٢٤ سيارة اسرائيلية في القدس ، منذ بداية العام وحتى صباح ٩٠/٩/٣٠ »[٣٦] .

اما « الرقم الاجمالي للسيارات الاسرائيلية التي احرقت منذ بداية الانتفاضة وحتى ١٩٩٠/٩/٢٧ ، فقد بلغ اكثر من ٦٠٠ سيارة »[٣٧] .

د - عمليات ضد حافلات الركاب :

اما حافلات الركاب التابعة لشركة نقليات « ايغد » الاسرائيلية فتحتل المرتبة الثانية من حيث التعرض لهجمات نشطاء الانتفاضة في منطقة القدس ، فقد اشارت صحيفة هآرتس الى « ان حوالي ١١٠ عمليات تقريباً نفذت شهرياً ضد حافلات ركاب ايغد ، وان ٣٦٠٠ عملية تقريباً سجلت ضد هذه الحافلات في منطقة القدس منذ بداية الانتفاضة وحتى نهاية ايلول ١٩٩٠ (اي حوالي ثلث مجموع العمليات التي نفذت ضد الحافلات الاسرائيلية في كافة المناطق - ١١,٠٠٠ عملية) »[٣٨] .

واضافت هآرتس : « لقد تم احراق ٨٠ حافلة ركاب في القدس حرقاً تاماً ، مما اسفر عن اصابة ٤٩٠ اسرائيلياً ، قتل منهم ٢٢ شخصا » [٣٩].

هـ - العمليات المسلحة والزجاجات الحارقة والخناجر :

لم تورد المصادر الاسرائيلية ارقاماً ومعطيات تفصيلية (حتى تاريخ كتابة هذه السطور) حول هذه النشاطات ، على مدى سنوات الانتفاضة الماضية ، في حين انها اوردت ارقاماً اجمالية حولها .

في هذا السياق اشارت صحيفة هآرتس الاسرائيلية الى : «ان ٢٦٢ عملية مسلحة وعنيفة سجلت في منطقة القدس ، طوال الاشهر الثمانية الاولى من عام ١٩٨٩ ، مقابل ٢١٨ عملية مشابهة طوال عام ١٩٨٨ ، في حين سجل في كل المنطقة الواقعة داخل الخط الاخضر ٢٣٥ عملية فقط »[٤٠] .

وقالت الصحيفة ذاتها : «ان اكثر من ١٠٠ زجاجة حارقة القيت باتجاه السيارات الاسرائيلية خلال الشهور التسعة الاولى من عام ١٩٨٩ »[٤١] . كما اشارت صحيفة هآرتس بعد حوالي سنة من ذلك التقرير الى : «ان ٢١٩ عملية عنيفة (عبوات ناسفة وزجاجات حارقة وطعن بالخناجر) نفذت في منطقة القدس خلال السنة الاولى للانتفاضة . وقد حافظت منطقة القدس على معدل فعالياتها في هذه المجالات كذلك خلال عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠ »[٤٢] .

الحقيقة ان هذه الارقام والمعطيات الاسرائيلية قد تشكل الحد الادنى فقط . اذا لم يكن اقل من ذلك ، بالنسبة لفعاليات الانتفاضة في منطقة القدس ، غير انها (اي نشاطات العمليات المسلحة والقاء الزجاجات الحارقة وعمليات الطعن بالخناجر) متصاعدة متزايدة فعالة باستمرار في هذه المنطقة ، اكثر من غيرها من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة ، الامر الذي يحدث ارباكاً مستمراً لقيادات اجهزة الامن الاسرائيلية .

لابد من اشارة خاصة في هذا السياق الى تصاعد هجمات الخناجر الفلسطينية في منطقة القدس ، ضد جنود ومستوطني الاحتلال ، فقد اوردت مجلة بماحنيه العسكريه في عددها الصادر يوم ٢٧/٣/١٩٩١ جاء فيها : «ان ١٧ اسرائيلياً قتلوا و٣٥١ اخر جرحوا جراء تنفيذ ٤٣ عملية طعن بالخناجر خلال سنة واحدة » من نيسان / ١٩٩٠ - اذار / ١٩٩١ .

و - الفعاليات الأخرى :

علاوة على كل تلك الفعاليات الرئيسية الهامة والاساسية والمتواصلة والمؤثرة ، والمتصاعدة على مدى سنوات الانتفاضة الماضية ، فقد شهدت ساحة المدينة المقدسة كثافة في الفعاليات للانتفاضة الاخرى مثل عمليات رجم الحجارة ، ورفع الاعلام الفلسطينية ، واغلاق الطرق بالحواجز الحجرية والاطارات المشتعلة . ونشاطات اخرى .

فقد اوردت صحيفة هآرتس تقريراً حول هذه الفعاليات جاء فيه :

«لقد وقع خلال عام ١٩٨٨ ما مجموعه ١,٧٦٦ حادث القاء حجارة في منطقة القدس ، اضافة الى ١٢٢٩ عملية رفع للاعلام الفلسطينية ، ٧٠٨ عملية اغلاق طرق ، و٢٨٣ عملية اشعال اطارات »(٤٣) . واشارت الصحيفة الى ان السلطات الاسرائيلية لم تعلن عن معطيات حول هذه العفاليات خلال عام ١٩٨٩ ، كذلك لم ينشر عنها خلال عام ١٩٩٠ .

وقالت صحيفة دافار ٢١/٥/١٩٩١ ان قوات حرس الحدود عالجت في منطقة القدس خلال عام ١٩٩٠ حوالي ٣٥٠٦ حوادث تتعلق بالنظام والامن ، واعتقلت ٥٩٠٨ متظاهر فلسطيني ، ٣٢٠٢ متهم بالقيام باعمال مناهضة لاسرائيل .

ز - مظاهر اخرى وانجازات :

اضافة الى كل هذه المظاهر والنشاطات الانتفاضية المستمرة ضد قوات واهداف الاحتلال ، فقد شهدت منطقة القدس كغيرها من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة ، حملات تنكيل وقمع ومحاصرة متواصلة على ايدي سلطات الاحتلال ، فتعرض اهل القدس الى حظر التجول والمداهمات العسكرية والضريبية للمنازل في احياء وقرى المدينة ، وتعرضت المؤسسات التعليمية الى حملات الاغلاق المستمر ، واستخدمت قوات الشرطة وحرس الحدود مختلف انواع الرصاص ضد المواطنين الفلسطينيين ، كما تعرض المقدسيون الى حملات الاعتقالات الجماعية والمحاكمات بالجملة ، وسقط منهم عشرات الشهداء ، اضافة الى مئات الجرحى ، هذا ناهيك عن الحصار الاقتصادي التجويعي المستمر ، الذي يسبب معاناة كبيرة للمواطنين الفلسطينيين في المدينة .

وعلى هذا الصعيد اشار تقرير لدائرة شؤون الوطن المحتل التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية في عمان ، الى استشهاد ٦٩ مواطناً في منطقة القدس ، منذ بداية الانتفاضة وحتى تشرين اول / ١٩٩٠ .

لقد تكبد الفلسطينيون في القدس خسائر كبيرة ، في مختلف المجالات المشار اليها ، نتيجة مشاركتهم الفعالة في فعاليات الانتفاضة ، غير انهم في الوقت ذاته الحقوا خسائر فادحة

مادية ومعنوية بالسلطات الاسرائيلية الاحتلالية وقواتها ومستوطنيها ، وحققوا انجازات راسخة متزايدة على صعيد المجتمع الفلسطيني .

فقد تمكن الفلسطينيون المنتفضون في القدس ، من اصابة مئات الاسرائيلين ، منهم ٢٢ قتيلاً واشارت صحيفة داڤار ٢١/٥/٩١ الى ان ٨١٠ من افراد حرس الحدود اصيبوا جراء فعاليات الانتفاضة في منطقة القدس خلال عام ١٩٩٠ فقط ، فضلاً عن «ان الجمهور الاسرائيلي يدفع الثمن في كافة المجالات»[٤٤] ، كما ان الخسائر الاقتصادية والمعنوية التي لحقت وتلحق بالمجتمع الاسرائيلي مؤثرة ، وخاصة ما يتعلق بقطاع السياحة في القدس ، الذي تلقى ضربة شديدة في ظل الانتفاضة .

حـ - حالة الفزع والغضب والتصعيد :

على خلفية تصعيد فعاليات الانتفاضة المذكورة ، فقد تحدثت مصادر اسرائيلية عديدة عن حالة من الفزع والغضب والتصعيد المتبادل بين الجانبين الاسرائيلي والفلسطيني في القدس .

فعلى مستوى تعزيزات قوات الشرطة وحرس الحدود والحرس المدني الاسرائيلي ، اشارت الصحف الاسرائيلية مراراً الى مثل هذه التعزيزات التي لم تتمكن من مجابهة واحباط التصعيد الانتفاضي المستمر الاتي اساساً وقبل كل شيء ، نتيجة تصعيد مخططات واجراءات التنكيل الشامل والتفريغ والتهويد الاحتلاليه .

فقد اشارت صحيفة عل همشمار الى «ان قيادة الشرطة الاسرائيلية اتخذت قراراً في حينه باقامة وحدات خاصة لمجابهة الانتفاضة في القدس »[٤٥] ، وتحدثت صحيفة معاريف عن «تعزيز وجود ونشاطات الحرس المدني اليهودي ، واقامة قواعد رئيسية تعمل لمدة ٢٤ ساعة في اليوم ، وخاصة في مناطق التماس بين الاحياء الاستيطانية اليهودية ، والاحياء العربية في القدس »[٤٦] .

واكدت صحيفة داڤار حالة الفزع والتصعيد تلك قائلة : «ان الهدف الاهم الذي نجحت الانتفاضة في تحقيقه في منطقة القدس ، هو ضعضعة امن المستوطنين اليهود فيها ، فوتيرة النشاطات العنيفة المتسارعة تزرع الخوف في نفوس اليهود ، كما ان حالة العصبية في الشارع

تزداد ، وكل شيء اصبح يبدو مشبوهاً ، وخبراء الشرطة مشغولون في فحص عشرات الاجسام المشبوهة يومياً ، وعندما يقع حادث يؤدي الى اصابات على الرغم من كل الدوريات المعززة للشرطة ، فان الاحساس بانعدام الامن والثقة يزداد في صفوف المستوطنين اليهود .. اخذت جماعات المستوطنين تداهم وتقتحم القرى العربيه لتعيث فساداً في البيوت والممتلكات العربيه .. »[٤٧] .

وتحدثت صحيفة هآرتس حول هذا الواقع في مقالة نشرتها بعنوان « وجهان للتصعيد » قالت فيها :

« .. الاحداث تتلاحق تباعاً ، ففي منطقة الثوري يتم اغلاق الطرق والممرات واحدة تلو الاخرى لعرقلة حركة السير ، وفي حي النبي يعقوب يسود التوتر امام ضاحية البريد ، وفي تلبيوت يحث السكان الشرطة على اقامة جدار شائك على امتداد حدود الحي مع قرية العبيدية العربية المجاورة .. وشيئاً فشيئاً يقتنع المتفائلون بان مدينة القدس فعلاً منقسمة الى شرقية وغربية .. ان التصعيد الذي تشهده المدينة يحمل عدة وجوه فالنشاطات المختلفة للانتفاضة (احراق سيارات ، رشق حجارة ، زجاجات حارقة ، عبوات ناسفة .. الخ) لم تتقلص ، وانما اضيف اليها ارتفاع في العمليات المسلحة »[٤٨] .

واضافت الصحيفة الاسرائيلية مؤكدة : «لقد خاب ظن من توقع انخفاض مستوى الانتفاضة في القدس ، وليس ذلك فحسب ، بل ان احداث الانتفاضة – كما تسمى – ارتفعت درجات اخرى في سلم الجرأة ، فالملثمون الذين كانوا يظهرون في الاحياء العربية فقط . بدأوا يظهرون في الاحياء – الاستيطانية – اليهودية ، بل وفي قلبها ، هكذا يحدث في ارمون هنتسيف ، وفي النبي يعقوب .. لقد ازدادت جرأة الملثمين ، فالزجاجات الحارقة التي القيت حتى الان باتجاه السيارات في الطرق ، اخذت تلقى باتجاه البيوت اليهودية .. ان التصعيد العنيف من الجانب العربي ، ادى الى تصعيد العنف في الجانب اليهودي .. »[٤٩] .

لقد خلقت الانتفاضة المتواصلة المتصاعدة ، ضد حكم القمع والبطش الاحتلالي ، حالة من الجاهزية العملية لا حدود لها في نفوس الفلسطينيين ، وخلقت في الوقت ذاته حالة من الفزع في نفوس المستوطنين اليهود في القدس ، وقد عززت صحيفة هآرتس هذه المسألة باعترافها قائلة : «ان الخوف يسيطر اليوم على العلاقات بين اليهود والعرب ،.. لقد استنفذ

الجانب العربي خطوات الانفصال التي قررتها قيادة الانتفاضة ، والجانب اليهودي فرضت عليه عملية الفصل ، فتم استبدال العمال العرب في محلات البقالة ، والمطاعم ، والمقاهي في القدس، باخرين يهود .. وفي الوقت نفسه تقلص عدد اليهود الذين تطأ اقدامهم ارض القدس الشرقية .. »[٥٠] .

ط - الحرب الديموغرافية :

لم تقتصر الحرب المحتدمة بين الفلسطينيين وسلطات الاحتلال في منطقة القدس ، على جبهات الصدامات والمجابهات الميدانية العسكرية ، والاقتصادية والمعنوية ، والاعلامية ، وانما امتدت واتسعت لتؤثر على الواقع الديموغرافي السكاني كذلك ، وتجاوزت تاثيرات الانتفاضة ومضاعفاتها في القدس ، الواقع المرئي المعروف والملموس ميدانياً بصورة يومية ، (وهناك العديد من الظواهر التي تشير الى هذه الحقيقة) ، لتطال ميادين اخرى تتعلق بالسياسة والقراراتالاسرائيلية .

فعلى عكس ما هو شائع ، من ان الانتفاضة احدثت تغييراً ايجابياً جزئياً في الفكر السياسي الاسرائيلي في ظل الانتفاضة ، فقد اظهر القادة والمسؤولون الاسرائيليون في ظل الانتفاضة وفي منطقة القدس على وجه الخصوص ، اصراراً وعناداً كبيرين على المضي في سياسة الارهاب والتنكيل ضد الفلسطينيين ، ومحاولة تصفية الانتفاضة عن طريق القوة وسفك الدماء ، اضافة الى اصرارهم على المضي في تنفيذ مخططات التفريغ والتهويد ضد المدينة المقدسه .

وفي هذه المسألة الاخيرة تحديداً ، تحدثت صحيفة هآرتس في تقرير واسع اوردته بمناسبة مرور الف يوم على الانتفاضة قائلة :

« .. ادى الضغط العربي العنيف وخاصة في المناطق الفاصلة بين الاحياء العربية واليهودية في القدس ، الى ان تقرر وتخطط بلدية القدس ووزارة الاسكان ، بضرورة توطين هذه المناطق باكبر عدد من اليهود .. وقد اتخذت عدة قرارات تهدف الى ايجاد جواب لما تعتبره المؤسسة الاسرائيلية سيطرة عربية على مناطق معينة ، ان تنفيذ هذه القرارات سيضع

القدس على ابواب واقع جديد ، يتمثل في ان المواطنين العرب في القدس سيتحولون بعد ثلاث سنوات الى اقلية »[٥١] .

ولابد من الاشارة في هذا السياق الى جملة المخططات التهويدية لمدينة القدس التي اعلن عنها في النصف الاول من عام ١٩٩١ ، اي ابان ذروة الجولات المكوكية البيكرية الخاصة بالتسوية السياسية ، حيث بدا واضحاً تمام الوضوح ان السلطات الاسرائيلية تتحدى قرارات الشرعية الدولية وتتسابق مع الزمن ، في تنفيذ مخططات التفريغ والتهويد في القدس .

هكذا ، يتضح جلياً من مجمل المعطيات والتفاصيل سالفة الذكر ، ان هذا الصراع الشامل القائم والمحتدم والمستمر بين مشاريع ومخططات واجراءات ونوايا التفريغ والتهويد والترحيل وسفك الدماء التي تعمل السلطات الاسرائيلية على تنفيذها بوتيرة تبلغ احيانا درجة الهستيرية ، وبين الانتفاضة الفلسطينية المتوهجة المتصاعدة بدورها بصور واشكال متعددة متغيرة ، متكيفة مع كل عناصر وتقلبات وتداخلات موازين الصراع .

في سياق هذا التصعيد ، وعلى وجه الخصوص ، التصعيد القمعي والتهويدي الاحتلالي ، اقترفت السلطات الاسرائيلية الرسمية باجهزتها وجيشها وشرطتها ومخابراتها ومستوطنيها مذبحة الاثنين في باحة الاقصى المبارك في الثامن من تشرين اول / اكتوبر ١٩٩٠ ،،

هذه المذبحة التي اعتبرها العديد من الاستراتيجيين والمتابعين انها تشكل نقلة او انعطافة هامة في مسيرة الصراع الدائر في الارض المحتلة ، الامر الذي يحتاج الى معالجة شاملة كاملة ، ارتأينا ان نفرد لها الفصل التالي .

هوامش الفصل الرابع

١ – انظر بهذا الخصوص البيانات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الفلسطينية .

٢ – للاستزادة انظر د . اسعد عبد الرحمن ونواف الزرو في كتاب : «الانتفاضة مقدمات .. وقائع .. تفاعلات .. افاق» . مؤسسة الابحاث العربية بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ص ٣٠-٣١ .

٣ – روحي الخطيب – امين القدس – ، «المؤامرات الاسرائيلية على القدس مابين ١٩٦٥-١٩٧٥» ص١٥

٤ – المصدر السابق نفسه .

٥ – المصدر السابق نفسه .

٦ – صحيفة الدستور الاردنية ، عدد ١٩٦٨/١/٢٤ .

٧ – الدستور ، عدد ١٩٦٨/٢/١٣ .

٨ – صحيفة القدس المقدسية ، عدد ١٩٦٨/٣/٤ .

٩ – القدس ، عدد ١٩٦٨/٣/٨ .

١٠ – القدس ، عدد ١٩٦٨/٤/١٨ .

١١ – الدستور الاردنية ، عدد ١٩٦٨/٤/٢٧ .

١٢ – القدس المقدسيه ، عدد ١٩٦٨/٥/٢٢ .

١٣ – الدستور الاردنيه ، عدد ١٩٦٨/٦/٢ .

١٤ – الدستور الاردنية ، عدد ١٩٦٨/٧/١٦ .

١٥ – القدس المقدسية ، عدد ١٩٦٨/٨/١٩ .

١٦ – نجيب الاحمد / تهويد القدس ، دائرة الاعلام والتوجيه القومي / منظمة التحرير ص ١٠٧ .

١٧ – المصدر السابق نفسه .

١٨ – لمزيد من التفاصيل ، انظر ، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية على مدى سنوات السبعين والثمانين .

١٩ – المعلومات مستقاة من ذاكرة وملفات الكاتب نفسه ، حيث كان احد افراد شبكة الشبان المقدسيين المذكوره ، وشارك في تلك العمليات .

٢٠ – المصدر السابق نفسه .

٢١ – الشعب المقدسيه ، عدد ١٩٨٧/١٢/١٢ .

٢٢ – جريدة القدس ، المقدسية ، عدد ١٩٨٦/٤/٨ .

٢٣ – صحيفة صوت الشعب الاردنية ، عدد ١٩٨٧/٧/٢٧ .

٢٤ – صحيفة الشعب الاردنية ، عدد ١٩٨٧/٧/٢٣ .

٢٥ – انظر د . اسعد عبد الرحمن ونواف الزرو ، مصدر سبق ذكره .

٢٦ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٦/٢٤ .

٢٧ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٧/١١ .

٢٨ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٨/٥/٢٧ .

٢٩ – المصدر السابق نفسه .

٣٠ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/١٠/٨ .

٣١ – صحيفة يديعوت ، عدد ١٩٨٩/١/١٦ .

٣٢ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/١٠/١٠ .

٣٣ – راديو اسرائيل ، يوم ١٩٨٩/١٠/١٦ .

٣٤ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٧/٢٩ .

٣٥ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٩/١٢ .

٣٦ – راديو اسرائيل ، يوم ١٩٩٠/٩/٣٠ .

٣٧ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٩/٢٨ .

٣٨ – المصدر السابق نفسه .

٣٩ – المصدر السابق نفسه .

٤٠ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/١٠/٨ .

٤١ – المصدر السابق نفسه .

٤٢ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٩/٢٨ .

٤٣ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/١٠/٨ .

٤٤ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٨٩/١١/٢٣ .

٤٥ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/٣/٢٣ .

٤٦ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/٨/١ .

٤٧ – صحيفة داڤار ، عدد ١٩٩٠/٦/٢٩ .

٤٨ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٧/٥ .

٤٩ – المصدر السابق نفسه

٥٠ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/٩/٢٨ .

٥١ – المصدر السابق نفسه .

الفصل الخامس

مذبحة الاثنين في باحة الأقصى المبارك

الفصل الخامس

مذبحة الاثنين في باحة الاقصى المبارك :

تأسيساً على ماتقدم من معطيات وتفاصيل وحقائق واسعة ، تتعلق بمجمل الانتهاكات والاعتداءات الاسرائيلية الرسمية وشبه الرسمية ضد هذه المدينة المقدسة واهلها ، وامتداداً لتلك السياسة الاحتلالية الرامية الى تفريغ المدينة المقدسة من اهلها ، وتهويدها بالكامل ، عبر مختلف الاساليب والوسائل الترغيبية والترهيبية ، وفي مقدمتها طبعاً سياسة الارهاب الدموي وسفك الدماء الفلسطينية ، الامر الذي تنفذه تلك السلطات في احيان كثيرة ، على شكل مذابح جماعية تقترف ضد الفلسطينيين ، امتداداً لتلك السياسة ، اقدمت السلطات الاسرائيلية الرسمية ، باذرعها المتعددة ، في يوم الاثنين الثامن من تشرين اول / اكتوبر ١٩٩٠ ، على اقتراف تلك المذبحة / الجريمة البشعة المذهلة ، ضد رجال ونساء واطفال وشيوخ الفلسطينيين ، في باحة المسجد الاقصى المبارك ، حيث اقتحمت قوات الشرطة وحرس الحدود والمخابرات والمستوطنين اليهود الى جانبهم ، صباح ذلك اليوم ، ساحات الحرم القدسي الشريف من ابوابه المختلفة ، وفاجأت حشود الفلسطينيين هناك ، الذين كانوا قد تجمعوا لاداء الصلاة اولاً ، وللتصدي لمحاولة عصابة «امناء الهيكل» بزعامة «غرشون سلمون» وضع حجر الاساس للهيكل الثالث المزعوم في ساحة الاقصى ثانياً .

لقد ثبت بالشواهد العملية ، والمعطيات الملموسة ، والشهادات الموثوقة ، ان تلك المذبحة كانت مدبرة ومخططة ومبيتة ، اعدت لتنفيذها السلطات الاسرائيلية ، كل العدة والاستعدادات اللازمة ، كما هي عادتها في سلسلة المذابح التي نفذتها ضد الفلسطينيين في مراحل زمنية مختلفة[١] .

ويمكن القول ان الطبيعة الاسرائيلية الارهابية الدموية بلغت ذروة جديدة ، وتجلت من جديد في هذه المذبحة في قلب اقدس المقدسات الاسلامية ، كما تجلت قبل ذلك باسبوعين فقط (لكن بحجم دموية اقل) ، في تلك الحملة التنكيلية / التدميرية / الدموية الشاملة ، التي شنتها ضد مخيم البريج في قطاع غزة ، بحجة قتل الجندي الاسرائيلي الاحتياط ، وكما تجلت في حملة المذابح الجماعية والحملات التنكيلية / التدميرية / الارهابية الواسعة التي

اقترفتها تلك السلطات وقواتها ضد ابناء الشعب العربي الفلسطيني ، سواء في مراحل الانتفاضة المختلفة ، او في مراحل ما قبل اندلاع الانتفاضة .

لقد اقدمت قوات الاحتلال على تنفيذ المذبحة باستخدام كل الاسلحة المتوفرة بحوزتها من قنابل الغازات السامة ، واسلحة اوتوماتيكية ، وطائرات عسكرية مروحيه ، ولجأ الجنود ورجال المخابرات والمستوطنون الى اطلاق الذخيرة الحية القاتلة على شكل صليات رشاشة متواصلة ، اطلقت من كافة الاتجاهات ، وبصورة منسقة مخططة جيداً ، مما ادى الى حشر الاف المصلين الفلسطينيين من مختلف الاجناس والاعمار في مصيدة موت وذبح جماعي كما حدث ، مما اسفر بالتالي عن «سقوط ٢٣ شهيداً فلسطينياً ، واصابة ٨٥٠ أخرين بجروح مختلفة وفقاً للمصادر الفلسطينية المستندة الى احصائيات المستشفيات العربية في القدس المحتلة »[٢] .

ردود الفعل المختلفة على المذبحه :

في اعقاب هذه المذبحة الجماعية في باحة الاقصى المبارك ، اشتعلت الانتفاضة الفلسطينية من جديد وبزخم وحجم اكبر ، شمل كل اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ، وشهدت هذه المناطق المظاهرات الجماهيرية الواسعة والمسيرات والمهرجانات الوطنية ، كما شهدت انحاء فلسطين المحتلة تصعيداً في حرب الخناجر الانتقامية لشهداء المذبحة ، وبالمقابل شددت السلطات الاسرائيلية من اجراءات الاغلاقات العسكرية الواسعة المستمرة ، فاغلقت كامل الضفة والقطاع عسكرياً لعدة ايام ، كما اغلقت الخط الفاصل بين هذه المناطق ، والمناطق المحتلة ١٩٤٨ ، حيث منعت العمال العرب من التوجه الى هناك لمدة اسبوع ، في الوقت الذي واصلت فيه حملات الاعتقالات الجماعية ، والهدم والنسف والتجويع .

اضافة الى هذه الحرب الاحتلالية ضد الفلسطينيين في الارض المحتلة واضافة الى التصعيد المشروع والحتمي لفعاليات الانتفاضة ، فقد امتدت ردود الفعل على المذبحة لتدخل الى اروقة مجلس الامن الدولي وهيئة الامم ، وذلك رغماً عن حلفاء اسرائيل » هناك ، نظراً لعدة اعتبارات واسباب تتعلق بابعاد ازمة الخليج .

ومن اجل مزيد من الدقة والوضوح فاننا نلخص ردود الفعل الرسمية الاسرائيلية والفلسطينية والدولية كما يلي :

اولاً ردود الفعل الاسرائيلية :

علاوة على سلسلة التعليقات وردود الفعل الاسرائيلية المختلفة الصادره عن مختلف المستويات الحكومية والبرلمانية والحزبية والعسكرية والتي اجمعت كلها بشكل عام على «الاعراب عن اسفها لقتل وجرح هذا العدد الكبير من العرب ، وادانة وشجب الاستفزاز العربي والاعتداء الذي قام به المصلون العرب على المصلين اليهود في ساحة حائط المبكى ، مما ادى الى ان تقوم قوات الامن الاسرائيلية بواجبها المتمثل باعادة فرض النظام والهدوء في المنطقة[٣] ، علاوة على ذلك فقد وردت جملة اخرى من التعليقات وردود الفعل والتحليلات التي تعرضت لاسباب المذبحة التي اقترفتها سلطات الاحتلال ضد المواطنين العرب في ساحة الحرم القدسي الشريف ، ونظراً لاهمية هذه التعليقات وردود الفعل وضرورة الاطلاع على حقيقتها فاننا نلخصها بما يلي :

قال مراسل صحيفة عل همشمار الاسرائيلية للشوون العربية بنحاس عنبري : «هناك صلة مباشرة بين الاحداث الدموية التي وقعت في ساحة الاقصى ، وبين ازمة الخليج ، وكلما بكرنا في فهم هذه الحقيقة ، كلما حلنا دون وقوع المزيد من الاضطرابات التي قد تكون اشد من هذه التي وقعت .

ان اليمين المتطرف في اسرائيل يواجه ضائقة ، ومحاولتهم وضع حجر اساس للهيكل الثالث في الحرم تعكس حالة الاحباط لديهم ، اننا لدينا هنا في اسرائيل الحكومة الاكثر يمينية في تاريخ اسرائيل ، وهي تقود الان حملة ارض اسرائيل الكبرى . وسحق الانتفاضة والترحيل واقامة الهيكل الثالث ، غير ان هذه المحاولة هراء وتنطوي على ضرر .

لقد ادت ازمة الكويت ايضاً الى زيادة حدة التوتر في مساجد الحرم ، وبالتالي فان عملية الاستفزاز التي قام بها غرشون سلمون زعيم حركة امناء جبل البيت كانت كافية لاشعال القدس حتى بدون التوتر المتزايد في المساجد »[٤] .

كان اعتراف عنبري هذا من ضمن الاعترافات الاسرائيلية المعدودة التي اشارت الى حقيقة نوايا السلطات الاسرائيلية الرسمية ، ان اهلنا في القدس والمناطق المحتلة يواجهون معاً حكومة اسرائيلية هي الاكثر يمينية .. ويواجهون معاً حملة تحقيق حلم الصهيونية ومشروعها الكبير في « ارض اسرائيل الكبرى » . ويواجهون تلك الحملات المسعورة الدموية الرامية الى سحق الانتفاضة الفلسطينية واقامة الهيكل الثالث .. انها حرب احتلالية شاملة ضد الشعب الفلسطيني وانتفاضته في الاراضي المحتلة .

اما صحيفة معاريف الاسرائيلية فقد عقبت على مذبحة الحرم زاعمة : « كما حدث في حزيران ٦٧ ، فقد كان هناك يوم امس اجماع في الكراهية ، كراهية العرب لليهود[٥] .

وقالت صحيفة هآرتس في تعليقها الرئيسي : « لقد عرفت منطقة القدس حوادث عنيفة ، وسفك دماء طوال الثلاثة والعشرين عاماً الماضيه ، غير اننا لم نر بعد كهذه الحوادث .

لقد جاء الانفجار في ساحة الحرم في ذروة موجة احداث الانتفاضة المتجددة في منطقة القدس ، وهو انما يذكرنا بالايام الاولى للانتفاضة ، فمنذ عدة اسابيع ومنطقة القدس تشهد يومياً حوالي ٤٠ حادثاً ، واصابة اثنين من اسرائيليين ، اضافة الى أحراق سيارتين اسرائيليتين والقاء زجاجة حارقة ، كذلك يشترك في المظاهرات المئات وليس العشرات من المواطنين كما كان الوضع في بداية الانتفاضة »[٦] .

واضافت صحيفة هآرتس متحدثة عن اسباب المذبحة زاعمة : «ان اسباب تصاعد الانتفاضة في القدس ، يمكن ان تلقي الضوء على احداث الامس ، ففي القدس ، كما في الضفة الغربية ، تم التوصل الى اتفاق في الآونة الاخيرة بين منظمة التحرير وحركة حماس ، وعلى هذه الخلفية شهدت الانتفاضة دفعة قوية خلال الشهرين الاخيرين في القدس ، وليس هناك مثل الحرم القدسي يمكن ان يرأب الصدع في العالم العربي ، وليس هناك غيره يستطيع توحيد الصف العربي .. ان الاساس الديني عاد مرة اخرى ليحتل قلب النزاع »[٧] .

ثم قالت صحيفة عل همشمار في مكان اخر معلقة حول نفس العامل الديني ودوره في المذبحة : « لا شك ان العامل الديني النابع من مكان هذا الحادث ، سيذكي الاحداث الخطيرة التي تتوقعها الدوائر الامنية الاسرائيلية خلال الاسابيع القادمة »[٨] .

اضافة الى هذه التعليقات الصحفية ، فقد تراوحت تعليقات معظم المسؤولين الاسرائيليين حول تحميل المواطنين العرب مسؤولية المذبحه ، فقد زعم حاييم هر تسوغ رئيس «دولة اسرائيل» قائلا : «ان هذه الاحداث تبرهن مره اخرى ، على حساسية الوضع في هذا المكان المقدس ، التي نجحت حكومة اسرائيل في تحقيق التوازن المطلوب فيه وحرية العبادة لسنوات طويلة ، وجاءت العملية المخططة على ايدي عناصر اسلامية امس ، لتشويش هذا التوازن ، وكانت محاولة مجرمة للمس بحرية العبادة للجمهور اليهودي ، اننا نأسف لفقدان حياة عدد من الاشخاص نتيجة لهذا التحريض ضد جمهور المصلين اليهود .. »[٩] .

وحمل تيدي كوليك رئيس بلدية القدس مسؤولية المذبحة للمواطنين العرب وشامير على حد سواء قائلا : «اسف للقتلى والجرحى ، هناك ضرورة للحفاظ على ضبط الاعصاب والتوازن في هذه المدينة ، فالاعتداء على مكان مقدس لليهود امر لا يحتمل ، كما هو الاعتداء على الاماكن المقدسة للمسيحيين والمسلمين »[١٠] .

وقد اشار كوليك ايضاً الى «ان اقوال اسحق شامير حول اقامة حي يهودي جديد فوق جبل الزيتون ، اثارت الخوف لدى العرب من الطرد ، وادت الى الاضطرابات »[١١] .

وعلق اسحق بيرتس وزير الاستيعاب وزعيم حزب شاس قائلا : «يجب ان تقوم اسرائيل بابعاد المسؤولين عن الاحداث الخطيرة في ساحة جبل البيت الى الخارج ، كما ان عملية الاعتداء الوحشي على المصلين اليهود في ساحة الكوتل - حائط المبكى - تستوجب من حكومة اسرائيل نقاش وضع الوقف الاسلامي في الحرم من جديد »[١٢] .

وطالب رفائيل ايتان وزير الزراعة وزعيم حركة «تسومت» وصاحب نظرية تشبيه العرب بالصراصير المخدرة . «طالب الحكومة الاسرائيلية بتغيير الترتيبات المعمول بها في الحرم منذ عام ١٩٦٧ ، والتي تشرف عليها الاوقاف الاسلامية »[١٣] .

وصرح ابنير شاكي وزير الاديان الاسرائيلي قائلا : «طلب مني رئيس الوزراء بان اطلب باسمه من شعب اسرائيل ، بان يأتي جماعات جماعات لاداء الصلاة في ساحة الكوتل في البلدة القديمة ، ويجب ان لا نسمح لاي طرف اجنبي بان يشوش علينا بهجتنا ، ويجب ان نجد طريقاً لمنع ظاهرة رشق الحجارة باتجاه المصلين اليهود »[١٤]

وخلاصة معظم المواقف الاسرائيلية الرسمية والبرلمانية والحزبية ، انها تحمل المواطنين الفلسطينيين المصلين في باحة المسجد الاقصى مسؤولية المذبحة ، بحجة انهم «دبروا الاحداث» وقاموا «بالاعتداء» على المصلين اليهود في ساحة «حائط المبكى» ، متجاهلة مسلسل الاستفزازات والاعتداءات المتواصلة التي قام ويقوم بها افراد التنظيمات اليهودية الاستيطانية الارهابية في القدس ، وذلك تحت سمع وبصر وغطاء قوات الشرطة وحرس الحدود .

كما طالبت معظم الاصوات الاسرائيلية الحكومة الاسرائيلية بالاستيلاء على مفاتيح الحرم القدسي الشريف ، وهذا ما حدث في اعقاب المذبحة مباشرة - والعمل على تهويده من خلال اعادة بناء ما يسمى بـ الهيكل الثالث .

كما طالبت تلك الاصوات بترحيل اعداد كبيرة من المواطنين الفلسطينيين تحت ذرائع امنية وغيرها .

هذه هي حقيقة السياسة والمواقف والممارسات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين العزب والاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، وهذا هو واقع الصراع الدائر مع سلطات الاحتلال .

أ - تقرير لجنة زامير :

استكمالاً للسياسة الاسرائيلية الرسمية ازاء المذبحة في الحرم الشريف ، وفي محاولة مسرحية تمثيلية مكشوفة لتبرير تلك السياسة وتوفير الغطاء القانوني لها امام الرأي العام المحلي والعالمي ، سارع اسحق شامير رئيس الوزراء الاسرائيلي في العاشر من تشرين اول / اكتوبر ١٩٩٠ الى تشكيل لجنة لتقصي الحقائق ، اطلق عليها اسم «لجنة زامير» نسبة الى رئيسها تصفي زامير رئيس جهاز الموساد الاسرائيلي سابقاً ، وعضوية وكيلي وزارتي «العدل» والداخلية .

لقد اتقنت «لجنة التحقيق» الاسرائيلية دورها المرسوم الذي انيط بها ، فصاغت الغطاء القانوني المطلوب للموقف الرسمي الاسرائيلي الذي اعلنته مختلف المحافل الاسرائيلية ، والذي ادان كما ذكر سالفاً المصلين العرب في المسجد الاقصى المبارك ، وبرر عملية اطلاق الذخيرة الحية بصورة هستيرية بغية حصد المواطنين العرب وقتلهم بالجملة .

ونحن هنا لانعتزم الوقوف عند مسار وتفاصيل التحقيق المسرحي ونتائجه المنظورة والمتوقعة من قبل ان تخرج بها اللجنة(١٥) ، غير اننا لابد من ان نشير الى النقاط الاساسية التي تضمنها التقرير كما وردت في الصحف الاسرائيلية :

* حددت لجنة زامير في استنتاجاتها ، ان الاف المصلين الفلسطينيين الذين وصلوا الى ساحة الحرم ليس لغرض الصلاة ، شكلوا العامل الاساسي للاحداث الدموية .
* الاستخدام غير المنضبط للذخيرة الحية من قبل قوات الشرطة ، غير ان استخدامها كان مبرراً بصورة كاملة من قبل رجال الشرطة الذين تعرضت حياتهم للخطر .
* الحكومة الاسرائيلية هي المسؤولة عن النظام العام وضمانه في جبل البيت .
* لم يطلب من اللجنة التوصل الى استنتاجات شخصية في مجال المسؤولية المدنية والجنائية الانضباطية ، وليس لديها اي صلاحية لذلك »(١٦) .

تلك كانت ابرز النقاط في تقرير لجنة زامير ، حيث حملت اللجنة مسؤولية المذبحة للمصلين الفلسطينيين الذين لم يفعلوا سوى الدفاع عن انفسهم بواسطة رشق الحجارة ، امام الاعتداء المبيت الذي شنته قوات الاحتلال ضدهم مستخدمة كل انواع الاسلحة والقنابل والطائرات المروحية .. كل تلك القوات .. وكل تلك الاسلحة في مواجهة نساء واطفال وشيوخ ورجال الفلسطينيين العزل من السلاح ، ورغم ذلك جاءت لجنة زامير لتحملهم المسؤولية كما هو متوقع .

كما اوصت اللجنة بان تتسلم الحكومة الاسرائيلية مسؤولية الاشراف على الاماكن المقدسة الاسلامية وادارتها ، بدلاً من الاوقاف الاسلاميه ، وقد اتخذت السلطات الاسرائيلية خطوات بهذا الاتجاه سنأتي على ذكرها في جزء لاحق .

ومن المفيد في تحليل دور « لجنة زامير » واهدافها الاشاره الى جملة الحقائق التالية :

* ان هذه اللجنة ، هي لجنة اسرائيلية صرفة ، وقف على رأسها تصفي زامير رئيس الموساد الاسرائيلي سابقاً ، وهو جهاز عريق موغل في الارهاب الدموي ضد الفلسطينيين والعرب.
* لقد شكلت اللجنة اساساً وبصورة عاجلة لتكون غطاءاً تمويهياً قانونياً لتلك المذبحة ، تبرر عملية استخدام الذخيرة الحية ضد جموع الفلسطينيين العزل ، وهذا ما حدث فعلاً ، اي انها لجنة مثلت دور « الخصم والحكم » في الوقت ذاته ، وبالتالي كانت لجنة احادية

الرؤية ، وغير موضوعية ، ولم يكن متوقعاً ان تكون كذلك .

* ان طريقة تشكيل اللجنة معروفة مجربة ، فقد اعتادت السلطات الاسرائيلية على تشكيل مثل هذه اللجان المسرحية في اعقاب المذابح الدموية البشعة واعمال القتل الجماعي التي نفذتها قوات الاحتلال عبر المراحل الزمنية السابقه ، فعايشنا تلك المسرحيات التي نفذتها لجان التحقيق او الاستقصاء الاسرائيلية التي تم تشكيلها على سبيل المثال لا الحصر في اعقاب المذابح الجماعية التي اقترفت في قبية وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا ، علاوة على لجان وملفات التحقيق التي تقدر بالمئات والمتعلقة بانتهاكات وعمليات قتل اسرائيلية ارتكبت ضد الفلسطينيين في ظل الانتفاضة .

* هذه هي آلية التفكير الاسرائيلي ، وهذه هي العقلية الاسرائيلية الحقيقية التي تقف وراء الممارسات الاسرائيلية المختلفة ضد الفلسطينيين وحقوقهم في الارض المحتلة .

ب - حقائق لم تذكرها لجنة زامير

في اعقاب صدور تقرير لجنة زامير ، سارع «مركز المعلومات الاسرائيلي لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة » المعروف باسم «بتسيلم» ، الى اصدار نتائج تحقيق خاص به اجراه حول اسباب واهداف المذبحة ، تطرق فيه المركز الى حقائق لم تذكرها لجنة زامير ، وتجاهلتها مع سبق التخطيط والاصرار ، واهمها :

* ان معظم الشهود الذين استدعتهم لجنة زامير امامها ، كانوا من رجال الامن الاسرائيلين ، بينما رفض الشهود العيان العرب الظهور امام اللجنة لانها تلعب دور (الخصم والحكم) في وقت واحد .

* ان اكتفاء اللجنة (بالوصول الى الحقيقة) بشهادات شهود من جانب واحد ، لامر جدير بالتعامل معه بشك .

* فندت منظمة بتسليم اقوال شهود الشرطة امام اللجنة بانهم لم يروا سيارات الاسعاف العربية عندما اطلق النار عليها في باحة الاقصى المبارك ، واكدت ما قالته الممرضة العربية فاطمة ابو خضير بانها شاهدت الجنود وهم يوجهون فوهات بنادقهم باتجاه سيارات الاسعاف .

* لم تعالج اللجنة في تقريرها موضوع اطلاق الذخيرة الحية باتجاه المواطنين العرب بصورة جدية ، ولم تتحدث عنه الا بحوالي ٢٠٠ كلمة فقط ، في حين يشتمل التقرير على ٦٠ صفحه .
* قوات الامن الاسرائيلية اطلقت النار باتجاه ظهور المواطنين العرب ، وليس في حالة المجابهة وجهاً لوجه .
* على عكس لجان التحقيق التي تتمتع بمكانة قانونية محدده ، فان لجان استقصاء من نوع لجنة زامير انما كانت دائماً لعبة في ايدي القيادات السياسيه ، التي يهمها ان تخرج نظيفة من الاحداث »[١٧] .

اذن تلك هي بعض الحقائق التي اغفلتها لجنة زامير عن سبق تخطيط ونيه مبيته ، كما اكدت الصحف الاسرائيلية ، وتلك هي الخلاصة التي اكدتها صحيفة داڤار في الموضوع نفسه، وهي ان لجنة زامير انما هي لجنة صورية ، اداة بايدي الحكومة الاسرائيلية تم تشكيلها على وجه السرعة من قبل اسحق شامير في ضوء ردود الفعل والضغوط العربية والدولية التي تسارعت في اعقاب مذبحة الاثنين في باحة الاقصى المبارك .

ثانيا : الموقف الدولي من المذبحة :

في ضوء حجم وبربرية المذبحة الجماعية التي اقترفتها القوات الاسرائيلية في باحة الاقصى المبارك ، وفي ضوء انكشاف عمق تورط السلطات الاسرائيلية الرسمية عبر قواتها واجهزتها المختلفة في المذبحة ، لم يكن بوسع الولايات المتحدة وحلفاء «اسرائيل» في مجلس الامن الدولي التستر على هذه الجريمة الاسرائيلية والدفاع عن موقف «اسرائيل» بالوقاحة والصلف المعهودين في مسلسل المواقف السابقه .

لقد انتقلت المذبحة البشعة الى اروقة مجلس الامن بسرعة كبيرة ، بمبادرة منظمة التحرير والدول العربية الحليفة ، ولم يكن بوسع الاداره الامريكية مساندة هذه الجريمة الاسرائيلية ، في ظل تصاعد ازمة الخليج ، وتصاعد التكالب الامبريالي ضد العراق والامة العربية ، فبعد ان تمكنت الولايات المتحدة من تجنيد «الشرعية الدوليه» ممثلة بالقرارات المتلاحقة التي اتخذها

مجلس الامن ضد العراق ، و«الشرعية العربية» المزعومة ، وتجييرهما لصالح سياستها العدوانية وحملتها الصليبية الشرسة ضد العراق العربي والامة العربية ، لم تتمكن الادارة الاميركية من الاخلال بهذا الميزان ولذلك وتحت زعم التمسك بالشرعية الدولية ، وارضاء للحلفاء العرب الذين تهافتوا للاصطفاف في الخندق الاميركي ، ومحاولة للابقاء على هذا الطوق والحلف الدولي ضد العراق ، جاء الموقف الامريكي مناورة وتكتيكاً وتضليلاً مؤيداً لقرار مجلس الامن رقم (٦٧٢) ، الذي تضمن ادانة لاسرائيل ، وارسال لجنة لتقصي الحقائق حول المذبحة في الحرم[١٨] .

كانت هذه المرة الاولى التي يتخذ فيها مجلس الامن قراراً مرناً ضد «اسرائيل» بعد عملية مخاض طالت كثيراً بسبب الاعتراضات والتعديلات الامريكية .

أ - الرفض الاسرائيلي :

رغم الصيغة المخففة التي خرج بها مجلس الامن بموافقة الولايات المتحدة ، الا ان الحكومة الاسرائيلية سارعت الى رفض «القرار الدولي» مواصلة بذلك سياستها المتعنتة وجاء الرفض الاسرائيلي العنيد الذي ينطوي على تحدٍ سافر واستهتار بالقرارات الدولية ، استمراراً لسياسة الحكومات الاسرائيلية السابقة المتعاقبة التي كانت قد رفضت على مدى المراحل الزمنية المختلفة ، جملة كبيرة من القرارات والمبادرات والتوجيهات . الصادرة عن هيئة الامم المتحده ، او مجلسها ، او منظماتها المتفرقة ، او تلك الاتية من دول اخرى حليفة «لاسرائيل» او غير حليفه .

وجاء في نص الرفض الاسرائيلي الرسمي لقرار مجلس الامن رقم ٦٧٢ :

١ - اطلعنا على نص قرار مجلس الامن رقم ٦٧٢ ، وبيان رئيس المجلس الخاص به ، وهما ليسا مقبولين لدينا .

٢ - قرار مجلس الامن يتجاهل كلياً الهجوم على المصلين اليهود في ساحة الكوتل ، وهو المكان الاكثر قدسية لليهود ، ولا يشجب مهاجمي المصلين اليهود ، انه قرار سياسي ، لا يمت للواقع بصله .

٣ - ان القدس ، بجزئيها ، ليست «منطقة محتله» وانما هي عاصمة اسرائيل ، ولذلك ، لامجال لاي تدخل من جانب الامم المتحدة في اي مسألة تتعلق بالقدس .

٤ - في ضوء ما ذكر اعلاه ، فان اسرائيل لن تستقبل وفد السكرتير العام للامم المتحدة(١٩).

لقد دأبت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، ودرجت على الاستهتار العنيف ، ليس بكامل المطالب والحقوق المشروعة للفلسطينيين فحسب ، انما بكامل قرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين ، وماهذا القرار الصادر عن حكومة شامير والرافض لقرار مجلس الامن ٦٧٢ ، الا تتويج لتلك السياسة الاسرائيلية التي حظيت دوماً وما تزال ، بكل الدفع والاسناد والتغطية اللازمة سياسياً ودبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً من جانب الولايات المتحدة وحلفائها الاطلسيين .

تلك هي السياسة الاسرائيلية ، ولاءات الرفض والاستهتار الموغلة في التطرف الفاشي والنزعة العنصرية التفوقيه ، غير ان الاهمية الخاصة في التشديد على هذا الرفض دون غيره مما سبقه ، هو.انه أتى في ظل مرحلة شهدت وماتزال اعتى واشرس حملة صليبية اميريكية أطلسيَّة / اسرائيلية مشتركة ضد العراق والامة العربية ، هذه الحملة التي جندت فيها الولايات المتحدة كما ذكر «الشرعية الدولية» و «الشرعية العربية» .

ب - قرار مجلس الامن رقم (٧٣) :

بعد ان جاء الرفض الاسرائيلي سافراً صلفاً مستهتراً ، بادرت مجموعة من الدول العربية ، ودول العالم الثالث ، الى مبادرة تدعو مجلس الامن الى فرض عقوبات ضد «اسرائيل» بسبب رفضها للقرار وعدم التزامها «بالشرعية الدولية» ، غير ان الولايات المتحده تدخلت من جديد مع عدد من الدول الحليفه ، واتقنت دورها من وراء الكواليس ، وتمكنت من تخفيف صيغة المبادرة مرة اخرى ، لتخرج الصيغة النهائية للقرار كما يلي :

« .. ان مجلس الامن يعرب عن جزعه ازاء رفض الحكومة الاسرائيلية لقرار المجلس ٦٧٢ (١٩٩٠) ، ورفضها قبول بعثة الامين العام .. ويشجب رفض الحكومة الاسرائيلية استقبال بعثة الامين العام .. ويحث الحكومة الاسرائيلية على اعادة النظر في قرارها على ان

تمتثل امتثالاً تاماً للقرار ٦٧٢ ، وان تسمح لبعثة الامين العام بالمضي قدماً وفقاً للغرض ... يطلب الى الامين العام ان يقدم للمجلس التقرير المطلوب في القرار ٦٧٣ ... ويؤكد عزمه على النظر في التقرير بصورة كاملة على وجه السرعه »[٢٠] .

كما رفضت الحكومة الاسرائيلية القرار الدولي رقم (٦٧٢) ، سارعت الى رفض القرار الجديد (٦٧٣) رفضاً قاطعاً ، مؤكدة انها لن تستقبل اي وفد من جانب الامم المتحدة ، ورغم محاولات الادارة الامريكية اقناع الحكومة الاسرائيلية باستقبال مبعوث خاص للسكرتير العام للامم المتحدة لتقصى الحقائق في المناطق ، انما دون طائل او نتيجة ، فالرفض الاسرائيلي استمر ، وبدلاً من الوفد الدولي ، و«تقصي الحقائق» من قبل طرف دولي كمبعوث السكرتير العام للامم المتحده ، طالبت الحكومة الاسرائيلية بان يقبل مجلس الامن ويكتفي بتقرير « لجنة زامير » التي شكلها شامير .

وفعلاً بعد ان خرجت « لجنة زامير » بتقريرها المذكور ، ارسلت الحكومة الاسرائيلية نسخاً عنه الى الادارة الامريكية واعضاء مجلس الامن والسكرتير العام للامم المتحدة ، فقامت الاداره الامريكية بـ « دراسة التقرير ، فوجدت فيه نقاطاً ايجابية عديدة » ، استحقت المديح والثناء والاكتفاء من تلك الاداره .

غير ان السكرتير العام للامم المتحدة اعلن انه لايمكن الاكتفاء بتقرير لجنة زامير ، وان على « اسرائيل » ان تلتزم بتطبيق القرارات الدولية .

جـ - مبادرة السكرتير العام لحماية الفلسطينيين :

استمراراً لموقف السكرتير العام للامم المتحدة في هذه المسألة ، اعلن في مطلع تشرين ثاني سنة ١٩٩٠ ، عن مبادرة جديدة « تدعو دول هيئة الامم الى بحث سبل حماية السكان الفلسطينيين في الاراضي المحتلة »[٢١] .

وكما في المواقف السابقة ازاء قراري مجلس الامن المذكورين ، رفضت الحكومة الاسرائيلية مرة ثالثة مبادرة السكرتير العام للامم المتحدة التي اعتبرتها محافل اسرائيلية رسمية عديدة بانها مقلقة واعربت وزارة الخارجية الاسرائيلية عن خيبة املها من هذه المبادرة ، في وثيقة سلمت الى السفارات الاجنبية وسفارة الامم المتحدة في اسرائيل ، وجاء

في وثيقة الرفض الاسرائيلي :

١ - ان اسرائيل تعلن عن خيبة املها من الموقف احادي الجانب في التقرير ، فالتوصيات المتضمنة فيه موجهة فقط ضد اسرائيل ، ولم تستصوب دعوة الجانب الفلسطيني الى وقف العنف .

٢ - وفوق كل ذلك ، فان الدعوة التي لم يسبق لها مثيل الى عقد اجتماع للدول الموقعة على ميثاق جنيف . هي سياسة خطيرة ، تشكل مساً خطيراً بموضوعية جهاز انساني هام .

٣ - ان اسرائيل هي المسؤولة وفقاً للقانون الدولي ، عن إدارة المناطق ، وفرض الامن والنظام ...

٤ - ان اسرائيل لن تقبل بقيام اطراف اجنبية باستغلال حادثة مؤسفة أساسها الاستفزاز ، من اجل المس بسيادة اسرائيل على القدس ...[٢٢] .

هكذا جاءت اللاءات الاسرائيلية الرسمية المذكوره لقرارات مجلس الامن ومبادرة السكرتير العام للامم المتحدة ، استمراراً لسياسة اللاءات الاسرائيلية المعروفة المعمول بها في كل زمان وقضية وقرار على صلة بالحقوق الفلسطينية .

ثالثا : ردود الفعل الفلسطينية العربية :

هزت المذبحة الاسرائيلية البشعة ضد الفلسطينيين في قلب الحرم القدسي الشريف ، اوصال الجسم الفلسطيني / العربي ، داخل الارض المحتلة ، وخارجها ، فعلى صعيد الخارج ، قادت منظمة التحرير والاردن والدول العربية الحليفة تلك الحملة الدبلوماسية المكثفة في اروقة الامم المتحده ، التي تمخضت عن قراري مجلس الامن (٦٧٢) و(٦٧٣) ، اللذين ادانا «اسرائيل» ، وطالباها بالامتثال للشرعية الدولية ، وتمخضت كذلك عن مبادرة السكرتير العام للامم المتحدة ، الداعية الى بحث سبل حماية الفلسطينيين في الاراضي المحتلة .

وشكل القراران والمبادره معاً ، انجازاً دبلوماسياً / سياسياً للمنظمة والدول العربية التي وقفت معها او بادرت الى جانبها في هذا النطاق .

والى جانب هذا الدور الدبلوماسي / السياسي ، ساهمت المنظمة والدول العربية المذكورة ، في توفير الغطاء الاعلامي المركز والواسع لتفاصيل وابعاد ومضاعفات المذبحة

الاسرائيلية من جهة ، وساهمت في الوقت ذاته في فضح الوجه الاسرائيلي القبيح ، مما ادى الى عزلةٍ جزئية ومرحليةٍ للكيان الاسرائيلي على مستوى هيئة الامم . رغم المحاولات المركزة التي بذلتها الادارة الامريكية للتخفيف من حدة هذه العزلة ، وحدة بشاعة الوجه الاسرائيلي .

اضافة الى ذلك بادرت منظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٩٩٠/١١/٧ الى دعوة الامم المتحدة لعقد اجتماع عاجل لبحث موضوع حماية الفلسطينيين في الارض المحتلة من جهة ، وبحث مسألة فرض عقوبات على «اسرائيل» لرفضها تنفيذ قراري مجلس الامن من جهة اخرى .

لاشك ان ما حققته منظمة التحرير وحليفاتها العربيات على صعيد مجلس الامن وهيئة الامم ، يعد انجاز دبلوماسي / سياسي هام في المعركة الدائرة في اروقة الامم المتحدة ضد «اسرائيل» وحليفاتها الولايات المتحدة وغيرها .

التصدي الفلسطيني في الارض المحتلة :

لاشك ان مسيرة النضال والتصدي الفلسطيني في الارض المحتلة المناهضة لمشاريع ومخططات الاحتلال ، هي مسيرة طويلة مليئة بالهبات والانتفاضات الشعبية المستمرة ، ومليئة بمختلف اشكال نشاطات المقاومة للاحتلال ، وقد شهدت هذه المسيرة كما اسلفنا انتقالة نوعية متميزة في النشاط الانتفاضي ضد الاحتلال ، غير ان مسيرة الانتفاضة شهدت بدورها نقلات نوعية وانعطافات متميزة في زخمها وفعالياتها ، وقد اجمعت مختلف المصادر الفلسطينية في الارض المحتلة ، كما اعترفت مصادر اسرائيلية رسمية وصحفية ، بان مذبحة الاثنين في باحة المسجد الاقصى ، شكلت انعطافة جديدة في الانتفاضة ، ادت الى دخول مرحلة نوعية اخرى في النشاطات الانتفاضة ، لكن قبل الدخول في معالجة هذه المسألة الدقيقة الحساسة ، لابد لنا قبل كل شيء من تسجيل شهادات الشهود العيان الفلسطينيين ، الذين اصيبوا بجروح في المذبحة او اولئك الذين خرجوا سالمين منها ، او تصريحات ومواقف وتعليقات فلسطينية اخرى على المذبحة .

أ - شهادات وتعليقات :

لقد تضمنت الرواية الاسرائيلية الرسمية لمجزرة الاقصى ، ثلاثة بنود اساسية :

١ - ان احداث الحرم قامت بتخطيط وتحريض مسبقين من قبل قيادة منظمة التحرير وبتنفيذ مؤيدين لها بالداخل .

٢ - ان الحادث وقع بالاساس نتيجة قيام متطرفين عرب بالاعتداء على مصلين يهود امنين ...

٣ - اذا حدث تقصير اسرائيلي ، فهو ناجم فقط عن عدم الاستعداد الكافي لمواجهة هذه المؤامرة الاسلامية ...[٢٣] .

كما بررت لجنة زامير عملية الحصد الجماعي للمصلين الفلسطينيين في باحة الاقصى ، متذرعة بنفس الذرائع الرسمية المذكورة ، وجاءت نتائج اللجنة كما كان متوقعاً .. غير ان تلك النتائج وتلك الرواية الرسمية ، تدحضها تماماً شهادات المواطنين الفلسطينيين الذين سقطوا في باحة الاقصى ، اذ اجمعوا كلهم على ان قوات الاحتلال اطلقت نيران المدافع الرشاشة بكثافة بهدف حصد المصلين العرب وقتلهم ، « وان المذبحة بدأت باعتداء بوليسي ضد مجموعة من النساء الفلسطينيات قرب قبة الصخرة » .. الخ .

اكد د . صالح عبد الجواد من القدس المحتلة في محاضرة القاها مساء ٥/١١/١٩٩٠ في المركز العلمي الثقافي في مؤسسة عبد الحميد شومان . حول المذبحة : « ان المذبحة كانت مخططة ومعد لها مسبقاً .. وهناك شواهد كثيرة على ذلك منها : ان السلطات الاسرائيلية قامت بمنع السياح من دخول الحرم من الساعة الثامنة صباحاً .. ثم اقامت الحواجز لمنع دخول المواطنين الى الحرم .. ثم اغلقت ابواب الحرم .. ثم في الساعة ١٠,٤٥ صباحاً سقطت ٥ قنابل مسيلة للدموع على تجمع للنساء الفلسطينيات دون سابق استفزاز او عمل من جانب العرب ... وبعد ذلك فقط قام عدد من الشبان بالتوجه لحماية النساء ، وحينها اقتحمت قوات الحرم من جهة باب الاسباط ، البعيد عن باحة الاقصى ، حيث كانت جاهزة مستعدة هناك ، واخذت تلك القوات تطلق النيران الكثيفة »[٢٤] .

ثم اكد د . صالح عبد الجواد في سياق محاضرته على «ان معظم الاصابات كانت في الرأس والقلب »[٢٥] .

وفي تقرير واسع حول تفاصيل المذبحة نشرته مجلة «هعولام هزيه» الاسرائيلية ، قالت الممرضة فاطمة ابو خضير التي اصيبت برصاصة حطمت رسغ يدها : « .. دخلنا بسيارة الاسعاف الى باحة الاقصى ، فشاهدت عدداً كبيراً من المصابين ساقطين على الارض .. ثم رأيت كثيراً من الجنود ، مئات الجنود ، على مسافة ٣٠ متراً من سيارة الاسعاف . يجلسون على ركبة ونصف على طريقة القناصين ، واسلحتهم كانت موجهة الى داخل سيارة الاسعاف، وبعد ذلك لم استطع رؤية شيء »[٢٦] .

ثم قال الطبيب محمد ابوعايله الذي اصيب هو الاخر برصاص الجنود عندما كان يقوم بواجبه الانساني : «خرجت من سيارة الاسعاف حاملاً حقيبة الاسعافات الاوليه ، وكنت ارتدي اللباس الابيض ، وقد شاهدني الجنود وعرفوا انني طبيب ، وعندما وصلت الى المصاب الاول الذي كان بقربي لاسعفه ، انحنيت عليه لمعالجته ، اصبت بثلاث رصاصات في ظهري في منطقة الكلى ، وفي هذه اللحظة استشهد احد المصابين ، وكان يمكن انقاذه لو لم اصب ..»[٢٧] .

ثم قال احد سدنة الحرم الشريف : « ... في باحة الاقصى اخذ عدد من الشبان ينشدون اناشيد دينيه ، ويرددون شعارات دينية ، وفجأة امتلأ المكان بقنابل الغازات السامة »[٢٨] ، وقال المواطن هشام النتشه الذي اصيب برصاصة في رقبته : «لقد اطلقوا النيران على جميع المصلين ومن كل الاتجاهات »[٢٩] . وعزز الممرض محمود المصري قول النتشه : «اطلقوا النار بدون اي استفزاز مسبق ، وافتعل الجنود مسألة رشق الحجارة »[٣٠] .

ونلخص هنا مجمل شهادات وتعليقات المواطنين الفلسطينيين بما قاله الشيخ عكرمة صبري امام الاقصى في محاضرة القاها امام نادي «الجذور» في ام الفحم ، اذ اكد : «منذ حملة الصليبيين لم يعرف الاقصى مذبحة كهذه ، انها وصمة سوداء في جبين الصهيونية ، يجب ان نؤكد عليها صباح مساء . من اجل الكشف عن حقيقة حكام اسرائيل المسؤولين مباشرة عن المذبحة ...

ان المصلين المسلمين لم يرشقوا الحجارة على المصلين اليهود في ساحة حائط المبكى ، إذ قد اخلى افراد الشرطة المصلين اليهود قبل ذلك ، والصورة التي بثها التلفزيون الاسرائيلي هي صورة ارشيفية »[٣١] .

اذن هذه هي الحقائق الفلسطينية حول المذبحة المشفوعة بدماء نساء واطفال وشيوخ الفلسطينيين ، التي نزفت غزيرة لتخضب ارض الاقصى ، وهي جزء بسيط من فيض من الشهادات والحقائق الواردة على لسان الفلسطينيين ، كما يتضح من تفاصيل التقارير الواردة حول المذبحه .

ب - تقرير الهيئة الاسلامية العليا :

وفي وقت لاحق من الشهر ذاته ، اعلنت لجنة تقصي وجمع الحقائق المنبثقة عن الهيئة الاسلامية العليا في القدس ، عن نتائج التحقيق الذي اجرته حول المذبحة ، والتي اسقطت من جهة كل مزاعم لجنة زامير الاسرائيلية ، وعززت من جهة اخرى شهادات واقوال الشهود العيان العرب حول التخطيط المسبق والمبيت للمذبحة ، وجاء في نص التقرير :

« ١ - الاحداث المأساوية التي وقعت يوم الشهداء يوم الاثنين ٨/١٠/١٩٩٠ لم تكن حادثة عفوية ، وانما عملاً مبيتاً ومخططاً له من قبل قيادة حرس الحدود والشرطة .

٢ - اطلاق النار العشوائي وبكثافة ووحشية وهمجية بقصد القتل وحده ، وبدون اي مبرر او تمييز بين امرأة او طفل او كهل او شجر او حجر ، كما ان القنص كان مستعملاً ، واستهدف القناصون الرأس والصدر .

٣ - بلغت حصيلة يوم الشهداء ثمانية عشر شهيداً ومئات الجرحى والمعتقلين .

٤ - قذف المسلمون الحجارة على جنود المعتدين ، بعد ان تعرضوا لاطلاق الرصاص الحي والقنابل الغازية عليهم للدفاع عن انفسهم »[٣٢] .

وكان فلسطينيو الاراضي المحتله ، قد استقبلوا قبل ذلك نتائج لجنة زامير للتحقيق في مجزرة الاقصى ، بمزيد من الحنق والسخرية واللامبالاة مؤكدين : «اذا كان القاضي غريمك لمين تشتكي »[٣٣] ، وقال عدنان الحسيني مدير اوقاف القدس : «ان تحميل الفلسطينيين المسؤولية كان امراً متوقعاً ، لقد ادركنا ذلك منذ اليوم الاول لتشكيل لجنة زامير ... انه تقرير مبتور لم يأخذ بالحسبان الاستفزازات التي دعت المسلمين للتواجد في الاقصى »[٣٤] .

واكد انور الخطيب من رؤساء المجلس الاسلامي الاعلى : «نتائج تقرير لجنة زامير ليست مفاجأة ، واضح ان المسؤول الحقيقي عن كل حادث هو شامير وسياسته »[٣٥] ، وقال خالد

الاشهب من البلدة القديمة في القدس : « ان نتائج لجنة زامير مثل نتائج لجان مجازر سابقة – كفر قاسم ، قبيه ، صبرا وشاتيلا – ونتائج لاحقة »[٣٦] ، وشارك العديد من الفلسطينيين خالد الرأي ، حيث علقوا بسخرية على نتائج لجنة زامير قائلين : «ان النتائج كانت موضوعية ، لان الشرطة لم تطلق النار في الهواء هذه المرة ، على ما يبدو لقد كف الفلسطينيون عن السير في الهواء .. »[٣٧] .

جـ – انعطافة جديدة في الانتفاضة :

شهدت فعاليات الانتفاضة في الاراضي المحتلة بشكل عام ، وفي منطقة القدس بشكل خاص ، تصعيداً وتصاعداً كبيرين مؤثرين قضا مضاجع قادة الاحتلال ، وذلك قبل المذبحة باسابيع قليله ، اذ عمت النشاطات الانتفاضية المختلفة من مظاهرات ومسيرات جماهيرية حاشدة ، والقاء زجاجات حارقة ، واحراق السيارات الاسرائيلية ، اضافة الى المواجهات اليومية مع قوات الجيش والشرطة .

لقد تواصلت هذه النشاطات في المدينة المقدسة دون توقف او انقطاع ، الى ان جاءت المجزرة الصهيونية في باحة الاقصى ، التي فرضت بالتالي تصعيداً جديداً وانعطافة جديدة في فعاليات الانتفاضة والمواجهات مع قوات الاحتلال .

وتعزيزاً لهذا التوجه ، اكد عدد من الفلسطينيين في ردود فعلهم على المذبحة على هذا المضمون ، فقد قال احد الاطباء في مستشفى المقاصد بعد المذبحة :

« لقد اسرع الامريكيون الى العربية السعودية ، بسبب النفط الاهم من كل شيء ، اما الدم الفلسطيني فلا قيمة له ، انه رخيص بنظرهم ونظر الاسرائيليين ، لذلك فان الرد الحقيقي الذي تستحقه اسرائيل هو دفعة صواريخ حاملة لغاز الخردل من العراق ، انهم لايفهمون الا هذه اللغة »[٣٨] ، وقال سعيد كنعان وهو تاجر كبير من نابلس : « كانت اوامر اطلاق النار وقتل اكبر عدد من الفلسطينيين ، بمثابة هدية من وزير الشرطة الاسرائيلي للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير والانتفاضة ، فمنذ صباح هذا اليوم دخلنا في مرحلة جديدة في الانتفاضة ... لقد تعمقت اليوم الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ومن الان فصاعداً ستتوجه الانتفاضة مرة اخرى ضد اسرائيل ، وسنشهد المزيد من العنف ، فليس لدينا ما

نخسره »[٣٩] . وقال مواطنون فلسطينيون اخرون : « اننا لانستطيع المخاطرة اكثر من ذلك ، فحتى الفلسطينيون غير المتدينين والمسيحيون سيقاتلون حتى النهاية ضد كل محاولة يهودية للاستيلاء على الاقصى »[٤٠] ، واكد شاب عربي آخر امام جثث الشهداء في المقاصد : « بدون تضحيات لن نحقق شيئاً »[٤١] ، ونعود هنا مرة اخرى الى محاضرة الشيخ عكرمة صبري امام الاقصى التي القاها امام نادي «جذور» في ام الفحم والتي قال فيها : « ان المذبحة تعطينا دفعة قوية لانعاش انتفاضتنا المباركة ، فدماء شهدائنا وقود يشعل الانتفاضة ، وارضنا الفلسطينية تهتز تحت اقدام الاحتلال ، وفي كل مرة يسقط شهيد ، سوف تهتز مكانة الاحتلال ، ويقترب فجر الحرية »[٤٢] .

وفي الجانب الاسرائيلي تحدثت مصادر عديدة حول هذه المسألة ، فاستخلصت تلك المصادر على اختلافها ان المجزرة في باحة الاقصى تشكل مرحلة جديدة في الانتفاضة ، وانعطافة اخرى نحو تصعيد العنف الدموي بين الجانبين ، فقالت صحيفة عل همشمار بهذا الخصوص : « ان الاحداث الدموية التي وقعت في الحرم ، هي الاخطر التي وقعت حتى الان ، فدماء ٢١ مواطناً عربياً اريقت على ارض الحرم ، قد تشكل حافزاً قوياً يقود الانتفاضة في المناطق المحتلة الى مرحلة جديده ، ويدفع تضامن عرب اسرائيل الى مستوى جديد » ، وتحدثت مصادر اسرائيلية اخرى عن نفس الخلاصة – سنعالجها في جزء الحق – .

د – تصعيد حرب الخناجر :

لم يتأخر الرد الفلسطيني على المذبحة البشعة في باحة الاقصى ، ففي يوم المذبحة ذاته ، انفجرت الانتفاضة الشاملة في مدن وقرى ومخيمات الاراضي المحتلة ، سخطاً واحتجاجاً وتنديداً ، وتعبيراً عن الرفض الفلسطيني القاطع الحاسم للاحتلال وممارساته ، فعمت المظاهرات والمواجهات ، وسقط الشهداء والجرحى ، واعتقل الالاف ، واعلنت الاراضي المحتلة مناطق عسكرية مغلقة .

غير ان ابرز واهم ما ميز هذا الرد الفلسطيني ، في هذه المرحلة التي اعقبت المذبحة ، هو ماعرف بـ «حرب الخناجر» ، تلك العمليات الشجاعة ، شبه الانتحاريه التي نفذها وينفذها الفلسطينيون ضد جنود ومستوطني الاحتلال .

وجاءت مجموعة عمليات الطعن بالخناجر وسقوط عدد من الاسرائيليين فيها بين قتيل وجريح ، بمثابة رسالة فلسطينية اخرى للسلطات الرسمية وللعالم ، لتخاطبهم باللغة التي يتحركون بها ويفهمونها ، لغة العنف الدموي الذي تصر السلطات الاسرائيلية على التعامل مع الفلسطينيين بها .

فرغم الخلل الواضح ، المستمر في الاسلحة والتسليح بين الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي في الارض المحتلة ، الا ان كل اجراءات القمع والتنكيل والتدمير والابادة التي تقترفها وماتزال تواصلها السلطات الاسرائيلية عجزت عن قهر ارادة الفلسطينيين وتحطيم صمودهم واقتلاع جذورهم الضاربة في الاعماق .

لقد جاءت العملية البطولية التي نفذها البطل القادم من العبيديه عمر صلاح ابو سرحان يوم ٢١/١١/١٩٩٠ لتضع خطوطاً مشددة تحت جوهر الصراع المحتدم الذي يزداد اشتعالاً، والذي غدا مضمونه واضحاً تماماً .. انه صراع الوجود السياسي - الديني - القومي - الديموغرافي .

لقد حققت هذه العملية البطولية هدفاً اساسياً مزدوجاً ، فقد اعتبرت رد سريع وانتقامي على المذبحة في الحرم ، وشحنت المعنويات الفلسطينية فاتحه آفاق مرحلة جديدة في التصدّي الفلسطيني من جهة ، ومن جهة أخرى اصابت معنويات الاسرائيليين حكومة وشعباً ، والاهم من ذلك انها كانت بداية حقيقية لسلسلة عمليات مشابهة هزت اركان المجتمع الاسرائيلي .

فاضافة الى هذه العملية التي قتل فيها ثلاثة اسرائيليين واصيب رابع ، « قام شاب عربي يدعى ياسر يوسف ١٩ سنة من رفح بطعن احد الجنود الاسرائيليين بسكين »[٤٤] .

« وقام شاب عربي اخر يوم ٢٢/٩/٩٠ من سكان بيت جالا بمحاولة طعن شرطي اسرائيلي »[٤٥] ، واقدم شاب عربي ثالث من قرية حزما شمال القدس على « طعن مستوطن يهودي في حي النبي يعقوب »[٤٦] .

وفي شمالي الضفة الغربية « قام شاب عربي أخر بطعن مجندتين اسرائيليتين في مفترق الونيم ، واصابهما بجروح ، والقي القبض عليه من قبل الجنود والمستوطنين ، الذين انهالوا عليه ضرباً مبرحاً ادى الى وفاته في اليوم التالي »[٤٧] . وفي اليوم نفسه « قام رفعت حمدونه - ٢٤ سنة - من بيت لاهيا بمهاجمة اسرائيليين في المحددة التي كان يعمل بها -

بواسطة شاكوش ، فاصابهما بجروح بالغة ، والقي القبض عليه »[٤٨] .

واستمرت بعد ذلك عمليات الطعن بالخناجر ، فقد اقدم شاب عربي – ١٨ سنة – على طعن حارس اسرائيلي لاحدى الشاحنات في نابلس ، فاصابه بجروح بالغه ، غير ان الجنود اطلقوا عليه النار فقتلوه »[٤٩] . وفي القدس المحتلة « قام شاب عربي – ١٦ سنة – بطعن شرطي اسرائيلي ، فاطلقت عليه النار واصيب واعتقل »[٥٠] . وفي عيون قاره – ريشون لتصيون – « قام شاب عربي بطعن صاحب مصنع للصلب بمفك ، فاصابه بجروح متوسطة ، وتم القاء القبض عليه »[٥١] . ثم « قام شاب عربي بطعن احد الجنود الاسرائيليين الحراس على سجن جنين فارداه قتيلاً »[٥٢] . ثم قام شاب بطعن شرطي اسرائيلي في القدس يوم ١٠/١١/٩٠ ، وبعدها بيومين قام شاب اخر بطعن جنديين في القدس .. الخ .

لقد تلاحقت العمليات في منطقة القدس ، إبان العدوان العسكري على العراق وبعده ، واكدت مجلة بماحنيه العسكرية (٢٧/٣/٩١) ان ١٣٣ عملية طعن بالخناجر وقعت بين نيسان / ١٩٩٠ ، اسفرت عن مقتل (١٧) اسرائيلياً واصابة (٣٥١) آخر . .

هكذا ، تلاحقت عمليات الطعن بالخناجر عبر الاسابيع والاشهر التي اعقبت مذبحة الاقصى ، ورافقتها كثافة في عمليات القاء الزجاجات الحارقة ، لتشكل كلها معاً تصعيداً نوعياً وكمياً يؤشر الى دخول المرحلة الجديدة من المواجهة بين اهلنا في الارض المحتلة ، وسلطات الاحتلال ، وتوقعت مختلف المصادر والتقديرات استمرار تصاعد هذه المواجهات ، وفعاليات الانتفاضة المناهضة لممارسات الاحتلال .

ردود الفعل والتقديرات الاسرائيليه :

في اعقاب العملية البطولية الاولى التي نفذها عمر ابو سرحان ، والعمليات الاخرى التي اعقبتها ، اهتزت الدنيا ومعها اركان المجتمع الاسرائيلي ، كما اشتعلت الخارطة السياسية الحكومية / البرلمانية / الحزبية ، الى جانب الشارع الاسرائيلي ، غضباً وحقداً عنصرياً ضد العرب ، لم يشهد له تاريخ العنصرية في العالم مثيلاً .

فقد اجمعت مختلف ردود الفعل الاسرائيلية الرسمية والشعبيه ليس على شجب واستنكار العملية فحسب ، وانما على قواسم مشتركه تعكس تلك « القيم والمثل المختاره التي لاتليق الا بشعب الله المختار » .

فقد تناسى بنو صهيون بسرعة فائقة غزارة الدماء العربية الاسلامية الزكية التي سفكت فوق ارض المسجد الاقصى المبارك في الثامن من تشرين اول / ١٩٩٠ ، وسرعان ماثارت ثائرتهم على سقوط ثلاثة اسرائيليين بخنجر بطل العبيدية ، لقد اجمعوا على تلك القواسم الارهابيه المجربة منذ عقود عدة ، وطالبوا بتشديدها على نطاق واسع ضد جماهير الانتفاضه، وعلت اصواتهم رسمياً وشعبياً مطالبة بالضرب والتحطيم والطرد والنسف وسفك الدماء العربية في محاولة جديدة ، تتسم بالعصبيه الهستيريه ، تهدف الى القفز لتحقيق المشروع الصهيوني الكبير دفعة واحدة .

وقد ازدادت هذه الهستيرية العنصرية تطرفاً وانفلاتاً في اعقاب مصرع الرابي مئير كهانا حيث غدت الشعارات الاساسيه لمؤيديه ومؤيدي العنصرية «الموت للعرب» . و «الموت للكلاب العرب» . و«الترانسفير» وغير ذلك .

وعلى صعيد التقديرات الامنية الاسرائيلية ، فقد « اعربت الدوائر الامنيه عن اعتقادها بان موجهً العمليات ضد المدنيين والجنود الاسرائيليين ، ستستمر ، وستزداد خلال الايام والاسابيع القادمه ، وان هذه العمليات تنفذ نتيجة احساس قوي بالانتقام ونتيجة العمليات الناجمة التي نفذت مؤخراً ضد اليهود ، ومن المتوقع ان تتعزز دوافع تنفيذ عمليات اخرى ، سواء داخل الخط الاخضر ، او في مناطق الضفة والقطاع »[٥٣] . وكانت تلك الدوائر الامنيه قد اعربت قبل ذلك بيوم عن اعتقادها ان التصعيد في المناطق والقدس سيستمر حتى منتصف تشرين الاول ١٩٩٠[٥٤] .

وعلق اوريال بن عامي ، وهو محلل عسكري في صحيفة عل همشمار على تصاعد فعاليات الانتفاضة وحرب الخناجر على وجه الخصوص قائلا : « لقد تسلل الخوف الى الشارع ، الجميع يخاف من الجميع ، واخذت العصبية تسيطر على الجميع ، وفي كل لحظة قد يرتفع صراخ يقول انقذوني[٥٥] . ثم علق أفي بنياهو المراسل العسكري لصحيفة عل همشمار مؤكداً « ان الاحداث الاخيرة في القدس ، والتصعيد المتطور لدى الفلسطينيين ،

ولدى جزء من عرب اسرائيل ، تمس كلها الى حد كبير بالاحساس بالامن لدى الاسرائيليين .. ان استخدام الخناجر هو بمثابة قفزة اخرى للامام في الصراع ، على طريق استخدام الاسلحة الناريه من قبل الفلسطينيين »(٥٦) .

واكدت صحيفة معاريف الاسرائيلية على النقطة ذاتها قائلة : « ان الانتفاضة في القدس لن تكون شبيهة بها في المناطق ، فهنا يوجد اكثرية يهودية ، مما يضطر العرب الى القيام بعمليات اعنف واكثر جرأة ولايمكن وقفها ، لقد بدأت العملية بوابل من الحجارة ، واستمرت بالطعن بالخناجر وستنتقل سريعاً الى الاسلحة النارية »(٥٧) ، واضافت الصحيفة نفسها في وقت لاحق : « ان العنف بواسطة الخناجر ، اسلوب سهل ، ويصعب احباطه ، وهذه الظاهرة لم يسبق لها مثيل في البلاد ، والنتيجة هي فقدان الثقة بالامن الشخصي لدى السكان »(٥٨) .

وفي وقت لاحق من الشهر نفسه ، اعلن موشيه ارنس وزير الحرب الاسرائيلي قائلا : « ان موجة الغضب في المناطق ، التي ازدادت في اعقاب احداث الحرم ، لم تنته حتى الان ، ويجب الاستعداد الان لمرحلة ليست سهلة »(٥٩) .

وعلاوة على ردود الفعل والتقديرات الاسرائيلية هذه ، فقد اتخذت السلطات العسكرية الاسرائيلية كما هو معروف ، سلسلة اجراءات وقيود ضد الفلسطينيين في الاراضي المحتلة ، فاعلنت عن اغلاق المناطق المحتله عسكرياً ، وعن اغلاق «الخط الاخضر» امام العمال الفلسطينيين ، واستمر هذا الاجراء مدة اسبوع ، اضافة الى اعلان حالة الاستعداد المستمرة في الجيش الاسرائيلي .

وفي هذه المسألة احتد الجدل بين تيارات ووجهات نظر اسرائيلية مختلفة حول اغلاق او عدم اغلاق «الخط الأخضر» في وجه الفلسطينيين ، ومازال هذا الجدل مستمراً رغم فتح ذلك الخط .

هـ - تلاحم الفلسطينيين في المناطق المحتلة ١٩٤٨ :

برهن الفلسطينيون في المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، عبر العقود الماضية من عمر الاحتلال ، مراراً على عمق انتمائهم الوطني لقضية الشعب الفلسطيني ، وعمق ارتباطهم بالهوية الوطنية الفلسطينية ، وشدة اصرارهم على الاحتفاظ بهذا الانتماء ، رغم عنف البطش الإحتلال

الاسرائيلي ضدهم .

كما برهن الفلسطينيون في تلك المناطق المحتلة من فلسطين ، على عمق ارتباطهم المعنوي باخوانهم في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، واكدوا تلاحمهم الشامل الكامل المستمر معهم في اكثر من موقعة وواقعة ومناسبة ، غير ان هذا التلاحم النضالي تجلى الى حد كبير في مراحل عديدة في مسيرة الانتفاضة المشتعلة في الاراضي المحتلة منذ التاسع من كانون الاول ديسمبر ١٩٨٧[٦٠] .

لقد عكس المواطنون الفلسطينيون تلاحمهم هذا في اكثر من شكل من الاشكال النضالية ، سواء على صعيد محاكاة فعاليات الانتفاضة في المناطق المحتلة ٤٨ ، او على صعيد اسناد الانتفاضة بالمواد التموينية والاعلاميه والسياسيه ضمن الظروف والامكانات المتاحة ، ومن اجل هذا الهدف نشطت عدة لجان وهيئات وطنية منذ بداية الانتفاضة ، حيث ماتزال تواصل نشاطاتها حتى يومنا هذا وهي[٦١] :

١ - لجنة متابعة التعليم العربي التي تمارس نشاطها على مستوى المؤسسات التعليميه .

٢ - لجنة الدفاع عن الاراضي وهي برئاسة القس شحاده شحاده من كفر ياسيف .

٤ - رابطة الاكاديميين العرب في الناصره .

٥ - اللجنة الاقليميه للطلاب في الجامعات الاسرائيليه ، هذه اللجنة نشطة جداً في تنظيم المظاهرات التضامنيه .

٦ - اللجنة الاقليميه للطلاب العرب في المدارس الثانويّة .

٧ - الحركة الاسلاميه وهي برئاسة الشيخ عبد الله درويش .

لقد اشتركت ونسقت وتعاونت كافة هذه اللجان والهيئات الوطنية في نشاطات جمع التبرعات وتقديم الاسناد الطبي والتمويني لجماهير الانتفاضه ، حيث عملت وفق برنامج دعم لمدن وقرى ومخيمات الضفة والقطاع ، كما نظمت المظاهرات والمسيرات والمهرجانات الوطنية التضامنيه مع الانتفاضه .

في اعقاب مذبحة الاقصى :

تواصلت اشكال التضامن المختلفة لدى الفلسطينيين في المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، مع الانتفاضة المستمره ، وشهدت مداً وجزراً نسبياً ، غير ان ابرز واوسع واعمق واصلب تلاحم

وتضامن للمناطق المحتلة ١٩٤٨ مع الانتفاضة ، كان في اعقاب المجزرة البشعة التي نفذتها السلطات الاسرائيلية في باحة المسجد الاقصى ، اذ سرعان ما اندلعت انتفاضة حقيقية واسعة شاملة سكانياً وجغرافياً في كافة مدن وقرى فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ، سخطاً واحتجاجاً وغضباً وتلاحماً مع فلسطينيي الاراضي المحتلة ١٩٦٧ ، مما افلت ايضاً بدوره كوابح العنصرية والتحريض البغيض الرسمي والحزبي والشعبي الى حد كبير في اوساط الاسرائيليين ضد الفلسطينيين .

ففي اعقاب المجزرة مباشرة ، عقدت لجنة المتابعة العربية العليا في فلسطين المحتلة ٤٨ اجتماعاً طارئاً قررت فيه « الدعوة الى اضراب عام في المدن والقرى الفلسطينية لمدة يومين احتجاجاً على المجزرة التي ارتكبت ضد اخواننا في باحة الاقصى »[٦٢] ، وحمل كل المتحدثين في الاجتماع مسؤولية المذبحة للحكومة ، وقرروا ارسال نص قرارتهم الى مجلس الامن الدولي .

وعلى المستوى العملي الميداني ، « تظاهر الالاف من الفلسطينيين في شوارع وقرى المثلث والجليل والنقب ، وشلوا حركة السير واقاموا الحواجز الحجرية واشعلوا الاطارات ، ورفعوا الاعلام الفلسطينية والخناجر .

ففي الناصرة وقعت مظاهرات خطيرة ، واعلن الاضراب العام »[٦٣] .

« وقام مئات الشبان العرب بارتداء الملابس السوداء وحمل الشعارات ، وقاموا بمسيرة في وادي النسناس في حيفا – حيث هتفوا « بالروح بالدم نفديك يافلسطين »[٦٤] ، « وقام عشرات الشبان من المدرسة الثانونية في قرية الكسيفه البدويه برشق السيارات الاسرائيلية بالحجارة ، وفي الصباح قامت الطالبات والطلاب معهن بالسيطرة على التلال المشرفة على مدخل القرية »[٦٥] ، وفي قرية طمرة « شارك حوالي ٢٠ الف مواطن في جنازة عدنان موسى من القرية ، الذي قتل في احداث الحرم »[٦٦] ، « وقام اكثر من عشرة الاف من المواطنين بالتظاهر في سخنين في الجليل العربي احتجاجاً على احداث الحرم ، وحمل المتظاهرون الاعلام السوداء والشعارات الوطنية »[٦٧] ، وفي الطيبة ايضاً « تظاهر الملثمون واشعلوا الاطارات ، ورشقوا الحجارة باتجاه قوات الشرطة ، كما حملوا الاعلام الفلسطينية والعراقية ، ورفعوا يافطات كتب عليها « الطيبة في ايدينا »[٦٨] ، كما « جرت مظاهرات احتجاجية في

قلنسوه والطيره وكفر قاسم وشفا عمرو »[٦٩] .

وقالت صحيفة عل همشمار « ان المظاهرات الصاخبة والاعتقالات عمت المدن والقرى العربية في اسرائيل »[٧٠] .

وفي قرية راهط في النقب « تظاهرت حوالي ٦٠ امرأة عربية يرتدين السواد ، ويحملن الاعلام السوداء ، تضامناً مع شهداء الاقصى »[٧١] .

ومن جهة اخرى قالت الحركة الاسلامية في المناطق المحتلة ١٩٤٨ في بيان اصدرته «ان المذبحة الجماعية كانت مخططة من قبل قوات الشرطة وحرس الحدود »[٧٢] .

واصدرت حركتا «معاً على الدرب» و«ابناء البلد » في فلسطين المحتلة ٤٨ بياناً وجهته الى جماهير الشعب الفلسطيني في الجليل والمثلث والنقب جاء فيه :

«ان المجزرة جاءت تتويجاً لمحاولة صهيونية جديده لاسكات صوت الانتفاضة واخماد نارها والتي بدأتها المؤسسة الصهيونية واذرعها مستغلة الغزو الامبريالي للخليج .. ان ابناء الشعب الفلسطيني في الجليل والمثلث والنقب لن يسمحوا لسلطات الاحتلال بالاستفراد بابناء شعبنا »[٧٣] .

لقد اثارت مظاهر التلاحم النضالي الفلسطيني من قبل فلسطينيي المناطق المحتله ١٩٤٨ ، مع جماهير الانتفاضة في الاراضي المحتلة ، غضب وحنق سلطات الإحتلال ، الامر الذي انعكس في سلسلة مواقف واجراءات وتصريحات نلخصها كلها بما قاله ارئيل شارون في اعقاب تلك المظاهر حيث هدد وتوعد قائلا : «لاتتسببوا في تدهور الوضع ، الى درجة تلحقوا بانفسكم المأساة التي الحقها اباؤكم واجدادكم بانفسهم في سنوات الثلاثينات وخلال حرب ١٩٤٨ ، ولن نتفهم ، ولن نغفر لاي عمل يخل بالامن من جانبكم ..»[٧٤] .

هذه هي صورة الانتفاضة المصغرة التضامنيه التلاحميه التي اعلنها وفجرها الفلسطينيون في المناطق المحتله ١٩٤٨ ، اثر المجزرة الصهيونية في باحة المسجد الاقصى ، ويمكن القول ان مجزرة الاقصى عجلت في استنهاض الطاقة الوطنية الكامنه في نفوس الفلسطينيين العرب في المناطق المحتله ١٩٤٨ ، وعجلت في تقدمهم نحو مرحلة جديدة من التلاحم النضالي مع اخوانهم في المناطق المحتله ١٩٦٧ .

هوامش الفصل الخامس

١ – في هذه المسألة ، انظر النص الكامل لتقرير لجنة تقصي الحقائق المنبثقة عن الهيئة الاسلامية العليا في القدس ، وشهادات شهود عيان من القدس .

٢ – تقرير « لجنة القمع الاسرائيلي وفعاليات الانتفاضة خلال شهر تشرين اول / اكتوبر » ، مكتب الاعلام الفلسطيني / عمان ، ١٩٩٠/١٠/٣ حول تفاصيل المذبحة ، انظر «شهادات شهود عيان من القدس» ، الملحق الخاص .

٣ – حول الموقف الاسرائيلي الرسمي ، انظر الصحف الاسرائيلية الصادرة يومي ٩و١٠/١٠/١٩٩٠ .

٤ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

٥ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

٦ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

٧ – المصدر السابق نفسه .

٨ – صحيفة عل همشمار ١٩٩٠/١٠/٩ .

٩ – صحيفة دافار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

١٠ – المصدر السابق نفسه .

١١ – المصدر السابق نفسه .

١٢ – صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

١٣ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

١٤ – صحيف دافار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٩ .

١٥ – انظر في هذا الصدد ، النص الكامل لتقرير لجنة زامير .

١٦ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٢٨ .

١٧ – صحف دافار ، عل همشمار ، هآرتس ، اعداد يوم ١٩٩٠/١٠/٢٩ .

١٨ – انظر النص الكامل لقراري مجلس الامن .

١٩ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/١٥ .

٢٠ – صحيفة الدستور الاردنيه ، عدد ١٩٩٠/١٠/٢٥ .

٢١ – صحيفة الرأي الاردنيه ، عدد ١٩٩٠/١١/٧ .

٢٢ – صحيفة دافار ، عدد ١٩٩٠/١١/٥ ، انظر النص الكامل للوثيقة الاسرائيلية .

٢٣ – تحقيق حول المذبحة من القدس المحتلة ، مجلة اليوم السابع ، عدد ١٩٩٠/١٠/٢٢ .

٢٤ - د. صالح عبد الجواد ، القدس ، محاضرة بعنوان «تفاصيل حول مذبحة الاقصى» ، المركز العلمي الثقافي ، شومان ، عمان ، ٥/١١/١٩٩٠ ،
٢٥ - المصدر السابق نفسه .
٢٦ - مجلة هعولام هزيه ، عدد ١٧/١٠/١٩٩٠ .
٢٧ - المصدر السابق نفسه .
٢٨ - المصدر السابق نفسه .
٢٩ - «حوتم» / عل همشمار الاسرائيلية ، عدد ١٩/١٠/١٩٩٠ .
٣٠ - المصدر السابق نفسه .
٣١ - صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٣٢ - النص الكامل لتقرير لجنة تقصي الحقائق المنبثقة عن الهيئة الاسلاميه / صحيفة الرأي الاردنيه ، عدد ٣/١١/١٩٩٠ .
٣٣ - صحيفة الفجر المقدسيه ، عدد ٢٩/١٠/١٩٩٠ .
٣٤ - صحيفة الدستور الاردنيه ، عدد ٢٩/١٠/١٩٩٠ .
٣٥ - صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ٢٨/١٠/١٩٩٠ .
٣٦ - صحيفة الدستور ، مصدر سبق ذكره .
٣٧ - المصدر السابق نفسه .
٣٨ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٢/١٠/١٩٩٠ .
٣٩ - صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ١٢/١٠/١٩٩٠ .
٤٠ - صحيفة هآرتس ، عدد ١٢/١٠/١٩٩٠ .
٤١ - المصدر السابق نفسه .
٤٢ - صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٤٣ - صحيفة عل همشمار ، عدد ٩/١٠/١٩٩٠ .
٤٤ - صحيفة هآرتس ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٤٥ - صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٤٦ - المصدر السابق نفسه .
٤٧ - صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٤/١٠/١٩٩٠ .
٤٨ - المصدر السابق نفسه .

٤٩ – صحيفة عل همشمار ، ٣١/١٠/١٩٩٠ .
٥٠ – هآرتس ، عدد ٢٤/١٠/١٩٩٠ .
٥١ – صحيفة هتسوفيه ، عدد ٢/١١/١٩٩٠ .
٥٢ – راديو اسرائيل ، يوم ٨/١١/١٩٩٠ .
٥٣ – صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٤/١٠/١٩٩٠ .
٥٤ – صحيفة هآرتس ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٥٥ – صحيفة عل همشمار ، عدد ٢٣/١٠/١٩٩٠ .
٥٦ – المصدر السابق نفسه .
٥٧ – صحيفة معاريف ، عدد ٢٢/١٠/١٩٩٠ .
٥٨ – صحيفة معاريف ، عدد ٢٤/٢٠/١٩٩٠ .
٥٩ – صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ٣١/١٠/١٩٩٠ .
٦٠ – لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة ، انظر د. اسعد عبد الرحمن ونواف الزرو ، كتاب «الانتفاضة – مقدمات .. وقائع .. تفاعلات .. أفاق » مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ .
٦١ – انظر المصدر السابق نفسه .
٦٢ – صحيفة هآرتس ، عدد ٩/١٠/١٩٩٠ .
٦٣ – صحيفة معاريف ، عدد ١٠/١٠/١٩٩٠ .
٦٤ – صحيفة معاريف ، عدد ١٠/١٠/١٩٩٠ .
٦٥ – المصدر السابق نفسه .
٦٦ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٠/١٠/١٩٩٠ .
٦٧ – المصدر السابق نفسه .
٦٨ – المصدر السابق نفسه .
٦٩ – المصدر السابق نفسه .
٧٠ – المصدر السابق نفسه .
٧١ – المصدر السابق نفسه .
٧٢ – المصدر السابق نفسه .
٧٣ – صحيفة الدستور الاردنيه ، عدد ١١/١٠/١٩٩٠ .
٧٤ – صحيفة معاريف ، عدد ١٠/١٠/١٩٩٠ .

الفصل السادس

القدس : واقع ... وآفاق

الفصل السادس

القدس : واقع .. آفاق

لعل من نافلة القول ، التنويه بتلك الأهمية التاريخية/ القومية الاسلامية / السياسية عامة ، التي تحتلها المدينة المقدسة في نفوس الفلسطينيين ، وفي نفوس العرب والمسلمين من جهة ، ومكانتها من جهة أخرى في تاريخ العلاقات الدولية بصورة عامة ، وعلى مستوى الأمم المتحدة بوجه خاص ، فعلى مدار مراحل التاريخ البشري حظيت القدس باهتمام المجتمع الدولي الدائم .

لعله من نافلة القول أيضاً ، التنويه بعروبة القدس ، التي لم تكن موضع شك أو جدال في أي مرحلة من المراحل الزمنية الماضية ، وعلى ذلك لن ندخل في هذه الخلاصة بمعالجة موضوع عروبة القدس ، أو مكانتها القانونية وانما سنسلط المزيد من الأضواء على واقع القدس في خطط السلطات الاسرائيلية حاضراً و مستقبلاً ، وكذلك على السيناريوهات المحتملة ازاء هذه المدينة ، ومن ثم على برنامج التصدي الفلسطيني في المرحلة الراهنة التي تشهد ارتفاعا متسارعاً في منسوب المقاومة العربية في المدينة من جهة ، وارتفاعاً كبيراً خطيراً من جهة أخرى في منسوب اجراءات التهويد والتنكيل الاسرائيلية .

أولاً : القدس في الخطط الاسرائيلية :

«دأب آباء الحركة الصهيونية ومنظروها منذ القرن الماضي على ترسيخ ما يسمونه «الهدف الأعظم» في اذهان يهود العالم ، وهو احتلال القدس وجعلها عاصمة لدولتهم المنتظرة «اسرائيل» وقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين وتكثيف الاستيطان في القدس بالذات ، واحدة من أهم ركائز الدعوة لتحقيق هذا الهدف ، اذ كانوا يروون امام عموم اليهود وعلى مسامعهم احدى المزاعم اليهودية تقول : «ان اقدامنا تقف عند ابوابك يا قدس، يا قدس بقيت موحدة ، وقد تحقق نصف هذا الحلم بانتهاء الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، حين تمكنت القوات الاسرائيلية من احتلال ٢ر٦٦٪ من المساحة الكلية لمدينة القدس، بينما ظلت البلدة القديمة بيد الجيش الأردني ، وفي ١٩٦٧/٦/٧ احتلت القوات

الاسرائيلية القدس القديمة ، واحكمت قبضتها على المدينة برمتها ، فتقدم شلومو غورن «حاخام الجيش الاسرائيلي» في اليوم التالي ليقف على رأس ثلة من الجيش الاسرائيلي بالقرب من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف (حائط المبكى) ، ويقيم الشعائر اليهودية معلنا في ختامها : «ان حلم الأجيال اليهودية قد تحقق فالقدس لليهود ، ولن يتراجعوا عنها ، وهي عاصمتهم الأبدية »[١].

وبعد ذلك بايام جاء قرار الكنيست في ١٩٦٧/٦/٢٧ بالحاق القدس القديمة باسرائيل سياسياً وادارياً ، وفي اليوم التالي اصدرت حكومة اسرائيل ما يسمى بامر القانون والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧ ، واخضعت بموجبه الجزء الشرقي من القدس للقوانين والنظم الادارية الاسرائيلية ، وفي ١٩٨٠/١١/٣٠ ، اي بعد ثلاثة عشر عاماً من اجراءات التهويد والضم اقر الكنيست الاسرائيلي ما سمي بـ «القانون الاساسي للقدس» الذي يعتبر القدس بشطيرها «عاصمة موحدة لاسرائيل» .

اضافة الى ذلك ، فقد تضمنت مختلف البرامج السياسية والوثائق الحكومية والمحاضر البرلمانية ، والاتفاقيات الائتلافية الحزبية على مدى المراحل الزمنية الماضية ، تأكيداً واجماعاً اسرائيليا يعزز ذلك الموقف الرسمي الاسرائيلي القائل «بضم القدس عاصمة ابدية لاسرائيل» ، ونكتفي هنا في هذه المسألة بالاشارة الى ما قاله يهودا ليطاني في مجلة هعولام هزيه وهو : «بالنسبة للقدس الموحدة هناك اجماع في اسرائيل ، كما تؤكد مصادر اليمين واليسار»[٢].

كما ان التصريحات والمواقف الرسمية الاسرائيلية شبه اليومية كلها تصر على المضمون ذاته ، اذ لا يكاد يمضي يوم واحد فقط ، الا ويصدر تصريح من جهة مسؤولة أو حزبية اسرائيلية حول «وحدة القدس عاصمة لاسرائيل» .

ومن الجدير هنا الاشارة الى تصريح اسحق شامير الذي ادلى به حول القدس وسط جولات بيكر المكوكية حيث اعلن : «هناك اجماع وطني حول القدس ، ولن نتنازل لا عن القدس ولا عن اي جزء من ارض اسرائيل - يديعوت احرونوت ١٩٩١/٥/١٣.

لكن الى جانب تلك التصريحات ، والمواقف ، فقد اعدت وطرحت الخطط والخيارات الاسرائيلية المتعددة المتعلقة بوضع القدس ، والتي نورد فيما يلي ستة خيارات وتصورات منها

تضمنتها وثيقة اعدتها بلدية تيدي كوليك في نيسان سنة ١٩٧٤[٢] :

١ - اسس السياسة الاسرائيلية :

أ - القدس الموحدة عاصمة اسرائيل ، ويجب عدم الموافقة على أي حل يمس وحدة القدس الاسرائيلية .

ب - الحفاظ على حقوق ابناء الديانتين في الأماكن المقدسة .

٢ - الوضع القائم :

أ - السيطرة العملية في الحرم القدسي باستثناء باب المغاربة ، هي اليوم للمجلس الاسلامي ، غير انه ليس لهذا المجلس اي مكانة قانونية ، لا وفقاً للقانون الأردني ، ولا وفقاً للقانون الاسرائيلي .

ب - تقع المحكمة الكائنة قرب الحرم الشريف وتشرف على جزء منه تحت السيطرة العسكرية الاسرائيلية .

جـ - الشرطة الاسرائيلية مسؤولة عن النظام في الحرم القدسي .

د - في السنوات الأخيرة جرت اعمال الحفريات على امتداد « حائط المبكى » ، وذلك رغم احتجاجات المجلس الاسلامي .

يتضح مما سبق ان السيطرة الاسرائيلية المادية ، على الحرم القدسي مضمونة ، وان الوضع القائم هو أقصى حد يمكن تحقيقه في ظل الظروف الراهنة ، اضافة الى عدم اعتراف اسرائيل بالمجلس الاسلامي .

٣ - الاحتمالات والخيارات :

الخيار الأول : الحفاظ على الوضع القائم .

الخيار الثاني : الاندماج الكامل ، ويتضمن : اقامة مؤسسة رسمية اسلامية واحدة لكل المسلمين بما في ذلك القدس الشرقية ، ويتم ادخال ذلك في قانون الكنيست ، وهذا يضمن السيطرة الاسرائيلية من الناحية القانونية ، اضافة الى السيطرة غير المباشرة القائمة عمليا على ما يجري داخل الحرم ، وعلى المؤسسة نفسها .

الخيار الثالث : تقسيم القدس : اي نقل السيادة في الحرم القدسي والأحياء الاسلامية داخل الأسوار وخارجها ، الى سلطة عربية مع الفصل التام عن اسرائيل .

الخيار الرابع : ضم الحرم الى دولة عربية ، اي ان يتم الحاق شؤون الحرم بدولة عربية ما مع اقامة ممر دولي منفصل عن اسرائيل .

الخيار الخامس : اخراج الحرم عن اي سيادة ، على أن يتم تحديد ذلك في اطار اتفاق دولي ينص على ان الحرم القدسي لا يقع ضمن سيادة اي دولة ، باستثناء مؤسسة اسلامية معترف بها وتخضع لافتراضين : ان تبقى في اطار بلدية القدس ، وان تضمن حرية العبادة للجميع .

الخيار السادس : شمل الحرم في اطار بلدي مستقل لسكان القدس ، وذلك على افتراض ان يتم تنفيذ اطار بلدي مستقل لعرب القدس في اطار بلدية القدس الموحدة في « دولة اسرائيل » على أن تقوم مؤسسة اسلامية منتخبة أو معينة بضمان حرية العبادة للجميع .

تلك هي الاحتمالات والخيارات التي طرحت اسرائيلياً في مرحلة سابقة كما وردت في وثيقة تيدي كوليك ، ومن الجدير بالانتباه هنا ، ان طرح تلك الخيارات لا يعني تبنيها من قبل السلطات الاسرائيلية اذ ان تلك السلطات لم تتبن ولم تطبق منذ عام ١٩٦٧ الا خياراً واحداً وهو «اخضاع القدس الشرقية للسيطرة والسيادة الاسرائيلية» وقد خضع هذا المفهوم وما يزال للتطبيق العملي الممنهج في اطار خطط واجراءات يومية ترمي كلها - كما فصلنا في الفصول السابقة - الى تفريغ وتهويد القدس .

كما ان مراجعة تحليلية لواقع القدس والأراضي المحتلة خلال المرحلة السابقة ، تبين امامنا ان الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، دأبت على انتهاج وترسيخ سياسة «الوضع الراهن» ، وخلق الحقائق والوقائع العملية على الأرض ، في محاولة عنيدة منها لاجبار الفلسطينيين والعرب والعالم ، على التسليم بهذا «الوضع الراهن» وحقائقه وذلك استناداً الى منطق القوة والتفوق العسكري طبعاً ، وعدم استطاعة العرب والعالم حتى الآن قهر ذلك المنطق وبالتالي اجبار السياسة الاسرائيلية على التراجع .

في أعقاب مذبحة الاثنين :

واصلت السلطات الاسرائيلية العمل بسياسة « الوضع الراهن » وخلق الحقائق العملية ، في ظل حالة من الصراع والتصادم المستمر مع الرفض الفلسطيني الشامل لهذه السياسة ، وكما اشرنا في التفاصيل آنفة الذكر ، فقد تصاعدت حدة الصراع وتجذرت ، الى ان بلغت ذروة جديدة ، ونقطة انعطاف تاريخية تمثلت باندلاع الانتفاضة الفلسطينية في التاسع من كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٧ ، اذ غدا ذلك الصراع بعد ذلك يحمل طابعاً شمولياً ينطوي على صفة حرب وجود وكيان واسعة بين الجانبين الاسرائيلي المغتصب ، والفلسطيني الرافض للاحتلال .

وفي ظل هذا الصراع صعدت السلطات الاسرائيلية اجراءاتها المختلفة ، ووسعت وكثفت مخططاتها وخططها سواء تلك المتعلقة بقمع الانتفاضة ، أو تلك المتعلقة بالاستيطان والتهويد ، لكن في الجانب الآخر ، صعدت الانتفاضة الفلسطينية هي الاخرى فعالياتها المختلفة ، وكثفت نشاطاتها التي حظيت بالتفاف وتأييد جماهيري شامل واسع ، الأمر الذي قض مضاجع السلطات الاسرائيلية واخرجها عن طورها مراراً ، في أعقاب اسقاط مزاعمها حول « وحدة القدس » ، « الهدوء فيها » و « تعاون سكانها العرب مع السلطات » .

كما شهد هذا الصراع انعطافة اخرى في اعقاب مذبحة الاثنين في باحة الأقصى المبارك في الثامن من تشرين أول/ اكتوبر ١٩٩٠ ، اذ كشرت السلطات الاسرائيلية عن انيابها تماماً ، وكشفت عن ابعاد وعمق نواياها المبيتة ازاء القدس ومقدساتها ، في جملة من القرارات والاجراءات التصعيدية الجديدة ، التي تهدف في المحصلة الى مواصلة عملية التفريغ والتهويد الممنهجة الدؤوبة للمدينة المقدسة ، ونلخص تلك القرارات والاجراءات بما يلي :

في أعقاب الضغوطات المستمرة التي مارستها الفئات والحركات اليمينية المتطرفة على الحكومة الاسرائيلية بعد احداث الثامن من تشرين أول سنة ١٩٩٠ ، سارعت تلك الحكومة الى اخراج مخططاتها الى العلن ، فتحدثت صحيفة معاريف الاسرائيلية في مطلع تشرين ثاني سنة ١٩٩٠ عن « ان السلطات الاسرائيلية تدرس جملة من الاجراءات من شأنها الحد من

حرية الدخول والخروج من الحرم القدسي بشكل دائم ، وتقليص السلطة الاسلامية على الحرم .. ومن ضمن تلك الاجراءات اقامة أبواب ممغنطة عند المداخل المؤدية الى ساحة المسجد الأقصى بهدف احكام اعمال التفتيش ومراقبة الداخلين الى الحرم ، ومنها نصب مدافع خاصة تقذف المياه لتفريق المصلين بصورة ثابتة في عدد من الأماكن الاستراتيجية حول باحة الأقصى ، ومراقبة مكبرات الصوت ، واقامة جدار فاصل على حائط البراق بحجة منع رشق الحجارة من جهة المسجد الأقصى .

كما تتضمن الاجراءات تعزيز قوات حرس الحدود في منطقة الحرم ، واقامة قيادة خاصة لشؤون الحرم ، وتعديل الملفات والاجراءات المتعلقة بالحرم بصورة دائمة(٤) .

وتذكر هذه الاجراءات بالحال الذي آل اليه الحرم الابراهيمي الشريف في مدينة الخليل ، حيث تدرجت السلطات الاسرائيلية في السيطرة عليه حتى تم لها تقسيمه وتدنيسه بأوثان المستوطنين اليهود .

وفي مطلع تشرين ثاني سنة ١٩٩٠ وفي جلسته الاسبوعية «قرر مجلس الوزراء الاسرائيلي تشكيل لجنة وزارية خاصة لشؤون الحرم القدسي الشريف ، وذلك في سابقة هي الأولى من نوعها ، وتبنى المجلس توصية بهذا الشأن تضمنها تقرير لجنة زامير(٥)، ويذكر ان هذا القرار يتعارض مع الوضع القائم الذي يقضي بالحفاظ على ما كان عليه الوضع قبل الاحتلال الاسرائيلي للأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، بخصوص الاماكن المقدسة .

وبعد ذلك بيومين اعلن روني ميلو وزير الشرطة الاسرائيلي عن «اتخاذ قرار يقضي بتحويل منطقة القدس الى اللواء الخامس في شرطة اسرائيل ، وسيتم تعزيز قوات الشرطة المرابطة في المنطقة بناء على هذا القرار»(٦) .

وهدف هذا القرار بشكل اساسي الى تشديد قبضة الأمن الاسرائيلية على منطقة القدس ، بعد ان تمكنت فعاليات الانتفاضة المتصاعدة من سحب البساط من تحت اقدام قوات الشرطة وحرس الحدود ، وفي هذا الاطار تقرر تشكيل الوحدة التي اطلق عليها اسم «وحدة الجدوعونيم» التي انيطت بها مهمة التنكر بزي المواطنين العرب بغية تصفية نشطاء وقادة الانتفاضة قتلا أو اعتقالاً .

وهدف ايضا الى تسهيل مهمة وتحركات السلطات الرسمية واذرعها المختلفة في تفريغ وتهويد المدينة المقدسة واحكام السيطرة عليها .

ثم جاء اخيراً القرار الحكومي الاسرائيلي باقامة «وزارة خاصة لشؤون القدس انيطت حقيبتها باسحق شامير نفسه[٧] ، وجاء هذا القرار بهدف اكمال دائرة السيطرة والاشراف الاسرائيلي على القدس في اطار وعبر تعزيز عملية تنهيج الاجراءات القمعية التهويدية الشاملة في المدينة .

ثانياً : استمرار التصدي الفلسطيني

وانطوت مذبحة الاثنين في باحة الحرم الشريف كما ذكر آنفاً ، على أهمية خاصة ، انبأت بدخول مرحلة جديدة في الصراع أكثر اصراراً وشراسة من جانب سلطات الاحتلال ، وبصورة خاصة على مستوى اجراءات الحصار والقمع ضد الانتفاضة ، ومن أجل تعزيز مخطط السيطرة الاسرائيلي على القدس والاماكن المقدسة ، وفي هذا المعنى أكد د . صالح عبدالجواد المحاضر في جامعة بيرزيت ، في محاضرة القاها في المركز العلمي الثقافي التابع لمؤسسة عبدالحميد شومان في عمان ، وتناول فيها ابعاد المذبحة الاسرائيلية في الحرم ، أكد قائلاً : «تأتي هذه المذبحة في اطار الصراع العنيف من أجل السيطرة على القدس والأماكن المقدسة ، حيث ان الوضع القائم في القدس لا يرضي الاسرائيليين ، وبالتالي فهم يحاولون تغييره والسيطرة عليه ، والاخلال بالوضع ، وقضم الحي الاسلامي في البلدة القديمة قطعة قطعة، ولا يوجد اليوم حارة بدون بناء يهودي»[٨] ، ثم اوضح د . صالح من جهة أخرى ان الهدف غير المعلن لممارسات سلطات الاحتلال هو تدمير المسجد الأقصى والأماكن المقدسة واقامة الهيكل الثالث[٩] .

في ظل هذا البعد الخطير الذي تنطوي عليه مخططات واجراءات سلطات الاحتلال ، فقد تداعى المواطنون الفلسطينيون للدفاع عن الأقصى باصرار كبير واستعداد أكبر للتضحية ، وبإيمان عميق بان مهمة الدفاع عن الأقصى والقدس هي مهمة تاريخية ودينية ووطنية .

ولذلك فقد احتدم صراع البقاء والاجلاء في المدينة المقدسة ، فارتفعت وتيرة اجراءات المحاصرة والتنكيل الاسرائيلية ، في الوقت الذي تكثفت فيه فعاليات ونشاطات الانتفاضة الفلسطينية واتسع نطاقها ، وتعددت وتنوعت مظاهرها .

لقد سعت سلطات الاحتلال يائسة الى عزل القدس وأهلها عن الانتفاضة في الأراضي المحتلة . فجندت لذلك كما اكدت مجمل التفاصيل والمعطيات الواردة في الفصول السابقة ، كل طاقاتها واماكاناتها وأجهزتها وقراراتها السياسية والاعلامية والاقتصادية والعسكرية ، ومارست كل وسائل القمع والتنكيل ضد فلسطيني القدس ، غير انها كلها تحطمت على صخرة ديمومة وتواصل اشتعال جذوة الانتفاضة ، ووعي وارادة وتلاحم واصرار جماهيرها .

فرغم وحشية المذبحة التي اقترفت في باحة الأقصى المبارك ، ورغم شمولية وشدة ممارسات القمع ، التي اعقبت المذبحة : «الا ان أجواء الحزن بين الفلسطينيين كانت ممزوجة بمشاعر النصر والاصرار على استمرار الانتفاضة ، كما تجلى ذلك في اللقاء الذي عقد بين ممثلي الفصائل الفلسطينية في القدس»(١٠) .

لقد تجلى ذلك الاصرار الفلسطيني على مواصلة الانتفاضة والتصدي لمخططات واجراءات التنكيل الاحتلالية ، في جملة من المظاهر أبرزها :

١ - تعميق وشائج الوحدة الداخلية بين الفلسطينيين ، وتعزيز التلاحم النضالي بين مختلف الفئات الفلسطينية ، في ظل هذه المعاناة المتفاقمة الواحدة والمصير الواحد الذي يواجهه الفلسطينيون . امام هذه الحرب التصفوية التي تواصل سلطات الاحتلال شنها ضدهم والتي «تهدف بشكل اساسي الى تنفيذ مخطط الترحيل - ترانسفير - ضد الفلسطينيين فالتصفية الشاملة»(١١) .

٢ - تصعيد فعل الانتفاضة بصورة اعادت الى الأذهان سريعاً ، ذلك الانفجار الشامل الذي اجتاح الأراضي المحتلة في الأيام الأولى للانتفاضة .

فعلاوة على تلك المظاهر الانتفاضية الجماهيرية المتمثلة بالمظاهرات والمسيرات ، وعلاوة على التصدي الجماعي من قبل عشرات ومئات الملثمين دفعة واحدة لقوات الشرطة وحرس الحدود والجيش في المدينة المقدسة ، تصاعدت ايضا عمليات الانقضاض بالخناجر الفلسطينية على جنود ومستوطني الاحتلال ، كما تصاعدت العمليات المسلحة

المختلفة من القاء الزجاجات الحارقة ، الى وضع العبوات الناسفة ، الى استخدام الأعيرة النارية .

٣- تصعيد النشاطات المسلحة ضد أهداف احتلالية في أنحاء الأراضي المحتلة ، والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ، اضافة الى سلسلة العمليات التي نفذت عبرالجبهة اللبنانية التي أسفرت عن خسائر كبيرة في صفوف قوات الاحتلال ، وشكلت أيضا ضغطاً معنوياً ، اضيف الى تلك الضربات المعنوية المتلاحقة الى وجهتها الانتفاضة للاسرائيليين .

٤ – ولعل من أبرز مظاهر هذه المرحلة الجديدة في الصراع المحتدم مع سلطات الاحتلال ، هو حالة القلق والتخبط التي اصابت قادة الاحتلال من جهة ، وحالة الرعب والفزع التي دبت في نفوس الاسرائيليين جنوداً ومستوطنين من جهة أخرى وفي هذا المضمون تحديداً اعترفت مصادر اسرائيلية عديدة باصابة معنويات الاسرائيليين ، الأمر الذي يعكس مدى النجاح الذي حققته فعاليات الانتفاضة ، فقالت صحيفة عل همشمار على سبيل المثال : «القدس عام ١٩٩٠ ، اصبحت مدينة مليئة بالرعب والعنف ، فاحتمال ان ينتهي بك المطاف في نهاية يومك في المستشفى قائم جداً ، ولا يهم حينها بأي اله تؤمن»(١٢) ، ثم اضاف «اڤي بنياهو» المراسل العسكري للصحيفة قائلاً : «تؤكد احداث الآونة الأخيرة ان دولة اسرائيل تقف امام موجة جديدة من أعمال العنف ، ذات ميزات جديدة ، وتعتقد دوائر الأمن ان الوضع سيتفاقم خلال الأسابيع والأشهر القادمة»(١٣) .

كما تحدثت صحيفة عل همشمار مرة أخرى معقبة على القرارات والاجراءات الاسرائيلية المتلاحقة في مدينة القدس ، فقالت : ان تضعضع الأمن في أنحاء دولة اسرائيل أخذ يدفع الوزراء الى تقديم اقتراحات غير متزنة ، مثل اقتراح الوزير زبولون هامر الداعي الى فرض الخدمة الاجبارية في الحرس المدني ..»(١٤) .

كما اعترفت صحيفة يديعوت احرونوت من جهة أخرى بالدور المركزي الذي تقوم به القدس في الانتفاضة قائلة : «منذ بداية الانتفاضة كانت القدس مركز الانتفاضة السياسية ، كما كانوا يطلقون عليها ، وكان هناك عنف بمقاييس محتملة ، غير ان القدس تحولت في

أعقاب احداث الحرم ، الى مركز العنف والسياسة معاً للانتفاضة والنزاع الاسرائيلي - الفلسطيني »[١٥] .

وقد لخص الشيخ محمد رفاعي الجمل نائب مفتي القدس ، صورة الصراع الدائرة في المدينة في لقاء مع جريدة الدستور الأردنية قائلاً : «القدس عاصمة دولتنا المستقلة ، ولن نرحل عن ثراها الطاهر ، مهما استبدت سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ومارست من اساليب القمع والتنكيل ، فكل ذرة من ترابها تساوي (١٠٠) شهيد ، والشعب الفلسطيني المرابط على استعداد للشهادة من أجل الأقصى المبارك وحريته واستقلاله .. ان المخططات الصهيونية مستمرة ، والاستيلاء على العقارات الوقفية مستمر أيضاً .. ان الحكومة الاسرائيلية كانت قادرة على منع مذبحة الأقصى ، لكنها ارادتها في محاولة لاجبار سكان القدس على الرحيل الى مناطق اخرى ، لكن فات سلطات الاحتلال ان جميع سكان فلسطين هم أهل القدس يتقاطرون للدفاع عنها كلما حاولت احدى الحركات اليهودية تدنيس المسجد الأقصى أو وضع حجر الأساس لهيكل سليمان المزعوم .. ان العنف لا يولد سوى العنف ، والانتفاضة لن تهدأ ما دام هناك جندي اسرائيلي يدنس أرضنا ووطننا ، وحتى يحصل شعبنا على حق تقرير مصيره بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وفي دولة يكون فيها الناس امناء على أنفسهم وحقوقهم »[١٦] .

ثالثاً - متطلبات الصمود :

في ظل الاصرار الصهيوني على مخططات التفريغ والتهويد للقدس العربية ، فانه يتحتم على أهلنا في القدس المحتلة القيام بمجموعة مهمات ونشاطات وطنية مسندة كل الاسناد من خارج الارض المحتلة من أجل ضمان صمودهم هناك امام تلك المخططات ، وأهم تلك المهمات والنشاطات[١٧] :

١ - القيام بمسح اجتماعي ومعماري لسكان ومباني القدس القديمة لمعرفة الوضع الاجتماعي للسكان ، وتحديد ملكية البيوت ، والبيوت المهجورة وحاجات المباني من حيث العمارة والترميم .

٢ – تنفيذ خطة لترميم مباني البلدة القديمة وخاصة البيوت القريبة من البؤر الاستيطانية ، ثم البيوت المهجورة .

٣ – تكوين صندوق خاص يعمل على شراء البيوت المهددة بالضياع من ذوي النفوس الضعيفة من أصحاب البيوت ، واسكانها بأزواج شابة منتمية .

٤ – فتح مكاتب للمؤسسات الوطنية ونقابات العمال داخل اسوار البلدة القديمة بجوار الأماكن المقدسة لتنشيط الحركة الاقتصادية وإيجاد تجمع بشري عربي دائم .

٥ – وضع خطة هادفة تعيد للأسواق التي اصابها الكساد في البلدة القديمة ، سابق عهدها .

وخلاصة القول في هذا الاطار ، انه امام الامكانيات الضخمة التي يتمتع بها المستوطنون ، فان صمود الفلسطينيين سكان القدس القديمة لا يكفي وحده ، لذلك فان ما ذكر من مهمات هو شرط اساسي لاستمرار صمود اهلنا ، على طريق منع سقوط القدس القديمة بيتاً بيتاً في أيدي المستوطنين اليهود .

كما لابد من التأكيد في هذه الخلاصة على أن شروط ومتطلبات صمود اهلنا في القدس العربية المحتلة ، على صلة عضوية بشروط ومتطلبات تواصل الانتفاضة في الاراضي المحتلة ، التي تشكل دون ادنى شك الخيار النضالي الفلسطيني المفتوح امام الشعب الفلسطيني ، في مواجهة حمى مخططات واجراءات التفريغ والتهويد ، ذلك الخيار الذي مازال في انتظار تحرك وتكامل وتلاحم عمقه العربي معه .

لذلك والى جانب تلك المهمات المناطة بأهلنا في القدس المحتلة ، وتعزيزاً لاستمرار انتفاضة التصدي في المدينة وبهدف احباط مخططات الاحتلال فانه لا بد من :

١ – رفد الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة عامة ، وفي المدينة المقدسة خاصة ، بكل سبل وامكانات الدعم والصمود والتصعيد ، ولعل سلسلة العمليات المسلحة التي نفذت عبر الحدود العربية مع فلسطين لدليل واضح على أهمية هذا الرافد .

٢ – توحيد الموقف العربي دولياً ازاء ضرورة وحتمية اعادة السيادة العربية على مدينة القدس كجزء لا يتجزأ من السيادة العربية الفلسطينية في فلسطين .

٣ – الاصرار على رفض كل المحاولات الاسرائيلية الرامية الى تكريس عملية ضم القدس، ورفض كل الاقتراحات الداعية ايضا الى اجراء مساومات حولها .

اما على صعيد الانتفاضة الفلسطينية وتصعيد فعالياتها في المدينة المقدسة ، فانه لا بد من :
١ - تصعيد العمليات ضد المدارس الدينية اليهودية التي تشكل بؤراً وترسانات مسلحة في قلب المدينة ، ومهاجمة الأهداف العسكرية والاستيطانية الأخرى داخل أسوار القدس .
٢ - تصعيد فعاليات وضربات الانتفاضة خارج أسوار البلدة القديمة ، ضد الأحياء الاستيطانية اليهودية بواسطة الأسلحة المختلفة ، وذلك لتحقيق ثلاثة أهداف في آن واحد : دب المزيد من الرعب والخوف في نفوس المستوطنين وافراد عائلاتهم ، واجبارهم على الرحيل التدريجي ان أمكن ، وردع غيرهم من المستوطنين عن القدوم للاستيطان في المنطقة .

تلك هي أبرز وأهم متطلبات الصمود والتصدي الفلسطيني ، الذي هو قائم ومتماسك أصلاً ، غير ان ذلك التصعيد الهستيري من جانب سلطات الاحتلال ، وايغالها في انتهاكاتها الشاملة للحقوق العربية الفلسطينية في القدس ، يفرض بالضرورة الى جانب تصعيد فعاليات الانتفاضة بهذا المستوى الراقي والمقلق لسلطات الاحتلال ، عدم التواني عن تحقيق تلك المهمات والنشاطات الفلسطينية في القدس المحتلة من جهة ، والفلسطينية والعربية خارج الأرض المحتلة من جهة أخرى .. وحتى تبقى القدس عاصمة فلسطين العربية ، وصخرة تتحطم عليها موجات الاعتداءات الاسرائيلية المتلاحقة .

هوامش الفصل السادس

١ – خليل اسماعيل الحديثي ، قضية القدس : البداية والجذور «مجلة شؤون عربية ، العدد (٥٢) ، كانون أول/ ديسمبر ١٩٨٧ . ص ٦٩ .

٢ – يهودا ليطاني ، مجلة هعولام هزيه ، عدد ١٩٩٠/١١/٢١ .

٣ – صحيفة هآرتس ، عدد ١٩٩٠/١٠/١٢ .

٤ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/٣١ .

٥ – صحيفة الفجر المقدسية ، عدد ١٩٩٠/١١/٣ .

٦ – صحيفة داڤار ، عدد ١٩٩٠/١١/٥ .

٧ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/١١/٢٧ .

٨ – نص محاضرة د . صالح عبدالجواد في المركز العلمي الثقافي التابع لمؤسسة عبدالحميد شومان ، يوم ١٩٩٠/١١/٥ ، ارشيف مؤسسة عبدالحميد شومان / عمان .

٩ – المصدر السابق نفسه .

١٠ – صحيفة معاريف ، عدد ١٩٩٠/١٠/١٠ .

١١ – د . صالح عبدالجواد ، مصدر سبق ذكره .

١٢ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/١٠/٢٦ .

١٣ – المصدر السابق نفسه .

١٤ – صحيفة عل همشمار ، عدد ١٩٩٠/١١/١٢ .

١٥ – صحيفة يديعوت احرونوت ، عدد ١٩٩٠/١١/١٦ .

١٦ – جريدة الدستور الأردنية ، عدد ١٩٩٠/١١/٢٧ .

١٧ – المهمات المذكورة مقتبسة من تقرير خاص ورد من الأرض المحتلة / سبق ذكره .

رقم الاجازة المتسلسل: ١٩٩١/٧/٣٢٨
رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٩١/٧/٣٦٣

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ تلفون ٨٩٤٩٤٠ ـ ٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦ ـ عمان / الأردن ـ ماركا الشمالية

نبذة عن حياة المؤلف

نواف الزرو

ولد الباحث نواف جودت الزرو في المدينة المقدسة عام ١٩٥٠م، أكمل دراسته الاعدادية والثانوية في المدينة، إلا أنه اعتقل في مرحلة مبكرة من الاحتلال الاسرائيلي للأراضي المحتلة (١٩٦٧) على أيدي قوات الاحتلال على خلفية الانتماء للمقاومة الفلسطينية والقيام مع شبان آخرين من القدس بتنفيذ سلسلة طويلة من العمليات المسلحة ضد أهداف احتلالية، كان أبرزها عمليات ليلة القتال في القدس في الثامن عشر من آب/١٩٦٨، وعمليات المحطة المركزية [illegible] أيلول ١٩٦٨. أصدرت المحكمة العسكرية في اللد حكماً بالسجن المؤبد [illegible] بحق المناضل نواف، حيث أمضى من الحكم [illegible] في سجون [illegible] حصوله على شهادة الثانوية [illegible] بيرزيت بواسطة [illegible]



دار الخواجا

دار الخواجا للنشر والتوزيع
عمان - ماركا الشمالية - دوار المطار
تلفون ٨٨٦٦٦٦ - ص ب ٣٣٠٣٣٤